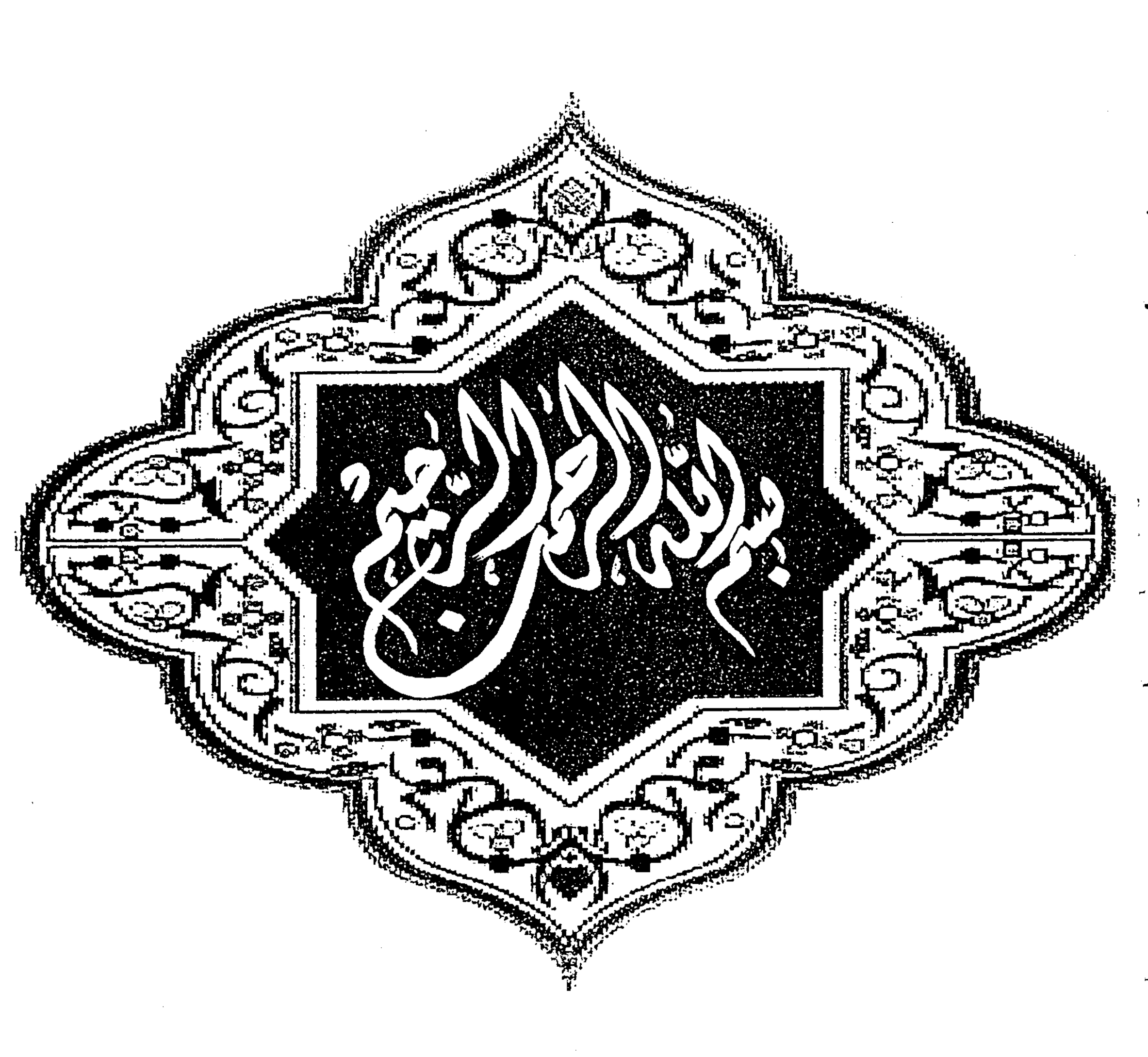

بسم الله الرحمن الرحيم





ح الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجهني ، مانع بن حماد

الأربعون الشاملة : مختارات مشروحة من طوال الأحاديث النبوية .- الرياض .

... ص ، ... سم

ردمك ٤-٢٧-٦١٦-٩٩٦٠

١- الحديث – شرح ٢- الحديث الصحيح أ- العنوان

ديوي ٢٢٧,٧ ٢٢/ ٥٤١١

رقم الإيداع : ٢٢/٥٤١١

ردمك : ٤-٢٧-٦١٦-٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله العظيم الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم أرسل محمداً ﷺ بجوامع الكلم وفضل أتباعه على جميع الأمم ، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل الفضائل والنعم وأشهد أن لا إله إلا الله الذي خلق الإنسان من عدم وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل من تعلم وعلم ﷺ وعلى آله وأصحابه وأتباعهم إلى يوم الحشر وبعث الرمم وسلم تسليما كبيراً .

أما بعد فقد يسر الله تعالى أن قرأت هذه الأحاديث وشرحها للشيخ الدكتور مانع بن حماد الجهني ، الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي وعضو مجلس الشورى ولقد سرني هذا الاختيار وهذا الشرح فقد وقع اختياره على أحاديث صحيحة أو حسنة جامعة لعدة من الأحكام والفوائد وكلها من أقوال النبي ﷺ في مواضيع متعددة من العبادات والمعاملات والآداب والأخلاق والأخبار ثم ما في شرحه لها من القوة وحسن التعبير والفصاحة وإظهار المعاني وبيان ما في كلام المصطفى ﷺ من البلاغة والفصاحة وأنه قد أعطى جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً ، وحيث أن جمع مثل هذه

الأحاديث قد سبقه إلى ذلك الكثير من العلماء ومن أشهرهم النووي في الأربعين فإن هذه الأحاديث في هذه الرسالة مما له موقع وأثر كبير في الإفادة والبيان وهكذا ما عمله عليها من الشرح الذي أوضح معانيها بالإجمال مع ترك التوسع بذكر الخلافات والمنازعات مما لا أهمية له وهكذا ما عمله من التخريج وترجمة الراوي وذكر الفوائد وكل ذلك مما يجمل هذا العمل ويزيده رغبة وجمالاً فجزى الله الدكتور مانعاً خير الجزاء وكلل جهده وأثابه على عمله والله أعلم وأحكم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه : عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

١٤٢١/١٢/٢٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً ، وأتاه القرآن ومثله معه من الحكمة ليبين للناس ما نزل لهم ويكون للأمة هادياً وسراجاً منيراً ، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، محمد بن عبد الله الذي ترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، وندب أفراد المسلمين إلى تبليغ رسالته ، ونشر مقالته بين العالمين عندما قال : " بلغوا عني ولو آية ، "[1] و" نضَّر الله أمرءاً سمع مقالتي فأداها كما سمعها ."[2] وبعد :

فقد أهتم المسلمون بسنة الرسول الكريم ﷺ واعتنى علماء الأمة بحديثه حفظاً وتدويناً ، ودرساً وتخريجاً ، فأثمرت جهودهم ثروة علمية ضخمة أغنت المكتبة الإسلامية بكنوز كتب الحديث من الصحاح والسنن والمسانيد والأجزاء الحديثية التي لا تكاد تحصر عبر العصور الإسلامية المديدة .

ومن الأجزاء الحديثيه التي حظيت بعناية خاصة من علماء الإسلام عبر العصور ما عرف بالأربعينات الحديثية [3] ، وهي مصنفات تجمع أربعين حديثاً أو باباً إما في موضوع واحد أو موضوعات متفرقة ،

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو .

(٢) رواه أبو داود برقم ٣٦٦٠ والترمذي وابن ماجة في المقدمة برقم ٢٣٠ وهو حديث صحيح وسوف يرد تخريجه مع اختلاف يسير في في الحديث رقم ١٢ في هذه المختارات .

(٣) أنظر محمد نور بن محمد أمين المراغي " التعريف بالأربعينات الحديثية " في مقدمة تحقيقه لكتاب أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي **الأربعون الصغرى المخرجة في أحوال عباد الله تعالى وأخلاقهم** ، إحياء التراث الإسلامي بقطر ، ص ١١ .

وقد يحصرها بعضهم بإسناده الخاص عن شيوخه . وقد وجد بين مؤلفي هذه الأربعينات من اختار أربعين شيخاً لمروياته أو أربعين بلداً ، وبعضهم كتب أربعين حديثاً عن أربعين صحابياً أو أربعين حديثاً في فضائل الصحابة أو في واحد منهم فقط . بل إن بعضهم تفنن - أو قل تكلف - في اشتراط الأربعين في أكثر من جانب ، فأصر على أربعين، في أربعين ، عن أربعين من أربعين . وهذا يعني أربعين حديثاً ، في أربعين موضوعاً ، عن أربعين شيخاً ، من أربعين بلداً . وقد فعل نصر المقدسي المتوفى في نهاية القرن الخامس الهجري عام ٤٩٠هـ شيئاً من ذلك في كتابه الأربعينات حيث جمع فيه أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً في أربعين باباً لأربعين صحابياً .

ومن العلماء من أورد أربعين حديثاً في كل باب من أبواب الفقه المعروفة ، كما فعل العالم الإباضي محمد بن يوسف أطفيش من علماء عمان المحدثين في كتابه وفاء الضمانة بأداء الأمانة في فن الحديث وهو كتاب ضخم مكون من ستة مجلدات أخرجت طبعته الثانية وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان عام ١٤٠٩هـ . ولا شك أن محاولة استيعاب كل باب من أبواب الفقه بأربعين حديثاً لا تنجو من التكلف والاضطرار لإيراد الأحاديث الضعيفة أو الموقوفة أو المنقطعة .

وقد عد حاجي خليفه في كشف الظنون [١] حوالي سبعين كتاباً من كتب الأربعين لاشهر علماء الإسلام ، مثل : عبد الله بن المبارك الذي يعد أول من ألف في هذا المجال في القرن الثاني الهجري ، وتلاه الدارقطني ، والحاكم ، وأبو نعيم ، والبيهقي ، والمقدسي ، وابن الجوزي ، والمنذري ، وابن تيمية ، وابن حجر العسقلاني ، والسخاوي ، والسيوطي ، وملا علي القاريء في القرن الحادي عشر الهجري . [٢]

---

(١) ج١ ص ٥٢ .

(٢) المراغي مرجع سابق ، ص ١٦ وما بعدها .

ولعل أشهر من ألفوا في الأربعينات الحديثية الإمام النووي الذي وجدت أربعونه النووية قبولاً عاماً وتولى شرحها الكثير من العلماء في القديم والحديث ، وبلغت شروحها أكثر من خمسين شرحاً بين مطبوع و مخطوط ومفقود ."[١]

ولو تحرينا دواعي إقبال علماء الإسلام المشهورين على التأليف في الأربعينات الحديثية واختيار الأربعين دون غيرها من الإعداد لوجدنا لذلك أسباباً كثيرة تعود معظمها إلى الأمور التالية :

١. أن العدد (أربعين) مرتبط في الموروث الإسلامي بالنضج والكمال. فالأربعون من العمر هي مرحلة اكتمال الرشد والعقل والحكمة والقوة . يقول الله سبحانه وتعالى عن الإنسان المؤمن في هذه المرحلة : " حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربّ أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه واصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين ، " (الأحقاف ، ١٥). ومن هذا المنطلق كان الأنبياء ، ومنهم نبينا محمد ﷺ ، يُكلّفون بحمل الرسالة ويبعثون إلى أممهم في سن الأربعين ، ولم يشذ عن هذه القاعدة – حسب علمي – إلا عيسى عليه السلام حيث بعث إلى بني إسرائيل في الثلاثينات من عمره . ومما يقوي هذا الميل إلى تفضيل الأربعين على غيرها من أعداد العقود ما ورد أن الله واعد موسى عليه السلام للمجيء للقائه في طور سيناء بعد أربعين يوماً – ثلاثين يوماً ثم أتمها بعشر.وقد قضى موسى عليه السلام هذه الفترة بالصيام والاستعداد الروحي للقاء ربه . هذا بالإضافة إلى ما ورد

(١) أنظر د. مصطفى البنا ومحيي الدين مستو في مقدمة **الوافي في شرح الأربعين النووية** ، ص٣ .

في الحديث الصحيح أن " من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء ، فصدقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً " .[1]

٢. محاولة علماء الإسلام - وخاصة المحدثّين - استقصاء أقوال الرسول الكريم ﷺ في موضوع ما لإبراز أهميته وفضله ولفت أنظار الناس إليه لمزيد من الاهتمام أو التوضيح لجوانب الموضوع من خلال ما يمكن جمعه عنه من أحاديث . وقد ظهر ذلك في جمع أربعين حديثاً عن الجهاد ، وفضائل الأعمال ، والدعاء والداعين وغير ذلك من موضوعات المختارات الأربعينية.

٣. العناية البالغة بالحديث النبوي الشريف وتفنن علماء الحديث في دراسة جوانب الأحاديث كافة من حيث المعنى والإسناد ، وذلك من خلال سرد الروايات المتعددة للحديث وطرقه المختلفة حتى أصبح كل ذلك من أبرز سمات الدرس الحديثي وخصوصيات الأمة الإسلامية خاصة في عصر ازدهار جمع حديث الرسول الكريم ﷺ وتصنيفه وتنقيته مما علق به من أو شاب الوضاعين والمنافقين والزنادقة .[2]

٤- أما أهم أسباب ازدهار التأليف في الأربعينات الحديثية فمرده إلى الحديث الشائع الذي تناقله معظم من ألف في هذا المجال . يقول الإمام النووي - أشهر مؤلفي الأربعينات الحديثية في مقدمة أربعينه - : " فقد روينا عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبي الدرداء وابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك وأبي هريرة وأبى سعيد الخدري رضي الله عنهم من طرق كثيرات بروايات متنوعات أن رسول الله ﷺ قال : " من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء ."[3] وفي رواية " بعثه الله فقيها." وفي رواية أبي

---

(١) رواه الإمام مسلم عن صفية بنت عبيد عن بعض أزواج النبي ﷺ .

(٢) أشار إلى بعض هذه الأسباب المراغي في مرجع سابق ص ٢٥ ، ٣٤ .

(٣) أخرجه البيهقي والحافظ بن عساكر بأسانيد ضعيفة .

الدرداء " وكنت له يوم القيامة شافعاً وشهيداً." وفي رواية ابن مسعود " قيل له ادخل من أي أبواب الجنة شئت ." وفي رواية ابن عمر " كتب في زمرة العلماء وحشر في الشهداء ." ثم قال النووي رحمه الله : " واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه ."[1]

وعلى الرغم من ضعف الحديث فقد ألف العلماء الكثير من الأجزاء الحديثية الأربعينية وذلك انطلاقاً من جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال كما هو مقرر[2] عند أهل الحديث . هذا بالإضافة إلى اعتماد النووي وغيره ممن ألف في الحديث على أحاديث أخرى صحيحة منها : " نضَّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها ." ومنها ما رواه الإمام البخاري " ليبلغ الشاهد منكم الغائب ،"[3] وحديث " بلغوا عني ولو آية ." وكل هذه الأحاديث تحث على حفظ العلم النبوي وإيصاله إلى أكبر عدد ممكن من الناس .

ومع أن الحفظ إذا فهم بمعنى الحماية من الضياع والنسيان يعد مرحلة تاريخية قد انتهت لجمع أحاديث الرسول ﷺ كلها في ما توافر من وسائل الحفظ المتعددة في هذا الزمان من كتابة وتسجيل صوت على الأشرطة والأقراص المرنة وغيرها ، فإن مفهوم الحفظ يمكن أن يتضمن نشر الأحاديث النبوية بين الناس وتوضيح معناها وتيسير مفاهيمها لأكبر عدد من الخاصة والعامة . وذلك لأن الحفظ الحقيقي الفعَّال هو أن يكون ما تدعو إليه أحاديث الرسول ﷺ جزءاً من حياة المسلمين اليومية والموجه الرئيس لتصرفاتهم جميعا .

---

[1] أنظر مقدمة **الأربعون النووية** .

[2] أنظر ص ٣١ من مقدمة المراغي في مرجع سابق حيث نقل التساهل في رواية الأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال عن ابن الصلاح وأحمد بن حنبل وغيرهما .

[3] هذا جزء من " خطبة الوداع " وسوف ترد مفصلة في الحديث السادس .

ومن هذا المنطلق أحببت أن أتشبه بالصالحين ، ولست منهم ، واتبع خطوات أفاضل علماء الأمة الإسلامية عبر العصور ، فجمعت أربعين حديثاً من أقوال الرسول ﷺ رأيت حاجة المسلمين عامة والشباب بصفة خاصة إلى فهم معانيها ، وإدراك مراميها ، واتخاذها نبراساً ينير دروب حياتهم وإطارا يحيط بتصوراتهم ويحدد تصرفاتهم لتكون حياتهم على منهاج النبوة الشامل لخيري الدنيا والآخرة .

وسميت هذا المجموع الأربعون الشاملة . وقد حرصت فيه على طوال الأحاديث المهمة التي تعرض لثلاثة أمور أو قضايا فأكثر مما له مساس مباشر بحياة المسلم في كل زمان ومكان ، ولا يمكن أن يعيش حياة إسلامية دون التحلي بما تدعو إليه تلك الأحاديث . وفي الأمثلة القليلة من الأحاديث التي لا تتعرض لثلاث قضايا فأكثر حرصت على اختيار أحاديث تعرض القضية الواحدة من عدة زوايا ومن خلال جملة من الأمثلة التصويرية الموحية التي توسع دلالة الحديث وتبرز روعة البيان النبوي .

وقد حرصت على تيسير فهم الأحاديث المختارة من خلال شرح معاني الكلمات في هامش الصفحة نفسها لسهولة الرجوع إليها أثناء القراءة . وخرَّجت الأحاديث من المراجع المعتمدة مبيناً المصدر ومكان الحديث منه مع تحديد رقم الحديث أو صفحته كلما كان ذلك ممكناً وضرورياً . ولم أكتف بذكر المراجع القديمة بل ذكرت تخريج الحديث في كتب محدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله أو غيره من علماء التخريج المحدثين عند الحاجة . ولم أنس أن أعرِّف بأكثر من ثلاثين من الصحابة الكرام الذين رووا الأحاديث المختارة تعريفاً مناسباً تجنب الإيجاز المخل والإسهاب الممل وأبرز جوانب الأسوة في حياة أولئك القدوات .

أما شرح الأحاديث فقد التزمت فيه الإيجاز في الغالب ولم أتجاوزه إلا في الحالات التي تحتاج إلى تفصيل وجيز لبعض المفاهيم ، وتسهيل بسيط لجملة من القضايا المهمة للمسلم المعاصر . وقد أعقبت

الشرح بذكر أهم الأحكام الفقهية والمعرفية التي يمكن استنباطها من الأحاديث المختارة .

ومما تتميز به الأربعون الشاملة احتواؤها على أحاديث مهمة في حياة الأمة لم تظهر فيما سبق من المختارات المختصرة من أحاديث الرسول الكريم ﷺ وذلك مثل " خطبة الوداع " بطولها الذي لم يجتمع في مرجع حديثي واحد ، وكذلك دعاء الاستخارة المهم . هذا بالإضافة إلى أحاديث طوال جوامع لكثير من تعاليم الإسلام لا توجد في المختصرات الحديثية المتداولة .

بدأت هذه المختارات الحديثية بحديث " إنما الأعمال بالنيات " استصحاباً وتنويهاً بأهمية هذا الحديث العظيم لدخوله في معظم الأعمال واقتداء بسنة من سلف من فضلاء العلماء الذين افتتحوا به كتبهم . وقد أنهيتها بجملة من دعوات الرسول الكريم ﷺ التي استعاذ فيها من طائفة من الأخلاق والأحوال تحذيرا لأمته وتقبيحاً لبعض السلوكيات المرفوضة . وقد صنعت ذلك ضراعة إلى الله أن يكون ختام هذه المختارات مسكاً وأن يمن الله على جامعها وقارئها بالتقوى ويجنبهم ما استعاذ منه الرسول الكريم ﷺ .

ولا يسعني بعد أن أكرمني الله من فضله بإنجاز هذا الجهد المتواضع إلا أن أتوجه إلى الله الكريم المنان بالحمد والشكر على توفيقه وعظيم فضله وبالدعاء أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعل المثوبة والنفع لجامعه وناشره وقارئه .

ويشرفني أن أتوجه بالشكر الجزيل والعرفان العميق لصاحب الفضيلة العلامة شيخي الدكتور / عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين على تكرمه بقراءة مسودة هذا الكتاب وإبداء بعض الملاحظات المفيدة والتصويبات الرشيدة وتفضله بتقريظ هذا الجهد المتواضع والثناء عليه كرماً منه وتشجيعاً وتغاضيا عن قلة بضاعتي في العلم الشرعي . فجزاه الله عني خير الجزاء وجعل ما يقوم به من خدمة للعلم وطلبة العلم في ميزان حسناته .

كما أتقدم بالشكر الجزيل للصديق العزيز وزميل الدراسة والدعوة الأخ الدكتور/ صالح بن سليمان الوهيبي أستاذ اللغة العربية في جامعة الملك سعود والأمين العام المساعد للندوة العالمية للشباب الإسلامي الذي قرأ الكتاب وصحح ما فيه من الأخطاء اللغوية والإملائية. كما تفضل بإبداء بعض الملاحظات المفيدة والإضافات السديدة في بعض ما يستفاد من بعض الأحاديث. ولا شك أن ملاحظاته أسهمت في تحسين هذا المؤلف.

ويسرني أن أشكر وأنوه بمشاركة زوجتي الدكتورة هدى عباس عافشي التي أسهمت في هذا الجهد فكرة واختياراً وتصحيحاً وإعداداً وتشجيعاً حتى خرج بصورته الحالية. كما أشكر أفراد أسرتي جميعاً الذين وفروا لي من وقتهم وتشجيعهم ما مكنني من إنجاز هذه المختارات الحديثية المباركة. كما لا يفوتني أن أشكر الأخوين الكريمين منير الأسطل وسيد محمود على ما بذلا من جهد في طباعة هذا العمل. أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يشمل الجميع بواسع فضله من الأجر والمغفرة والتسديد . والله ولي التوفيق.

كتبه الفقير إلى فضل ربه الغني

مانع بن حماد الجهني

الحديث الأول

العمل بالنية

أولا : النص :

عن عمرَ بن الخطّابِ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم " إنما الأعمالُ بالنيات وإنما لكلِّ امرئٍ [1] ما نوى ، فمنْ كانت هِجْرتُه [2] إلى اللهِ ورسولهِ فهجْرتُه إلى اللهِ ورسولِه ، ومن كانت هجْرتُه لدنيَا يُصيبها أو امرأةٍ ينكِحُها [3] فهجرته إلى ما هاجرَ إليه " رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث أخرجه البخاري برقم ١ في كتاب الوحي ومواضع أخرى من صحيحه ، ومسلم برقم ١٩٠٧ في كتاب الإمارة . وخرجه أصحاب السنن وغيرهم ، كما خرجه الألباني في عدد من كتبه منها صحيح الترغيب والترهيب برقم ٨ . ورغم شهرة هذا الحديث فإنه يعتبر من أحاديث الآحاد في رواته الثلاثة الأوائل حيث رواه عن عمر علقمة بن وقاص ، وروى عنه محمد بن إبراهيم ، وروى عن الأخير يحيى بن سعيد .

---

(١) أمرئ : إنسان سواء كان رجلاً أم إمرأة .
(٢) الهجرة : الترك وتعني هنا مفارقة دار الكفر خوف الفتنة .
(٣) أي يتزوجها كما في رواية مسلم .

ويعتبر الحديث متواتراً عن يحيى بن سعيد حيث رواه عنه أكثر من ٢٥٠ نفساً ، وفي بعض مراحل السند وصل عدد الرواة إلى حوالي ٧٠٠ شخص كما يذكر الحافظ الهروي .[1]

ثالثاً : الراوي :

راوي حديث " إنما الأعمال بالنيات " هو أبو حفص عمر بن الخطاب (٤٠ ق هـ - ٢٣هـ /٥٨٤ - ٦٤٤م) يلتقي مع الرسول ﷺ في كعب بن لؤي القرشي العدوي . هو ثاني الخلفاء الراشدين وأول من لقب بالفاروق وبأمير المؤمنين . ولد قبل الهجرة بأربعين عاماً . وقد أسلم متأخراً نوعاً ما حيث سبقه أربعون من الرجال وإحدى عشرة امرأة . وقد كان إسلامه عزاً للإسلام والمسلمين حيث قبل الله فيه دعوة رسوله عندما طلب بأن يعز الله الإسلام بأحد العمرين فاختصه الله باستجابة هذه الدعوة فكان إسلامه نصراً وهجرته فتحاً حيث تحدى المشركين وأعلن عزمه على الهجرة فلم يجرؤ أحد على اتباعه .

وقد شهد عمر بن الخطاب بدراً والمشاهد كلها . وكان هو وأبو بكر ممن اعتمد عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء حياته وخلفاه بعد مماته حيث ولي الخلافة بعد أبي بكر الصديق . وكانت فترة خلافته عشر سنين وخمسة أشهر فتح الله خلالها كثيراً من بلاد فارس والعراق وبلاد الشام وبيت المقدس.

وكان عمر بن الخطاب ملهماً موافقاً للحق جريئاً لا تأخذه في الله لومة لائم . قال عنه الرسول ﷺ : " إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ، لم أر عبقرياً يفري فريه ." وقد ظهرت عبقريته رضي الله عنه أثناء حياة رسول الله ﷺ حيث نزل الوحي موافقاً لرأيه في أسرى بدر، واتخاذ مقام إبراهيم مصلى ، وحجاب أمهات المؤمنين .كما ظهرت عبقريته الإدارية أثناء خلافته التي ظهر فيها عدله وزهده

---

[1] انظر مصعب بن عطا الله الحايك **الإلمام بدراسة الأحاديث التي عليها مدار الإسلام** ، دار المعراج الدولية ، الرياض ١٤١٧ هـ ، ص ٤٣١ وما بعدها .

ودُوِّنت خلالها الدواوين ، وتمت كثير من الإصلاحات الإدارية التي احتاجتها الدولة الإسلامية الفتية .

روى عمر بن الخطاب بالإضافة إلى هذا الحديثِ العظيم المئات من الأحاديث . فقد روى له بقي بن مخلد ٥٣٧ حديثاً والإمام أحمد ٣١٠ حديثاً . أسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفاً ومئتي حديث ، اتفق الشيخان على ٢٦ حديثاً وانفرد البخاري بـ ٣٤ حديثاً ومسلم بـ ٢١ حديثاً .

قتل عمر بن الخطاب شهيداً ، طعنه أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة والي البصرة لأربع بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ ، وكان عمره ٦٣ سنة . وقد عين لجنة مكونة من ستة أشخاص ليختاروا من بينهم الخليفة من بعده .

رابعاً : الشرح :

هذا الحديث ذو أهمية بالغة جعلته يحتل الصدارة في كثير من كتب الحديث ، حيث بدأ به البخاري صحيحه وصدر به النووي مختاراته : رياض الصالحين ، والأذكار ، والأربعين النووية . وقد أشار العلماء إلى أهمية هذا الحديث في كثير مما روى عنهم من أقوال. من ذلك ما قاله أبو داوود " إن هذا الحديث نصف الإسلام ، وذلك أن الدين إما ظاهر ، وهو الأعمال أو باطن وهو النية . " وما قاله الشافعي رحمه الله : " هذا الحديث ثلث العلم ، ويدخل في سبعين باباً من الفقه ."

ولهذا فهو أحد الأحاديث التي هي أصول الدين . ومع أن العلماء اختلفوا في هذه الأحاديث الأصول إلا أن حديث " إنما الأعمال بالنيات" محل اتفاق الجميع . وقد أشار إلى هذه الأحاديث الأصول نظماً الحافظ أبو الحسن طاهر المعامري الأندلسي بقوله:

عمدة الدين عندنا كلمات أربع من كلام خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملنْ بنيه

وهو يشير إلى أحاديث " الحلال بين والحرام بين " و " ازهد في الدنيا يحبك الناس " و " من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه " وحديث " إنما الأعمال بالنيات ".

يبيّن الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث بأن الأعمال كافة سواء أكانت قولية أم فعلية يحكم على صلاحها أو عدمه باعتبار قصد من صدرت عنه . فإن كانت نيته خالصة لوجه الله فله الثواب ، وإن كانت غير ذلك فعمله منزوع البركة محروم من الأجر ، وإن تحقق الهدف الدنيوي . وهذا المعنى ورد كثيراً في آيات الذكر الحكيم حيث يقول الله تعالى :" وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ، " (البينة ٥) . وقال جل شأنه : " فاعبد الله مخلصاً له الدين، "(الزمر ٣). وقوله : " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ،" (الكهف ١١٠) .

كما أكد الرسول الكريم ﷺ أهمية النية وخلوصها لله بأحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم أبي هريرة: " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكنه ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ." كما ورد ذلك في الحديث الطويل الذي رواه الأمام مسلم عن أبي هريرة أيضاً حيث ذكر فيه الرسول ﷺ أن أول من تسعّر بهم النار يوم القيامة ثلاثة : مقاتل وعالم وغني متصدق لافتقارهم إلى الإخلاص وتوجه قصدهم لغير الله . والنية شرط من شروط صحة العبادة سواء أكانت المقصودة كالصلاة والحج والصوم أم الأعمال بصفة عامة من أعمال جوارح أو قلوب . وقد اعتبرها جمهور العلماء ركناً لا تصح هذه الأعمال إلا بها . أما الحنفية فاعتبروها في أعمال الوسائل كالوضوء والغسل شرط كمال . والنية هي التي تميز العبادات من العادات كما تميز العبادات بعضها عن بعض .

ووقت النية في أول العبادة مثل تكبيرة الإحرام بالصلاة والإحرام بالحج . وأما الصيام فالنية فيه قبل البدء به . والنية محلها القلب والتلفظ بها بدعة ينبغي تجنبها إلا في الحج فقد رخص بعض العلماء في التلفظ بنية الحج وتحديد النسك المراد الإتيان به .

وتأسيساً على هذا الحكم العام بارتباط صلاح العمل بصلاح النية ذكر الرسول الكريم ﷺ بأن الهجرة التي هي التضحية بترك الأهل والوطن فراراً بدين المرء وانتقالاً من أرض الكفر إلى أرض الإسلام والأمن يحصل أجرها ويعظم ثوابها إذا كانت خالصة لوجه الله وليس لأي هدف آخر . والهجرة في معناها العام هي ترك ما حرم الله ابتغاء مرضاته . وبهذا المعني فهي باقية إلى يوم القيامة .

ولهذا الحديث سبب ورود يوضح معناه حيث ذكر الطبراني في معجمه الكبير بإسنادٍ رجاله ثقات، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس ، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر ، فهاجر فكنا نسميه مهاجر أم قيس . " وقد ذكر ذلك للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فقال هذا الحديث المهم مبيناً أن من يملك الجزاء والثواب على الأعمال يعلم السرائر وما تخفيه الصدور . وبناء على ذلك يجازي أصحابها خيراً إن كانت خالصة ويدعهم إلى ما نووا إن كانت لعرض دنيوي كزواج امرأة أو غير ذلك . فقد يتحقق الهدف الدنيوي النفعي ولكن يفوت الأجر العظيم الذي أعده الله لمن ترك مكة فاراً بدينه إلى المدينة . وقد بين الرسول ﷺ منهج الإسلام في مثل هذه المواقف بأن الناس مطالبون أن يحكموا على ظواهر الأمور ويتركوا النيات إلى الله الذي يعلمها ويجازي أصحابها بما يستحقون . وأكد الرسول ﷺ إجراء الأمور على الظاهر في حديث آخر رواه ابن عمر حيث قال : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا دماءهم

وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله ." وقد ورد هذا الحديث بروايات متعددة عند البخاري والإمام أحمد وغيرهما .

ومما لا شك فيه أن ترك نيات الناس إلى خالقهم وعدم التشكيك بما في الضمائر هو منهج إسلامي فريد يحمي الفرد من سوء الظنون ويترك نيته إلى خالقه . ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم المنافقين وأسماءهم في المدينة فلم يعاملهم حسب معرفته بأحوالهم ، وإنما حسب ما ظهر منهم ، وترك حسابهم على الله . ولا شك أن قيمة مثل هذا التوجيه الرباني تظهر إذا نظر الإنسان فيما حوله وسمع ما يقوله بعض الناس عن بعضهم من التشكيك في نياتهم وحمل تصرفاتهم على أسوأ المحامل مما يخالف تعاليم الإسلام السمحة . وقد كان توجيه الرسول الكريم ﷺ عندما أشار الصحابة إلى مهاجر أم قيس بأن يترك الرجل وشأنه وحسابه على الله . وهذا لا شك أحد أسباب أهمية هذا الحديث العظيم.

خامساً : الأحكام :

يفيد هذا الحديث العظيم جملة من الأحكام أهمها ما يلي :

١) اشتراط النية في الأعمال الصادرة من المؤمنين المكلفين حيث لا تعتبر شرعاً مكسبة للثواب إلا بالنية الصالحة الخالصة لله سبحانه وتعالى .
٢) ضرورة الإخلاص في العمل والعبادة لتحصيل الأجر والثواب في الآخرة والفلاح والتوفيق في الدنيا.
٣) أن كل عمل نافع وخيّر يصبح بالنية وابتغاء مرضاة الله عبادة يؤجر عليها الإنسان .
٤) أن هناك تلازماً بين الظاهر والباطن فلا يستقيم الظاهر إلا إذا استقام الباطن . ولذا قال الرسول ﷺ في الحديث المتفق عليه الذي رواه النعمان بن بشير رضى الله عنه " ... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب . "

٥) ترغيّب هذا الحديث بمعالي الأمور فيحث على الإخلاص في الطاعة والتضحية في سبيل الدين حيث الأجر العظيم .
٦) أن ظواهر الأعمال وحدها غير كافية في الحكم عليها بالصلاح أو عدمه وإنما تجعلها النية صالحة أو طالحة .
٧) عدم التشكيك في نيات الناس وحمل أعمالهم على أحسن المحامل .

الحديث الثاني

تحريم الظلم وسعة فضل الله وعظمته

أولاً : النص :

عن أبي ذَرٍّ الغِفَاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : " يا عبادي إنيّ حرَمتُ الظلمَ [١] على نفسي وجعلتُه بينكم مُحرَّماً فلا تظالموا. يا عبادي كلُّكم ضال [٢] إلا من هديتُه[٣] فاستهدوني [٤] أهْدِكم . يا عبادي كلكم جائعٌ إلا من أطعمته فاستطعموني[٥] أطْعِمْكم. يا عبادي كلُّكم عارٍ إلا من كسَوتُه فاستكسوني [٦] أكْسِكم . يا عبادي إنكم تُخطئون بالليلِ والنهارِ وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعاً فاستغفروني أغْفِرْ لكم . يا عبادي إنكم لن تَبلغوا ضُرِّي [٧] فتَضروني ولن تبلغوا نَفعي فتنفعوني . يا عبادي لو أن أولَكم وآخرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك في مُلْكي شيئاً . يا عبادي لو أن أولَكم وآخركم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما نَقص ذلك من مُلكي شيئاً . يا عبادي لو أن أولَكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم قاموا في صَعيد [٨] واحد فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألتَه ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنقُص المِخْيَطُ [٩] إذا أُدْخِلَ البحرَ . يا عبادي إنما هي أعمالُكم أحصيها [١٠] لكم ثم

---

[١] وضع الأمر في غير محله والتعدي على حقوق الآخرين .
[٢] غافل أو لا يعرف الحق .
[٣] أرشدته إلى الصواب .
[٤] اطلبوا مني الهداية .
[٥] اطلبوا مني ما يطعمكم .
[٦] اطلبوا مني ما يكسوكم .
[٧] تستطيعوا ضري .
[٨] أرض واسعة مستوية .
[٩] الإبرة الكبيرة .
[١٠] أحصرها وتكتبها ملائكتي .

أوفّيكم[1] إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسه. " رواه مسلم .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث خرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٢٥٧٧ في كتاب البر ، باب تحريم الظلم من رواية سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن زيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر رضي الله عنه . كما خرجه الإمام الترمذي برقم ٢٤٩٧ في صفة القيامة وابن ماجة وأحمد من رواية شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي ذر رضي الله عنه .

وهذا حديث عظيم كان أبو إدريس الخولاني إذا حدث به جثا على ركبتيه تعظيماً لشأنه واهتماماً به . وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل " هو أشرف حديث لأهل الشام " . وهذا الحديث

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو جندب بن جنادة الغِفَاري المعروف بأبي ذر رضي الله عنه وكان من قُطَّاع الطرق في الجاهلية . وقد أسلم مبكراً حيث كان خامس أربعة . وهو أول من حيا الرسول ﷺ بتحية الإسلام . هاجر بعد وفاة الرسول ﷺ إلى بادية الشام فأقام بها إلى أن توفى أبو بكر الصديق ، ثم سكن دمشق وجعل يحرّض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم فشكاه معاوية والي الشام إلى عثمان فاستقدمه إلى المدينة .

ولما استمر في دعوته من تقبيح منع الأغنياء أموالهم عن الفقراء طلب منه عثمان الرحلة إلى الربذة وبقى فيها إلى أن مات . ويضرب

---

[1] أعطيكم جزاءها في الآخرة .

بأبي ذر المثل في الصدق ، حيث روى ابن سعد قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم " ما أظلت الخضْراءُ ولا أقلّت الغَبراءُ من رجل أصدقَ لهجةً من أبي ذر." وقد ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصاه بخمس : " أن أرحمَ المساكينَ وأجالسَهم ، وأنظرَ إلى مَنْ تحتي ولا أَنظر إلى مَنْ فوقي ، وأن أَصِلَ الرَّحِمَ وإنْ أدبرت ، وأن أقولَ الحقَّ ولو كان مراً ، وأن أُكثِرَ من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله . ".

وقد سمع بمبعث النبي ﷺ فجاء من أرض غفار بعد أن أرسل أخاه أنيساً فلم يقنع بما أخبره به ، فجاء إلى مكة وقابل الرسول ﷺ بعد انتظار في مكة دام ثلاثين يوماً لا زاد له إلا ماء زمزم . وقد أعلن إسلامه فلقي عنتاً وأذى من مشركي مكة . وعندما عاد إلى قومه أسلم أخوه أنيس وأمه ونصف قومه . وقد كان أبو ذر في الجاهلية من الحنفاء الذين هدتهم فطرتهم إلى الحنيفية . ولذا فقد روي عنه أنه قال صليت قبل أن ألقى الرسول ﷺ بثلاث سنوات . وقد تأخر في غزوة تبوك لضعف بعيره فأخذ عنه متاعه ولحق بالرسول ﷺ . وعندما رآه الرسول ﷺ قادماً قال " رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويبعث وحده ." وقد دعا له الرسول ﷺ : " اللهم أغفر لأبي ذر وتب عليه ." ونصحه الرسول الكريم ﷺ بأن لا يتأمَّر على اثنين . وقد تحققت نبوءة الرسول ﷺ فمات أبو ذر وحده وليس لديه ما يكفن به ، ولم يكن معه إلا زوجه وابنته . وبعد أن غُسّل وكُفن وضع على طريق الحجاج فمر به عبد الله بن مسعود الذي بكاه وواراه في التراب ، وترحم الله له ، وذكر نبوءة الرسول ﷺ حول موته . وقد عده النبي ﷺ من الأربعة عشر رفيقاً (وزيراً) الذين أعطيهم .

روى لأبي ذر البخاري ومسلم ٢٨١ حديثاً وكتبت عنه بعض الكتب منها : أخبار أبي ذر للبادرائي ، وأخبار أبي ذر لابن بابويه القمي ، وأبو ذر الغفاري لعلي ناصر الدين ، وهذا أبو ذر لحسني شيخ عثمان من المحْدَثين .

رابعاً : الشرح :

هـذا الحديـث هـو أشـهر الأحاديث القدسية التي يرويها الرسول الكـريم صلى الله عليه وسلم عن ربه إما بواسطة جبريل عليه السلام أو بـالوحي المباشـر . ويختلف الحديث القدسـي عـن كـلٍ مـن القـرآن الكـريم والحديـث النبوي المعتاد . ولا تنسب للحديث القدسي الصفات التي تنسب للقرآن مثل كونه معجزًا بلفظه ومعناه، وتصح به الصلاة، وعدم جواز روايته بالمعنى ، وعدم مسه من المُحدث ، وترتب الأجر على مجرد تلاوته .

والأحاديث القدسية - وتسمى أحيانا الإلهية -نوع من الحديث الذي يوحي به الله إلى الرسول الكريم ﷺ فيبلغه بلغته وينسب معناه إلى الله سبحانه وتعالى . ويجري على الحديث القدسي ما يجري على الحديث النبوي المعتاد من حيث الصحة والضعف . وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من مائتي حديث قدسي، وأفردها بعض العلماء بتصانيف خاصة ، منهم على بن بلبان في كتابه : المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية .

في هذا الحديث يخبرنا الرسول الكريم ﷺ أن الله سبحانه وتعالي قد حرم الظلم على نفسه لأنه لا يليق به سبحانه حيث قال تعالى : " إن الله لا يظلم الناس شيئاً ..." وكما لم يرتضِ الله الظلم لنفسه فقد حرمه على عباده وأمرهم بعدم الظلم . والسبب في تحريم الله للظلم هو أن الظلم تعدٍّ على حقوق الآخرين وتجاوز للحدود التي وضعها الله سبحانه وتعالى . والظلم من أفظع الذنوب التي يمكن أن يرتكبها الإنسان . ولهذا فقد حذر منه الرسول ﷺ في أكثر من حديث . من ذلك ما ورد في الصحيحين : " إن الظلم ظلمات يوم القيامة " ، وقول الرسول ﷺ : " إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .." ثم قرأ " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ."

والظلم إما أن يكون لازماً بحيث يظلم الإنسان نفسه وأعظم مظاهر ذلك الإشراك بالله كما قال تعالى : " إن الشرك لظلم عظيم". ويلي ذلك ظلم الإنسان لنفسه بالمعاصي والذنوب التي توردها موارد الهلكة في الدنيا والآخرة . وقد يتعدى ظلم الإنسان لغيره من البشر والحيوان من خلال التعدي عليهم بالقول والفعل المؤذي مثل أكل أموال الناس بالباطل أو التعرض لهم بالأذى والاعتداء . وقد توعد الله الظالمين بالعذاب الشديد والعقاب الأليم وقطع على نفسه عهداً بنصرة المظلوم وبيَّن أنْ ليس بينه سبحانه وتعالى وبين دعوة المظلوم حجاب .

وبين الرسول ﷺ حاجة الإنسان وافتقاره إلى الله سبحانه وتعالى في كل أموره ، فهو ضال لا يعرف الحق ولذا فعليه أن يطلب الهداية من الله ، وهو محتاج إلى الله في مطعمه وملبسه ، فلابد أن يطلب ذلك من الله ، والإنسان خطَّاء ، فلابد له من طلب المغفرة من الله الغفور الرحيم . كما بين أن الله سبحانه وتعالى غني عن العالمين لا يستطيعون ضره ، ولا يبلغون نفعه وخزائنه ملأى لا ينقصها شيء مما يعطي مخلوقاته إلا كما تنقص الإبرة ماء البحر إذا أدخلت فيه. ولذا فإن الله يؤكد عدله المطلق ويبين أنه بقدرته وعلمه الشامل يحصي على الناس أعمالهم كلها من خلال ملائكته وحفظته ثم يجازيهم على أعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . ولذا فإنه من الواجب على الناس أن يستعدوا لذلك ويتحملوا نتيجة أعمالهم يوم القيامة ، ولا يلوموا إلا أنفسهم إذا وقع التقصير ووجدوا غير ما يحبون . ولا يخفى ما في ذلك من التنبيه والتحذير والتهديد الذي ينبغي أن يتنبه إليه الناس قبل فوات الأوان .

خامساً : الأحكام :

أفاد هذا الحديث جملة من الأحكام أهمها الآتية :

١) أن الله حرم الظلم على نفسه وعلى عباده .

٢) مشروعية طلب الهداية من الله سبحانه وتعالى .

٣) مشروعية التوجه إلى الله بطلب الرزق مع السعي والأخذ بالأسباب .
٤) ضرورة الاستغفار والتوجه إلى الله بالتوبة النصوح .
٥) أن الله سبحانه وتعالى غني عن العالمين لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية .
٦) أن الله يحصي على الإنسان ما يفعله وسوف يجد ذلك محضراً يوم القيامة ويجازى عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر .
٧) أن رزق الله وملكه واسعان على نحو يقصر عنه إدراك الإنسان .
٨) أن للإنسان الخيار فيما يفعل من خير أو شر ، وهو من ثم محاسب على اختياره .

الحديث الثالث

الناس والعلم

أولاً : النص :

عن أبي موسى الأشْعَريِّ رضى الله عنه قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : " مَثَلُ [١] ما بعثني اللهُ به من الهُدَى والعلْم كمَثَلِ غَيْثٍ [٢] أصاب أرضاً : فكانت فيها طائفةٌ طيبةٌ [٣] قبلَتَ الماءَ فأنبتتْ الكَلأَ [٤] والعُشبَ الكثيرَ ، وكان فيها أجادبُ [٥] أمسكتِ الماءَ فنفع اللهُ بها الناسَ فشَربوا منها وسَقَوْا وزَرَعُوا، وأصاب طائفةً أخرى إنما هي قِيعانٌ[٦] لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنبتُ كلأً . فذلك مَثَلُ مَنْ فَقُهَ [٧] في دين الله ونَفَعَه ما بعثني اللهُ به فعَلِم وعَلَّم ، ومثَلُ مَنْ لم يَرْفَعْ بذلك رَأْساً[٨]، ولم يَقْبَلْ هُدى اللهِ الذي أرسِلتُ به." متفق عليه.

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث رواه الإمام البخاري برقم ٧٩ في كتاب العلم ، باب (فضل من علم وعلم) ، ورواه الإمام مسلم برقم ٥٩٥٣ في الفضائل ، باب (بيان مثل ما بعث الله به النبي من الهدى و العلم) ،

---

(١) نظير وشبيه .

(٢) مطر .

(٣) قطعة جيدة التربة .

(٤) المرعى عامة ، فإذا كان رطباً سمى عشباً .

(٥) أرض صلبة لا تشرب الماء .

(٦) الأرض المستوية التي لا تنبت .

(٧) بضم القاف صار فقيها وبكسرها فهم حيث الفقه في اللغة الفهم وفي الشرع العلم بالأحكام الشرعية واستنباطها من أدلتها التفصيلية .

(٨) لم يستفد من بعثة الرسول ﷺ .

ورواه أهل السنن كالنَّسائي وغيره . وخرجه الألباني في تعليقاته على مشكاة المصابيح برقم ١٥٠ .

ثالثاً : الراوي :

راوي الحديث هو أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري ، ينتسب إلى قبيلة بني الأشعر اليمنية القحطانية . وأبو موسى صحابي جليل أسلم في مكة ، وهاجر إلى الحبشة ، ورجع مع أهل السفينتين ورسولُ الله ﷺ في خيبر . بعثه رسول الله ﷺ ومعاذاً إلى اليمن ليعلم الناسَ القرآن . أثنى الرسول الكريم ﷺ على قراءة أبي موسى للقرآن وقال إنه أوتى مزماراً من مزامير آل داود لجمال صوته بالقرآن . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستقرئه القرآن . استعمل الرسول ﷺ أبا موسى على زَبيد وعَدنَ واستخلفه عمرُ على البصرة فعلَّم أهلها وفقَّههم وافتتح أصبهانَ والأهواز . واستعمله عمرُ وعثمانُ على الكوفة . وقال عنه الشعبي : خذوا العلم عن ستة ذكر فيهم أبا موسى الأشعري رضى الله عنه . وقال ابن المَديني : قضاة الأمة أربعة : عمر وعليّ وأبو موسى وزيد بن ثابت رضى الله عنهم جميعاً . قال عنه الرسول ﷺ : " سيد الفوارس أبو موسى " .

وعلى الرغم من أنه شجَّع أهل الكوفة على اعتزال الفتنة فقد مثَّل الإمام عليًّا رضى الله عنه في التحكيم في الخلاف الذي نشأ بينه وبين معاوية بن أبي سفيان في قضية التحكيم المشهورة . توفي أبو موسى الأشعري عام ٤٤ من الهجرة في الكوفة عن عمر يناهز ٦٢ عاماً . وروى أبو موسى ٣٦٠ حديثاً عن الرسول الكريم ﷺ .

رابعاً : الشرح :

يبين الرسول الكريم ﷺ بمثال توضيحي رائع حقيقة الرسالة التي جاء بها من عند الله وأنها تشبه المطر الذي يحيي به الله الأرض بعد موتها . وكذلك رسالة الإسلام يحيي بها الله النفوس ويرفعها إلى

أعلى الدرجات إذا استجابت لما في هذه الرسالة من الهدى والخير. وقد شبه الرسول ﷺ تعامل الناس مع ما بعثه الله به باستجابة الأرض بأنواعها المختلفة للمطر. فالأرض عندما ينزل عليها المطر لا تخرج عن ثلاثة أنواع: إما أن تكون أرضاً طيبة خصبة تستقبل الماء وتشربه حيث تنبت المرعى والعشب والفواكه والخضروات وغير ذلك مما ينفع الناس. وإما تكون أرضاً صلبة تحتفظ بالماء مدة طويلة بحيث يستفيد منه الناس والدواب والطير في الشرب والزرع وغير ذلك من استعمالات الماء المتعددة. وإما أن تكون النوع الثالث من الأرض وهي الأرض التي لا تمسك الماء سريعا ولا تنبت شيئاً مما يفيد الناس، وبالتالي أصبح ما وقع فيها من الماء هدراً لم يستفد منه أحد.

وقد بين الرسول الكريم ﷺ أن استجابة الناس بأصنافهم المتعددة لرسالته تشبه استجابة الأرض بأنواعها الثلاثة إلى المطر. فهناك صنف من الناس استجابوا لرسالة الرسول ﷺ بالإيمان والعمل فنفعهم الله بذلك، وتعدى نفعهم إلى الآخرين عن طريق التعليم، والدعوة إلى الخير، والنهي عن المنكر، فهم قد استفادوا وأفادوا الآخرين. أما الصنف الثاني من الناس فقد كانوا أوعية لحفظ العلم الذي جاء به الرسول الكريم ﷺ فاستفاد منهم الآخرون وإن لم يستفيدوا هم من الهدى والخير الذي جاء به الرسول ﷺ. وأما الصنف الثالث من الناس فلم ينتفعوا بهذه الرسالة العظيمة، ولم ينفعوا غيرهم وذلك لأنهم حُجبوا عن هذا الهدى بضلالهم وجهلهم وأخلدوا إلى الأرض.

وتظهر روعة التشبيه النبوي في هذا الحديث حيث شبه الإيمان والهدى بالمطر ومن استجاب له فأفاد واستفاد بالأرض الخصبة المنتجة، أما من لم يستفد لنفسه ولكنه أفاد الآخرين فشبهه ﷺ بالخزانات التي تستقبل الماء وتحفظه لمن يحتاجه. بينما شبه من لم يستفد لنفسه ولم يفد غيره بالأرض التي يزل عنها الماء سريعا، ولا تنبت مقابل ذلك شيئاً مفيداً، كما أنها لم تحتفظ بالماء ليُفيدَ منه الناس والدواب. وقد عبر الرسول الكريم ﷺ عمن هذا وضعه من

الناس بأنه لم يرفع بذلك رأساً ، كناية عن إخلاده إلى الأرض وعدم انتفاعه بالهدى والعلم الذي جاء به الرسول ، لا لنفسه ولا لخدمة الآخرين .

خامساً : الأحكام :

أفاد الحديث جملة من الأحكام والمعاني أهمها الآتية :

1) الشبه الواضح بين الهدى والعلم من جهة وبين المطر من جهة أخرى حيث يشتركان في الإحياء.
2) الشبه بين أنواع الناس ، واستجابتهم للحق ، وبين أنواع الأرض ، وتقبلها للمطر .
3) بيان أن الناس مختلفون في الاستجابة للحق .
4) الحث على العلم والتعليم والعمل بالعلم والتحذير من الإعراض عن الحق .
5) بيان ميزة الجمع بين الإفادة والاستفادة من الهدي الرباني ، وهذا يظهر فضل التعلم والتعليم .
6) استحباب ضرب الأمثلة التوضيحية لتقريب المعاني ، وتوضيح المطلوب من التوجيهات بالأمثلة والتشبيهات الحسية .
7) أن ما جاء به الرسول الكريم ﷺ من الهدى والعلم يتضمن حياة النفوس كما يحيي المطر الأرض الموات.

الحديث الرابع

وصية النبي ﷺ للصبي

أولاً : النص :

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلفَ [١] النبي ﷺ يوماً فقال " يا غلامُ [٢] إني أعلّمك كلماتٍ [٣]: احفظِ [٤] اللهَ يحَفظْك [٥] ، احفظِ اللهَ تجدْه تُجاهَك [٦] ، إذا سألتَ [٧] فاسأل الله ، وإذا استعنتَ [٨] فاستعنْ بالله . واعلم أن الأمة [٩] لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه [١٠] الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يَضرّوك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . رُفعت الأقلامُ [١١] وجَفّت الصُّحُفُ [١٢] ." رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وفي رواية غير الترمذي " احفظ الله تجدْه أمامَك ، تعرَّف إلى الله في الرخاء [١٣] يعرفْكَ في الشدة، واعلمْ أن ما أخطأكَ لم يكن لِيُصيبك ، وما

---

(١) راكباً على دابة خلف النبي ﷺ.
(٢) الصبي حتى التاسعة من العمر ، وكان عمر بن عباس حوالي العاشرة .
(٣) جمل من النصائح المفيدة .
(٤) اعرف حدود الله ولا تتجاوزها .
(٥) يحميك .
(٦) أمامك كما في رواية غير الترمذي .
(٧) طلبت شيئاً من أمور الدنيا والآخرة .
(٨) طلبت الإعانة على أي أمر .
(٩) جميع المخلوقين من العقلاء .
(١٠) قدره الله لك .
(١١) أوقفت عن الكتابة .
(١٢) انتهى من كتابتها والمراد اللوح المحفوظ .
(١٣) سعة العيش والراحة .

أصابك لم يكن ليُخطئك، واعلم أن النصرَ مع الصبر وأن الفرجَ مع الكَرْب [1]، وأن مع العُسر يُسْرا ."

ثانياً : التخريج :

روى هذا الحديث المشتمل على النصائح والتوجيهات القيمة الإمام الترمذي برقم ٢٥١٨ في صفة القيامة والورع في باب : ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ، وقال عنه حسن صحيح ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/٣٠٧ ، واللفظ الزائد عن رواية الترمذي رواه عَبْدُ بنُ حَميدٍ في مسنده . والحديث رواه عن ابن عباس خَلْقٌ كثير وأصح رواياته عن حسن الصنعاني كما في رواية الترمذي والإمام أحمد . وأما زيادة عبد بن حميد فقد رواها عن عطاء وفيها ضعف ولكن كثرة طرق الحديث وكذلك الزيادة يعضد بعضها بعضاً . وقد خرجه الألباني وصححه في عدد من كتبه منها تخريج أحاديث مشكاة المصابيح برقم ٥٣٠٢ و شرح العقيدة الطحاوية برقم ٢٧٤ .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ابن عم الرسول الكريم ﷺ ، وأمه أم الفضل لبانة بنت الحارث . ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنوات ، في أثناء حصار بني هاشم في الشعب، وكان عمره عندما قبض الرسول ﷺ ١٣ سنة . وقد دعا له الرسول ﷺ بقوله: " اللهم فَقِّهْه في الدين وعلمه التأويل ، " كما روى ذلك البخاري ومسلم وغيرهما . وقد كان حريصاً على تلقي حديث الرسول ﷺ من أصحابه بعد موته . لُقب ابن عباس بحَبْرِ الأمة وتُرْجُمان القرآن . ولاّه علي بن أبي طالب على البصرة وشهد الجمل وصِفِّين . وكان عمر بن الخطاب يقربه ويحضره

---

[1] الضيق والشدة .

مجلسه لعلمه وفقهه. غزا إفريقية مع عبد الله بن سعد . قال عنه مسروق : كنت إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس ، فإذا نطق قلت أفصح الناس ، فإذا تحدث قلت أعلم الناس . كف بصر ابن عباس في آخر عمره ، وتوفي في الطائف سنة ٦٨هـ وكان عمره إحدى وسبعين سنة . وينسب إلى ابن عباس تفسير يرى المحققون أن نسبته إلى ابن عباس لا تصح ، بل هو من وضع الفيروز ابادي صاحب القاموس . روى ابن عباس ١٦٦٠ حديثاً عن الرسول ﷺ . هذا بالإضافة إلى معارفه المتنوعة في الفقه والمغازي والشعر ووقائع العرب والعربية والأنساب .

رابعاً : الشرح :

يلفت الرسول الكريم ﷺ نظر ابن عمه العباس بن عبد المطلب الذي كان رديفه على بعير إلى أنه سوف يعلمه مجموعة من النصائح المفيدة والتوجيهات القيمة التي سوف تنفعه في دينه ودنياه . وحتى يستأثر الرسول ﷺ بانتباه ابن عباس يناديه بنداء محبب هو: " يا غلام " التزم أوامر الله وقف عند حدوده ، واجتنب ما نهى الله عنه ، فإذا فعلت ذلك فإن الله سوف يحفظك من السوء في الدنيا والآخرة، وسوف تجد الله دائماً معك ومجيباً لدعوتك ومحققاً لرجائك . كما وجه الرسول الكريم ﷺ ابن عباس إلى أن يدعو الله في كل شأنه الدنيوي والأخروي وألا يطلب شيئاً من الناس ، فإن الله هو القادر على العون . والاستغاثة عبادة ينبغي أن لا تصرف إلا لله . وفي هذا الإطار التربوي يؤكد الرسول الكريم ﷺ لابن عباس ان النافع والضار هو الله سبحانه وتعالى ،وأن الخلق جميعاً لو أرادوا أن ينفعوا الإنسان فلن ينفعوه إلا بما قدره الله عليه في الأزل . والسبب في ذلك أن الأمر قد فرغ منه وأن ما سوف يحصل للإنسان في مستقبل حياته قد كتبه الله في اللوح المحفوظ ولا مبدل لكلمات الله .

وحيث إن الإنسان مُعرّض للمصائب فلا بد له من أن يستعين بالله سبحانه وتعالى . والاستجابة وكشف الضر عندما تقع الشدائد يحصلان متى كان الإنسان حسن الصلة بالله كثير اللجوء إليه في

وقت الراحة وسعة العيش ، ولا يجعل اللجوء إلى الله في وقت الشدة والحاجة فقط . ويؤكد الرسول الكريم ﷺ أن الله قدر الأمور قبل وقوعها ، ومن ثم فليكن معلوماً أن ما يحصل للإنسان من خير أو شر لا مفر منه ، وأنه قد سبق تقديره في علم الله . ولذا فيجب على الإنسان المؤمن العاقل أن يرضى بما يقع له من الخير والشر لأن كل ذلك بقضاء الله وقدره .

وقد بين الرسول الكريم ﷺ أن هناك أموراً محبوبة ومرغوبة في الحياة مرتبطة بأمور أخرى لا تحبها النفس ،وقد تراها من المصائب التي تريد السلامة منها . من هذه الأمور ارتباط النصر المحبوب والفوز المرغوب بالصبر المر والتحمل الصعب الذي لا يطيقه كثير من الناس . ولذا قيل "من صبر ظفر" . كما أن الخروج من المحن والمصائب لا يأتي إلا بعد الشدة والمعاناة . (وفي ذلك الوقت عندما يأتي الفرج يكون له قيمة وطعماً خاصاً يظهر محاسنه ويبرز قيمته) . ومن سنن الله الكونية أن يأتي الخلاص بعد الشدة، وأن يكون مع العسر يسراً يغلبه ويمحو آثاره في النهاية .بل يكون مع العسر يسران كما ورد بذلك حديث الرسول الكريم ﷺ .

خامساً : الأحكام :

أفاد هذا الحديث عدداً من الأحكام أهمها ما يلي :

١) استحسان لفت انتباه المخاطب إلى الأمور التي يراد توجيهه لها .
٢) الطريق إلى حفظ الله للعبد ورعايته هو تقوى الله واتباع أوامره واجتناب نواهيه والتوقف عند حدوده.
٣) تحريم سؤال غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله .
٤) النفع والضر بيد الله سبحانه والناس لا يملكون من ذلك شيئاً .
٥) اقتران النصر مع الصبر والفرج مع الشدة وأن العسر يتبعه يسر لا محالة .

٦) عظم مراقبة الله سبحانه وتعالى ، ومراعاة أوامره ونواهيه ، وضرورة التوكل عليه ، واللجوء إليه في كشف المكروه .

٧) وجوب الإيمان بالقضاء والقدر كما ورد في القرآن والسنة .

الحديث الخامس

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولاً : النص :

عن النُّعمان بن بَشِير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : " مَثَلُ القائم (١) في حدود الله (٢) والواقع (٣) فيها كمَثَل قوم اسْتَهموا (٤) على سفينةٍ ، فصار بعضُهم أعلاهَا ، وبعضُهم أسفلَها وكان الذين في أسفلها إذا استقوا (٥) من الماء مَرُّوا على مَنْ فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا (٦) في نصيبنا خَرْقاً ولم نُؤذِ مَنْ فوقنا . فإذا تركوهم (٧) وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا (٨) على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً ." رواه البخاري .

ثانياً : التخريج :

الحديث رواه الإمام البخاري برقم ٢٤٩٣ في كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة ، وفي كتاب الشهادات بلفظ آخر مختلف قليلا ، ورواه الترمذي برقم ٢١٧٤ في الفتن ، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب ، وخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٦٩ .

---

(١) المحافظ على محارم الله وحدوده .
(٢) محارمه التي نهى عن ارتكابها .
(٣) المرتكب لمحارم الله .
(٤) اقترعوا .
(٥) احتاجوا الماء وذهبوا لجلبه .
(٦) فتحنا أو خرمنا .
(٧) سمحوا لهم ولم يمنعوهم .
(٨) منعوهم من تنفيذ ما يريدون .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو أبو عبد الله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري ، وهو صحابي هو وأبوه وأمه رضي الله عنهم . كان أول مولود للأنصار من المسلمين بعد الهجرة ، وكان عمره عند وفاة الرسول ﷺ ثماني سنين وسبعة أشهر . كان والياً على حمص لعلي ثم لمعاوية على الكوفة . كان خطيباً مفوَّهاً وشاعراً مجيداً تنسب إليه معرَّة النعمان بلد المعري الشاعر . ولي القضاء بدمشق وولي اليمن لمعاوية بن أبي سفيان . وعندما قُتل عثمانُ بن عفان وجهته نائلة زوجُ عثمانَ بقميصه إلى معاوية . ولما بويع لعبد الله بن الزبير بالخلافة في مكة دعا له في حمص فثار عليه أهلها انتصاراً للأمويين وقتلوه سنة ٦٤ للهجرة حيث قتله خالد الكلاعي . وقد روى النعمان ١٢٦ حديثاً عن رسول الله ﷺ .

رابعاً : الشرح :

يمثل الرسول الكريم ﷺ المجتمع بسفينة في عرض البحر ، كما يمثل أفراد المجتمع بركاب هذه السفينة . وقد بين الرسول الكريم ﷺ أن المجتمع غالباً يتكون من أناس صالحين في أنفسهم ويحافظون على سلامة المجتمع ، ويأخذون على أيدي المجرمين . كما بين أن آثار تخريب المخربين قد تعود بالضرر على المجتمع كله . ولذا ندب القائمين على الحفاظ على حدود الله في المجتمع المسلم إلى أن يكونوا يقظين ، ويوقفوا كل أعمال التخريب قبل أن يستفحل خطرها . وقد وضح العلاقة بين المصلحين في المجتمع الإسلامي ، والمخربين بالعلاقة بين ركاب السفينة الواحدة الذين احتل قسم منهم أعلاها وقسم أسفلها. وقد لاحظ ساكنو الأسفل أنهم إذا أرادوا الماء فلابد أن يظهروا إلى أعلى السفينة ويمروا على سكانه حيث يأخذون الماء من هناك . وفي هذا الصنيع شيء من الإزعاج لأهل العلو من السفينة ، ولذا فكر أهل الأسفل بأن يثقبوا ثقباً في مكانهم

ويحصلوا على الماء مباشرة دون أن يزعجوا من فوقهم . ورغم نبل قصد أهل السفل فإن عملهم هذا يمكن أن يؤدي إلى هلاك الجميع. ولذا ندب الرسول الكريم ﷺ أن يتصدى أهل العلو لأهل السفل ويوقفوهم عند حدهم قبل هلاك الجميع . وهم بهذا التدخل ينقذون السفينة وركابها من هلاك محقق .

وهذا التدخل هو ما ينبغي أن يقوم به المسؤولون عن حدود الله والمحافظون عليها ضد كل من تسوّل له نفسه العبث بهذه الحدود حتى لا يتعرض المجتمع بكل مؤسساته للخطر والدمار . ولا شك أن تدخل أهل العقد والحل من ولاة الأمر والعلماء لإيقاف المفسدين عند حدهم ، والحفاظ على المجتمع المسلم من الفساد هو الضمان الوحيد لسلامة المجتمع ، والضرب على أيدي المفسدين .

ولأهمية هذا الموْضوع وضرورة أن يفهمه الجميع استعمل الرسول الكريم ﷺ هذا التشبيه الحي المتحرك المطابق لواقع المجتمع الذي يوجد به المصلحون والمفسدون على حد سواء . وهذه ظاهرة اجتماعية لا يخلو منها أي مجتمع بشري . والنتيجة المحتومة أنه إذا قصر المصلحون في القيام بواجبهم من الهداية والتقويم والإصلاح فسوف ينجح المفسدون في التخريب والفساد . ولذا حرص الإسلام على أن تقوم فئة من أفراد المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تستقيم دفة الحياة وتسلم سفينة المجتمع من المعاطب .

خامساً : الأحكام :

أفاد هذا الحديث بعض الأحكام المهمة أبرزها ما يلي :

١) أن سكان المجتمع يتكونون من مصلحين ومفسدين .
٢) أن الإنسان مطالب بأن لا يصدر منه ما يؤذي الآخرين حتى لو كان ذلك عن حسن نية .

٣) ضرورة أن يتصدى المصلحون لوقف فساد المفسدين حتى لا يهلك المجتمع .

٤) ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لصلاح المجتمعات الإنسانية .

٥) ضرورة أن يوجد في المجتمع سلطة تأخذ على أيدي العابثين بالأمن والمفسدين في الأرض حفاظاً على سلامة الناس وممتلكاتهم .

٦) استحباب ضرب الأمثال عند تعليم الناس لتقريب المعنى وتسهيل الفهم عليهم .

الحديث السادس

خطبة الوداع

أولاً : النص :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خطب رسول الله ﷺ الناس في يوم عرفة فقال : " الحمدُ لله نحمده ونستعينه [١] ونستغفره [٢] ونتوب إليه ونعوذ [٣] بالله من شرور أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِ اللهُ فلا مضلَّ له ومن يضللْ فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أُوصيكم عبادَ الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته وأستفتح [٤] بالذي هو خير . أما بعد أيها الناس اسمعوا منى أُبَيّنْ لكم، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا [٥] في موقفي هذا [٦] . أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم حَرامٌ [٧] عليكم إلى أن تلقوا ربَّكم كحُرْمةِ يومِكم [٨] هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا ، ألا هل بلَّغتُ ؟ [٩] ، اللهم فاشهد . فمن كانت عنده أمانة [١٠] فليؤدِّها إلى من ائتمنه عليها . وإنَّ ربا الجاهليةِ موضوعٌ [١١] ، وإن أولَ ربًا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب . وإن دماءَ

---

[١] نطلب منه العون .
[٢] نسأله غفران الذنوب .
[٣] نلجأ إليه ونحتمي به .
[٤] أبدأ .
[٥] عام ١٠ من الهجرة حين وقعت حجة الوداع .
[٦] في عرفة يوم التاسع من ذي الحجة .
[٧] ممنوعة عليكم ومصونة منكم .
[٨] كقداسة يوم عرفة في الشهر الحرام وفي البلد الحرام .
[٩] أديت الرسالة .
[١٠] وديعة أو حق .
[١١] باطل وملغي .

الجاهلية موضوعة [١] ، وإن أول دم أبدأ به دمَ عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . وإن مآثرَ [٢] الجاهليةِ موضوعةٌ غيرَ السِّدانة [٣] والسِّقاية . [٤] والعَمْد[٥] قَوَدٌ [٦] وشِبهُ العمدِ ما قتل بالعصا والحجر وفيه مئة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية. أيها الناس : إن الشيطانَ قد يئس أن يُعْبَدَ في أرضِكم هذه ، ولكنه قد رضيَ أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تَحقِرون [٧]من أعمالكم . أيها الناس : إنما النسيء [٨] زيادة في الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يُحِلّونه عاماً ويُحَرِّمونه عاماً ليُواطِئُوا [٩] عِدَّة مَا حرَّم اللهُ ، وإن الزمانَ قد استدار [١٠] كهيئته يومَ خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ . وإن عِدَّة الشهورِ عند الله اثنا عَشَرَ شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ؛ [١١] ثلاث متواليات وواحد فَرْدٌ: ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذي بين جمادي الثاني وشعبان . ألا هل بلغت ؟ اللهم فأشهد . أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقا [١٢] ولكم عليهن حق ، لكم عليهن أن لا يُوطِئْن [١٣] فُرُشَكم غَيْرَكم ، ولا يُدخِلن أحداً تَكرهونه بيوتَكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة [١٤] ، فإن فعلن فإن اللهَ قد أذن أن

---

[١] مهدرة لا يطالب بها .
[٢] المكارم المتوارثة .
[٣] خدمة الكعبة .
[٤] سقاية الحجاج .
[٥] القتل المتعمد .
[٦] قتل القاتل .
[٧]) تعتبرونه صغيراً .
[٨] تأخير الأشهر الحرم .
[٩] يوافقوا
[١٠] دار دورة كاملة .
[١١] مقدسة لا يجوز فيها ظلم النفس أو التعدي على الآخرين.
[١٢] واجبات وحقوق .
[١٣] يدخلن بيوتكم من يطأ على فرشكم .
[١٤] يزنين .

تَعْضُلوهن [١] وتَهجروهن في المضاجع وتَضربوهن ضَرباً غير مُبَرِّح [٢] ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكِسْوتُهن بالمعروف . وإنما النساء عندكم عَوَانٍ [٣] لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانةِ اللهِ ، واستحللتم فروجَهن بكلمةِ الله[٤] ، فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهن خيراً. ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد. أيها الناس : إنما المؤمنون إخوةٌ ، ولا يَحِلُ لامرئٍ مالَ أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد. فلا تَرجِعُنَّ كُفَّاراً[٥] يضربُ بعضُكم رقابَ بعض ، فإني تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لم تَضِلوا [٦] بعده: كتابَ الله. ألا هل بلغتُ ؟ اللهم فاشهد. أيها الناس: إن ربَّكم واحدٌ وإن أباكم واحدٌ، كلُّكم لآدمَ وآدمُ من تراب، إن أكرمَكم عند اللهِ أتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فَضْلٌ إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهدْ. قالوا: نعم، قال : فليُبَلِّغ الشاهدُ [٧] الغائبَ . أيها الناس : إن الله قد قسَم [٨] لكل وارثٍ نصيبَه من الميراث ولا يجوزُ لوارثٍ وصيةٌ ، ولا يجوزُ وصيةٌ في أكثر من الثلثِ، والولدُ للفراشِ [٩] وللعاهر [١٠] الحجرُ [١١] ، من ادَّعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناس أجمعين ، لا

---

[١] تضيقوا عليهن .
[٢] غير شديد بحيث لا يترك أثراً .
[٣] أسيرات .
[٤] بشرع الله من خلال عقد الزواج .
[٥] مرتدين عن الإسلام .
[٦] تزيغوا عن الحق .
[٧] الحاضر .
[٨] حدد لكل وارث .
[٩] الذي ولد فيه كناية كونه ينسب لمن ولد في بيته وهو زوج المرأة الوالدة .
[١٠] الفاجر الزاني الذكر وكذلك الأنثى .
[١١] الرجم بالحجارة .

يُقْبَلُ منه صرفٌ [1] ولا تحوُّلٌ. [2] والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ." رواه مسلم .

ثانياً : التخريج :

هذه الخُطبة وردت في حديث جابر بن عبد الله الطويل الذي يصف به حجة النبي ﷺ . وقد أورد معظمه الإمام مسلم رقم ١٤٧ في كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ . كما أورد معظمه ابن ماجة برقم ٣٠٧٤ في كتاب المناسك ، باب حجة النبي ﷺ . وأورد المباركفوري معظم الخطبة في صفحتي ٥١٦ ، ٥١٧ من الرحيق المختوم نقلاً عن ابن هشام . وقد اعتمدت فيما أثبته من خطبة النبي في عرفات على ما أورده محمد خليل الخطيب في خطب الرسول ﷺ ص ٦٢-٦٤ . وقد لاحظت أن مصادره لهذه الخطبة كتباً أدبية وليست حديثية مثل : البيان والتبيان والعقد الفريد . وبالرغم من أني ذكرت أن راوي هذه الخطبة هو جابر بن عبد الله فإن بداية الخطبة وكذلك نهايتها لم ترد في صحيح مسلم ولا في سنن ابن ماجة فقد أوردا من بداية " إن دماءكم وأموالكم ... إلى ... اللهم فاشهد ، " فقط . وكثير من المصادر أوردت أجزاء من خطبة حجة الوداع في عرفات في موضوعات وأبواب متفرقة حسب الحاجة والموضوع .

ثالثاً : الراوي :

هو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام الخزرجي الأنصاري السُّلَمي صحابي جليل له ولأبيه صحبة . وكان قد شهد العقبة وذكر أنه حضر مع الرسول ﷺ تسع عشرة غزوة . يُعَد جابر أحدَ المكثرين من رواية الحديث عن رسول الله ﷺ وروى عنه جماعة من الصحابة . ومن أشهر ما رُوى عنه حديثُ صفة حج النبي ﷺ الذي وردت فيه خطبة الرسول ﷺ بعرفة . وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما

---

[1] توبة .
[2] فدية أو حيلة .

١٥٤٠ حديثاً عن جابر . وقد كان لجابرٍ حلقة في المسجد النبوي ، وقد عمي في أخريات أيامه وعمر طويلاً حيث يقال إنه عاش أربعاً وتسعين سنة . ولذا فهو يعد من آخر من توفي من أصحاب الرسول ﷺ بالمدينة المنورة وذلك في عام ٧٤هـ .

رابعاً : الشرح :

ألقى الرسول الكريم ﷺ خطبة عظيمة يوم عرفة في حجة الوداع التي أداها في السنة العاشرة من الهجرة . ومع أن الرسول ﷺ اعتمر أربع مرات إلا أنه لم يحج إلا حجة الوداع هذه . وقد ألقى النبي ﷺ خطبة الوداع وهو على ظهر ناقته القصواء واقفاً في بطن الوادي من أرض عرنة .

بدأ الرسول الكريم ﷺ خطبته التاريخية بحمد الله والثناء عليه والاستعانة به والتوبة إليه وطلب الحماية والالتجاء من شرور النفس وسيء العمل ، ثم قرر أن الهداية والضلال بيد الله دون سواه . وبعد أن تلفظ بكلمة التوحيد المتمثلة في الشهادتين أوصى الجمع الغفير الذي وقف بعرفة معه بتقوى الله وبخشيته ، وحثهم على طاعته . بعد ذلك بدأ بطلب النصر والتوفيق من الله وطلب من الناس الانتباه لما يقول لأهميته ولاحتمال أن لا يلتقي بهم في هذا المكان مستقبلاً . وقد أكد الرسول الكريم ﷺ الحرمة الدائمة لدماء المسلمين وأموالهم وشبهها بحرمة الزمان والمكان الذي يعيشونه في يوم عرفة من شهر الله المحرم، ذي الحجة ، في بلد الله الحرام ، مكة المكرمة ، وفي عرفات الله . وتأكيدًا لذلك أشهد عليهم الله سبحانه وتعالى بعد أن سألهم هل بلَّغ الرسالة . ثم وجههم بأن يؤدوا الأمانات إلى أهليها ، وأن يتخلصوا من مسائل الجاهلية المتعلقة بالأموال الربوية والأخذ بالثأر . وقدم أمثلة حية عملية فأبطل ربا عمه العباس بن عبد المطلب وأهدر دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الذي قتله بنو هذيل أثناء استرضاعه في بني ليث . كما أبطل الحقوق المكتسبة في الجاهلية

واستثنى من ذلك مآثر سقاية الحجاج وسدانة البيت . وبعد ذلك بيّن الطريقة الصحيحة في أخذ الحقوق المتعلقة بالدماء حين قرر أن قتل العمد فيه القصاص ، وأن شبه العمد الذي ينتج عن سلاح لا يقتل في الغالب كالعصا والحجر فيه الدية ومقدارها مئة بعير فقط ، ومن أخذ زيادة فقد تصرف الجاهلية .

وقد بين الرسول الكريم ﷺ أن الإسلام قد استقر في القلوب بحيث يئس الشيطان من أن يجد من يعبده في أرض الإسلام ، ولكنه سوف يسعى ويقنع بأن يطاع في الأمور التي يظن الناس أنها صغيرة . ثم أبطل الرسول الكريم ﷺ عادة سيئة أخرى من عادات الجاهلية كانوا يلجئون إليها عند الحاجة وهي تأخير حرمة بعض الأشهر إذا كانوا في حرب فينقلون تلك الحرمة إلى الشهر الذي يليه ، وإذا استدعى الأمر فقد يؤخرون الحرمة إلى الشهر الآخر الذي يليه بحيث قد يصل الأمر إلى تحريم شهور السنة كلها. وبين الله سبحانه وتعالى أن هذا العمل ما هو إلا تمادٍ وزيادة في الكفر والضلال حيث اعتبروا التحريم خاصًا بمجرد العدد وليس الخصوصية المرتبطة بالأشهر الحرم نفسها ، فهم يؤخرون الأشهر الحرم حسب حاجتهم ويكتفون بأن يوافقوا عدة الأشهر الأربعة المحرمة . ولذا فقد بين النبي الكريم ﷺ أن الأشهر الحرم كما حددها الله هي : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب .

ولأن حقوق المرأة كانت مغموطة في الجاهلية فقد بين الرسول الكريم ﷺ في هذه الخطبة العظيمة أن للنساء حقاً على الرجال ، كما أن للرجال عليهن حقاً . فحق الرجلِ على المرأة أن تحفظه في نفسها وفي بيتها فلا تدخل بيت الرجل أحداً يكرهه إلا بإذنه ، كما أنها لا ترتكب فاحشة الزنا . فإذا فعلت شيئاً من ذلك فقد أعطت الرجل الحق في أن يحبسها ويهجرها في المنام بل يضربها ضرباً غير شديد . أما إذا التزمت المرأة بواجباتها وأطاعت زوجها فمن حقها عليه الإطعام والكسوة والمعاملة الحسنة الكريمة . وذكر الرسول الكريم ﷺ أن النساء كالأسيرات عند الرجال لا يستطعن فعل شيء ،

وأن ما أُعطي للرجال عليهن من حقوق هو نتيجة عقد الزواج الذي أوتمن الرجال على تنفيذ بنوده وبموجبه حل لهم الاستفادة والاستمتاع بالنساء . وقد أكد عليه الصلاة والسلام تقوى الله في التعامل مع النساء وأوصى الرجال بهن خيراً .

وبعد أن أشهد الله سبحانه وتعالى على أنه بلغ الناس رسالته عامة وحقوق المرأة خاصة أكد لهم أن المؤمنين إخوة وأن لأموالهم حرمة بحيث لا يصح أخذها إلا برضى أصحابها . ثم انطلق الرسول الكريم ﷺ يحذر الأمة من احتمالات المستقبل المتمثلة في الخلاف والتناحر والقتال الذي قد يفضي إلى الكفر ، وبين أن المخرج من ذلك هو في التمسك بكتاب الله الذي يعصم من الضلال والفرقة . ثم بين للناس أنهم يملكون أسس الوحدة والوئام وذلك لأن ربهم واحد وأباهم واحد هو آدم عليه السلام ، وأصلهم واحد هو التراب، فالتفاضل إذن بالتقوى والعمل الصالح وليس بالأصل والجنس . فليس لعربي فضل على عجمي إلا بمقدار خشيته لله وقربه منه . بعد ذلك بين الرسول الكريم ﷺ بعض الحقوق التي إذا لم يتبع فيها منهج الله قد تقود إلى النزاع والفرقة كما هو الحال في مجال توزيع الميراث . فالله سبحانه وتعالى حدد نصيب كل وارث من التركة، كما بين أنه لا وصية لوارث ، وأن الوصية لا تصح بأكثر من ثلث التركة . كما بين أن الناس قد يتنازعون في موضوع النسب ، ولذا فقد وضح أن من زنى بامرأة وولدت منه فإن الولد لزوجها الشرعي الذي ولد الطفل في بيته، أما الزاني فليس له إلا الرجم بالحجارة . وحرم الرسول الكريم ﷺ بهذه المناسبة انتساب الإنسان لغير أبيه أو تغيير ولائه لغير مواليه . وتوعد من يفعل ذلك بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وأنه لا يقبل الله منه توبة ولا تنفعه فدية وذلك لشناعة هذا الصنيع . وقد أنهى الرسول الكريم ﷺ هذه الخطبة العظيمة والطويلة نسبياً بين خطبه الموجزة بأن سلم على الجمع مؤذناً بختام بيانه العظيم وإعلانه

الشامل، وقد لخص الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه العظيم زاد المعاد في هدي خير العباد محتوى هذه الخطبة بالكلمات الآتية :

" قرر فيها قواعد الإسلام ، وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية، وقرر فيها تحريم المحرمات التي اتفقت الملل على تحريمها ، وهي الدماء والأموال والأعراض ، ووضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه ، ووضع فيها ربا الجاهلية كله وأبطله ، وأوصاهم بالنساء خيراً ، وذكر الحق الذي لهن والذي عليهن ، وأن الواجب لهن الرزق والكسوة بالمعروف ولم يقدر ذلك بتقدير ، وأباح للرجال ضربهن إذا أدخلن إلى بيوتهن من يكرهه أزواجهن ، وأوصى الأمة فيها بالاعتصام بكتاب الله ، وأخبر أنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين به . ثم أخبرهم أنهم مسؤولون عنه ، واستنطقهم بماذا يقولون ، وبماذا يشهدون . فقالوا نشهد إنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فرفع إصبعه إلى السماء واستشهد الله عليهم ثلاث مرات ، وأمرهم أن يبلغ شاهدهم غائبهم ." ٢/٢٣٣ .

خامساً : الأحكام :

اشتملت هذه الخطبة العظيمة على كثير من الأحكام المهمة منها :

١) استحباب بدء الخطبة بالحمد لله وطلب المعونة من الله .
٢) استحباب اشتمال الخطبة على الشهادتين والوصية بتقوى الله .
٣) استحباب لفت انتباه الحاضرين بما يجذبهم ويقنعهم بأهمية الموضوع .
٤) حرمة الدماء والأموال وأنها لا تحل إلا بحقها .
٥) الأمر بتأدية الأمانة .
٦) تحريم الربا والأخذ بالثأر خارج الوسائل الشرعية .
٧) إبطال مآثر الجاهلية إلا ما أقره الإسلام .
٨) أن في قتل العمد القصاص وفي شبه العمد الدية .

٩) الحذر من مساعي الشيطان لإيقاع الإنسان في محقرات الذنوب إذا عجز عن جره للكبائر .

١٠) تحريم تأخير الأشهر الحرم ، وتحديدها بالأربعة المذكورة .

١١) تحديد حقوق النساء وواجباتهن .

١٢) الوصية بالنساء خيراً لضعفهن والقيام بمسئوليات الأمانة تجاههن.

١٣) إثبات الأخوة الإيمانية وتحريم مال المسلم .

١٤) التحذير من الفرقة والخلاف وضرورة التمسك بالكتاب .

١٥) أن الناس متساوون من حيث الأصل وأن التفاضل بالتقوى والعمل الصالح .

١٦) أن الله حدد نصيب كل وارث وأن الوصية لا تزيد عن الثلث ولا نصيب للوارث فيها .

١٧) أن ولد الزنى لزوج المزني بها وأن الزاني المحصن يرجم سواء أكان رجلا أو امرأة .

١٨) تحريم أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه أو يوالى غير مواليه .

١٩) استحباب إنهاء الخطب المهمة بما يشعر بنهايتها كالسلام وغيره.

الحديث السابع

القرآن الكريم وصفاته

أولاً : النص :

قال الحارث بن عبد الله الهَمْدَاني الأعور: مررتُ في المسجدِ فإذا الناسُ يخوضون (١) في الأحاديث ، فدخلتُ على عليٍ فأخبرته ، فقال : أوَقَدْ فعلوها ؟ قلت نعم ، قال : أما إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : ألا إنها ستكون فتنةً (٢) ، قلت: ما المخرجُ (٣) منها يا رسول الله ؟ قال : كتابُ الله، فيه نبأ ما قبلكَم ، وخبرُ ما بعدَكم ، وحُكْمُ ما بينكم ، هو الفصلُ (٤) ليس بالهَزْلِ (٥)، من تَركه من جَبَّار (٦) قصَمه (٧) اللهُ، ومن ابتغى الهُدَى في غيره أضلهَّ اللهُ، وهو حَبْلُ(٨)اللهِ المتينُ (٩)، وهو الذِّكْرُ (١٠) الحكيمُ ، وهو الصراطُ (١١) المستقيمُ، وهو الذي لا تزيغُ (١٢) به الأهواءُ، ولا تلتبسُ (١٣) به الألسنُ ،ولا يَشبعُ منه العلماءُ ، ولا

---

(١) يتحدثون بغير علم أو نظام .
(٢) ابتلاء واضطراب وبلبلة في الأفكار .
(٣) المنقذ والمنفذ .
(٤) الفارق بين الحق والباطل .
(٥) هو جد كله .
(٦) المتسلط العاتي .
(٧) أهلكه .
(٨) عهد الله وأمانه .
(٩) القوي الشديد .
(١٠) الشرف أو القول .
(١١) الطريق والمنهج
(١٢) تضل .
(١٣) يصعب أو يختلط عليها .

يَخْلَقُ [1] على كثرة الرَّد [2] ، ولا تنقضي عجائبُه [3] ، هو الذي لم تَنْتَهِ [4] الجنُّ إذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً [5] يهدي إلى الرشد [6] فآمنا به ." من قال به صَدَق ومن عمل به أجِر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم " خُذْها [7] إليك يا أعورُ . أخرجه الترمذي .

وقد أورد بن الأثير الجزري في جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ[8] عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قريباً منه قال : " نزل جبريل عليه السلام على عهد النبي ﷺ ، فأخبره : أنها ستكون فتنةً، قال فما المخرجُ منها يا جبريل ؟ قال : كتابُ الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، ونبأ ما هو كائنٌ بعدَكم ، وفيه الحُكْمُ بينكم ، وهو حبلُ اللهِ المتينُ ، وهو النورُ المبينُ، وهو الصراطُ المستقيمُ ، وهو الشِّفاء النافعُ ، عِصْمةٌ [9] لمن تَمسَّكَ به ، ونجاةٌ لمن اتَّبعه . لا يعوَجُّ [10] فيُقوَّمَ [11] ، ولا يزيغ فيُستعتَبَ [12] ، ولا يخْلَقُ على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه. هو الذي لا تلتبس [13] به الأهواءُ ، ولا تشبع منه العلماءُ ، هو الذي لم تتناهَ الجن إذ سمعته أن قالوا:"إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به."

---

(1) يقدم أو يبلى .
(2) التكرار أو الترديد .
(3) معجزاته وأموره المعجبة .
(4) لم يلبثوا ولم يترددوا .
(5) معجباً ومعجزاً .
(6) الحق والصواب .
(7) افهم هذه الحكمة واستفد منها .
(8) الحديث رقم ٦٢٣٢، ج٨ ، ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ .
(9) منعة وملجأ .
(10) يميل ، ينحرف .
(11) يعدّل .
(12) يعاتب أو يسترضى .
(13) تختلط .

مَنْ وَلِيَه [1] من جبَّار فحكمَ بغير ما فيه قصَمه اللهُ ، ومن ابتغَى الهُدىَ من غيره أضلَّه اللهُ ، من قالَ به صدَق ، ومن عَمِل به أُجِرَ ، ومن تَبِعه هُدِي إلى صراط مستقيم." أخرجه رزينٌ .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث أخرجه الإمام الترمذي برقم ٢٩٠٦ في باب ما جاء في فضل القرآن ورواه أيضاً الدارمي ٤٣٥/٢ عن حمزة الزيات عن أبى المختار الطائي عن ابن أبي الحارث الأعور عن الحارث . قال عنه الترمذي " هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول ، وفي حديث الحارث مقال . ورواه أيضاً الإمام أحمد في مسنده برقم ٧٠٤ عن طريق محمد بن إسحاق قال : وذكر محمد بن كعب القرظي عن الحارث بن عبد الله ... الحديث . وخرج الحديث الألباني في شرح العقيدة الطحاوية برقم ٣ ، وقال عنه " هذا حديث جميل المعنى ، ولكن إسناده ضعيف . " ثم ذكر ما قاله الترمذي عن الحديث. وأما الرواية التي عن عبد الله بن عمر فقد أخرجها رزين .

وقد ذكر الحديث أيضاً ابن كثير في فضائل القرآن بمعناه عقب حديث الحارث من حديث عبد الله بن مسعود وقال : رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه فضائل القرآن ، وقال هذا غريب من هذا الوجه .

وعلى الرغم من أن في هذا الحديث مقالاً من حيث السند بل يرى بعض العلماء عدم رفعه ، ويراه من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلا أنه كلام حسن ومعناه صحيح وورد من طرق يقوِّي بعضُها بعضاً ، حيث رُويت معظم أجزائه عن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود . وقد أورد حديث بن مسعود الحاكم حديث ٥٥٥/١ عن طريق الهَجَرِيّ . وسبب اختياري لهذا الحديث في

---

[1] اصبح مسئولاً عن تطبيقه .

هذه المختارات كونه أفضل وصف ورد للقرآن الكريم ، ولأن بعض ما اشتمل عليه من وصف قد ورد في آثار أخرى ، وحتى لو أخذنا بوقفه على الإمام علي رضي الله عنه فهو جدير بالدراسة والتأمل .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي ، أبو الحسن ابن عم النبي الكريم ﷺ وأخوه بالمآخاة التي أجراها النبي ﷺ بين أصحابه . ومناقب الإمام علي بن ابي طالب كثيرة جداً حتى قال الإمام أحمد بن حنبل : " لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي من المناقب ." وقد اخترع له الرافضة مناقب موضوعة هو في غنى عنها . وجمع النسائي الكثير من مناقبه بأسانيد أغلبها جياد . وروى عن النبي ﷺ كثيراً من الأحاديث ، كما روى عنه عدد من الصحابة والتابعين . وقد اشتهر الإمام علي رضي الله عنه بالفروسية والشجاعة والفصاحة والعلم . وكان عمر بن الخطاب يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن .

آمن علي بن أبي طالب بالرسول ﷺ وهو صبي . ونام في فراش النبي ﷺ في الليلة التي تآمر فيها المشركون على قتله . وخلّفه الرسول ﷺ في غزوة تبوك على المدينة وقال: " أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي ." وقد وجهه الرسول ﷺ لفتح خيبر بعد أن قال: " لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه." حضر علي بن أبي طالب غزوات النبي ﷺ إلا تبوك ، كما كان من أصحاب الشجرة . وهو أحد المبشرين بالجنة . كان علي أحد أفراد الشورى الذين نص عليهم عمر ، فعرض عليه عبد الرحمن بن عوف الخلافة بشروط امتنع عن بعضها ، فعدل عنه إلى عثمان فقبلها فولاه ، وسلم علي وبايع عثمان رضي الله عنهم جميعاً ، ولم يزل متصدياً للفتيا والعلم .

بايع الناس علي بن أبي طالب بعد مقتل عثمان عام ٣٥هـ فقام جماعة منهم طلحة والزبير وعائشة في طلب دم عثمان فحصلت موقعة الجمل بينهم وبين علي سنة ٣٦هـ . ثم وقعت معركة صفين بين علي ومعاوية ومعه أهل الشام عام ٣٧هـ . وكانت وجهة نظر علي أن يدخل الجميع في الطاعة ثم يقوم ولي دم عثمان فيدعى به ويتم القصاص بعد الدعوى وإقامة البينة . وقد توقف بعض الصحابة عن الدخول في فتنة القتال بين علي ومن عارضه من الصحابة لعدم وضوح الحق في المسألة ، ولكن عندما قُتل عمار بن ياسر وكان في جيش علي اتضح الأمر لكثير من المترددين لأن الرسول ﷺ قال عن عمار " تقتله الفئة الباغية." وفي عام ٣٨هـ وقعت بين علي وبين الخوارج معركة النهروان. وقد استمر عامين بعد ذلك يحرض الناس على قتال البغاة إلى أن اغتاله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي في ليلة ١٧ من رمضان عام ٤٠ هـ وكانت مدة خلافته أربع سنين وثمانية أشهر ونصف الشهر .

رابعاً : الشرح :

يخبر راوي الحديث الحارث الأعور أنه مر في المسجد ووجد الناس يتحدثون في أحاديث الرسول بطريقة غير علمية ، مبنية على التخمين وإثارة البلبلة في الأذهان . فتوجه إلى الإمام علي بن أبي طالب وأخبره بواقع الأمر . فكان ردِ الإمام علي الاستفهام التعجبي الذي يشير إلى أن ذلك كان متوقعاً ، ولكن في فترة متأخرة من الزمن . ولهذا فقد أخبر علي رضي الله عنه الأعور بأن الرسول الكريم ﷺ قد تنبأ بحدوث بعض الفتن المستقبلية . وعندما سأله علي رضي الله عنه عن المنقذ من تلك الفتنة أخبره صلى الله عليه وسلم أن المخرج هو التمسك بكتاب الله الذي يشتمل على أخبار الأمم السابقة وعلى ما يستقبل من الأحداث . كما أنه المصدر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فيما يحدث بين المسلمين من خلاف وبلبلة إذ هو الحكم الفاصل بين الحق والباطل بمنهج جاد بعيد عن الهزل وتمييع الأمور .

وقد بين الرسول الكريم ﷺ أن من أعرض عن كتاب الله من الحكام المتسلطين فسوف يهلكه الله ، كما أن من طلب الهداية والتوجيه في غيره سيكون مصيره الضلال والغواية ، وذلك أن كتاب الله هو عهد الله وأمانه من العذاب ، وهو النور القوي الذي ينير الظلمات ، وهو النص الذي يضع الأمور في مواضعها السليمة ويمثل الشرف العظيم لمن تبعه والتزم به . إنه الطريق القويم والمنهج السليم الذي لا يمكن أن يضل من تبع هداه وخالف هوى نفسه . وهذا القرآن العظيم ميسر لمن أراد تلاوته أو تنفيذ أحكامه . وهو كنز المعارف الذي لا ينضب ، وبحر العلوم الذي لا يرتوي منه العلماء ، ولا يشبعون مما فيه من موائد العلم والحكمة . ومن عجائب هذا القرآن أنه لا يبلى مع التكرار ولا يدخل على قارئه الملل . وليست هذه معجزته الوحيدة بل عجائبه لا تنتهي مع مرور الزمن .

ولم يقتصر إدراك عجائب القرآن على الإنس فقط بل حتى الجن عندما استمعت لتلاوة الرسول ﷺ للقرآن أدركوا بعض عجائبه ولم يملكو إلا أن يعلنوا إيمانهم ويعودوا إلى قومهم منذرين . ومن ميزات هذا الكتاب العظيم أن من يقول به ويدعو إليه يقول الصدق ويدعو إلى الحق وسوف يثاب على أي عمل يقوم به طبقاً لتعاليم كتاب الله ، وسوف تكون أحكامه المأخوذة من القرآن هي العدل الذي لا جور فيه ، كما أن من يدعو إليه يدعو إلى الطريق الصحيح والمنهج الأقوم .

وكتاب الله مع ذلك كله هو النور الواضح والدواء الناجع لكل داء اجتماعي . وهو النجاة لمن تمسك بأحكامه والسلامة لمن تبع تعاليمه ، وذلك أن القرآن لا يمكن أن يميل عن الحق فيحتاج إلى تعديل ولا يمكن أن ينحرف عن منهج العدل والحق فيسعى الساعون لتقويمه وإصلاحه . ومن خصائص هذا الكتاب أن يظهر جماله وكماله في المجتمعات التي تطبق أحكامه . أما من يفضل عليه أحكاماً أو قوانينَ أخرى من أنظمة البشر بعد أن أسند إليه حماية

هذا الكتاب وتنفيذ أحكامه فإن مصيره الهلاك في الدنيا والخسران في الآخرة ، لأن من لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الخارجون عن منهج الله والظالمون لمخالفتهم لأوامر الله ، والكافرون بما اختار الله لعباده ليحقق لهم خيري الدنيا والآخرة .

خامساً : الأحكام :

يحتوي هذا الحديث العظيم على جملة من الأحكام منها ما يأتي :

١) إخبار النبي الكريم ﷺ بحدوث فتن في المستقبل لا يكون المخرج منها إلا بتحكيم كتاب الله .
٢) اشتمال كتاب الله على جملة من أخبار السابقين واللاحقين مما يمكن أن يكون دروساً مفيدة للمسلمين في مجتمعاتهم المختلفة إذا طبقوا أحكام كتاب الله فيما بينهم .
٣) توعد الجبارين من الحكام وغيرهم الذين يتركون تنفيذ أحكام القرآن بالهلاك والدمار .
٤) أن القرآن هو مصدر الهدى ومن بحث عن الهدى في غيره فسوف يقع في الضلال .
٥) القرآن هو عهد الله وأمانه من العذاب وهو النور والقول الحكيم وهو المنهج القويم .
٦) من التزم بالقرآن فلن يضل ومن أراد تنفيذ أحكامه فسيجده سهلاً ميسراً .
٧) بقدر ما يبذل العلماء من جهد في دراسة القرآن يشعرون برغبة بزيادة تلاوته وتدارسه دون أن يشعروا بأي مللٍ .
٨) كل جيل من أجيال البشرية تكتشف جديداً من عجائب القرآن التي لا تنتهي .
٩) إيمان فريق من الجن عندما سمعوا الرسول ﷺ يتلو القرآن وذهبوا لدعوة قومهم .

١٠) تنفيذ أحكام القرآن الكريم هو الطريق إلى الصدق والحق والثواب والعدل والدعوة إلى المنهج القويم .

١١) أن القرآن نور للبصائر وشفاء لما في الصدور ونجاة لمن يتمسك به لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

الحديث الثامن

التسع المهلكات

أولاً : النص :

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:" اجتنبوا[١] السبعَ الموبقاتِ [٢]، قالوا يا رسولَ الله وما هن ؟ قال " الشركُ بالله [٣]، والسحرُ[٤] وقتلُ النفس التي حرَّم اللهُ إلا بالحقِّ ، وأكْلُ الربا [٥] وأكلُ مال اليتيم ، والتولّي [٦]يومَ الزحْفِ[٧] ، وقذْفَ [٨] المحصناتِ المؤمناتِ الغافلاتِ ." [٩] متفق عليه .

وفي رواية عُبيد بن عمر عن أبيه أن الكبائر.....[١٠] وزاد على رواية أبي هريرة : عقوقُ [١١] الوالدين ، واستحلال [١٢] البيت الحرامِ قبلتِكم [١٣] أحياءً وأمواتاً . " رواه أبو داود والنّسائي .

---

(١) ابتعدوا عن
(٢) المهلكات .
(٣) عبادة أو دعوة غير الله .
(٤) ما لطف وخفى ، وما يحدثه الساحر من أثر في المسحور .
(٥) التعامل بالربا وهو الزيادة غير المشروعة على أصل المال .
(٦) الفرار من المعركة .
(٧) القتال واقتحام المعركة .
(٨) اتهام العفيفات بالزنى .
(٩) الغافلات عن الفاحشة لانهن برئيات منها .
(١٠) الذنوب العظيمة مما فيه حد في الدنيا كالقتل والزنا أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عقاب أو غضب أو لعن .
(١١) عصيانهما وعدم الإحسان إليهما .
(١٢) اعتبار القتال والانحراف في البيت الحرام حلالاً ، أي انتهاك حرمة الحرم .
(١٣) الجهة التي تتجهون إليها في صلاتكم توجهون إليها عند مماتكم .

ثانياً : التخريج :

روى هذا الحديث معظم أئمة الحديث من أهل الكتب المعتمدة. فقد رواه الإمام البخاري برقم ٢٧٦٦ في كتاب الوصايا ، باب قوله تعالى : " إن الذين يأكلون أموال اليتامى ... " كما رواه في مواقع أخرى من صحيحه منها برقم ٥٧٦٤ ، ٦٨٥٧ . وروواه الإمام مسلم برقم ٨٩ في كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها . ورواه النسائي برقم ٣٧٠١ في كتاب الوصايا ، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم . أما رواية التسع فقد رواها ، بالإضافة إلى أبي داود والنّسائي ، أبو حاتم والحاكم مطوّلاً ، وفي سنده عبد الحميد بن سنان لم يوثقه غير ابن حبان ، وقال عنه البخاري في حديثه نظر .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي . وقد اختلف في اسمه في الجاهلية واسم أبيه فقيل كان عبد شمس فغيره الرسول ﷺ ، وقد اشتهر بكنية " أبي هريرة " لهرة كان يحملها . أسلم أبو هريرة بين الحديبية وخيبر عام ٧ من الهجرة . وقد اتفق أهل الحديث على أن أبا هريرة أكثر الصحابة رواية عن النبي ﷺ حيث روى أكثر من خمسة آلاف وثلاثمائة حديث . وروى عن عدد كبير من الصحابة ، كما روى عنه خلق كثير من الصحابة وتابعيهم أوصلهم البخاري إلى ثمانمائة من أهل العلم . وكان أحفظ من روى الحديث في عصره ، وعرف رضى الله عنه بحرصه على الحديث، كما شهد له بذلك الرسول الكريم ﷺ . وروي أنه بسط رداءه عندما قال النبي ﷺ : " من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه ، فلن ينسى شيئاً مما سمعه مني " ثم قبضه فلم ينس شيئا مما سمعه من الرسول الكريم ﷺ .وقال : " حفظت عن رسول الله وعائين، أما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم".

وعلى الرغم من أن أبا هريرة قال : " لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا مني إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب " فإن عبد الله بن عمرو قال عن أبي هريرة " أنت كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه " كما أخرج ذلك الترمذي وغيره . توفى أبو هريرة بقصره بالعقيق وحمل إلى المدينة سنة سبع وخمسين هجرية.

رابعاً : الشرح :

يأمر الرسول الكريم ﷺ أمته بأن تبتعد عن الذنوب العظيمة المهلكة التي تورد مرتكبها النار. وذكر حديث أبي هريرة سبعاً من هذه الذنوب ، وهى ليست محصورة في هذه السبع بل هي أكثر من ذلك كما يشير إلى ذلك كثير من أحاديث الرسول ﷺ .

وقد اصطلح العلماء على تسمية هذه الذنوب بالكبائر وعرفوا الكبيرة بأنها الذنب الذي يستوجب حداً في الدنيا مثل قتل النفس والزنا والسرقة أو ورد فيه وعيد في الآخرة مثل العذاب واللعن والغضب. وبهذا المعيار تكون الكبائر أكثر من سبع بل هي أقرب إلى السبعين، كما قال ابن عباس رضى الله عنهما . وعندما استفسر الصحابة رضى الله عنهم عن هذه الذنوب المهلكات عد لهم الرسول ﷺ منها سبعاً أو تسعاً ذكرها في رواية أبي هريرة حسب عظمها في الإثم حيث بدأها بالشرك بالله المتمثل في عبادة غير الله سبحانه وتعالى واتخاذ الأنداد والوسطاء والشفعاء ودعائهم والتقرب إليهم بالنذور وغيرها.

والشرك أعظم الذنوب لأن المشرك يجعل لله نداً وهو خلقه ، ومن أجل ذلك كان الشرك هو الذنب الوحيد الذي لا يغفره الله سبحانه وتعالى حيث قال: " إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ،"(النساء ٤٨). والشرك أنواع منه الأكبر المخرج من الملة ومنه الأصغر الذي عرفه الرسول ﷺ بأنه الرياء. وكما حذر الرسول ﷺ من الشرك وأنه مدخل للنار فقد بشر من لم يشرك بالله

بأن يدخله الجنة عندما قال : "من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النارَ . "

السحر هو الذنب المهلك الثاني الذي أمر الرسول الكريم ﷺ أمته باجتنابه . والسحر وزر عظيم لأن فيه تلبيساً على الناس وإضلالاً للعامة وزلزلة لعقائدهم وتعاونا مع الشياطين على المعصية والكفر والإضرار بالناس . ومن أجل ذلك كان حد الساحر القتل وحرم الله تعلم السحر والعمل به . والسحر حقيقة لا ينكرها مؤمن فقد ورد ذكره في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كما ذكر القرآن الكريم تأثير السحر وأنه قد يفرق بين المرء وزوجه .

والذنب المهلك الثالث هو قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق . وقتل النفس من أعظم الذنوب وذلك لأنه تعدٍّ على حرمة الدم المصونة . ولذا شنّع الله سبحانه على من قتل نفساً مبيناً عظم جرمه بقوله تعالى: " من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض كأنما قتل الناس جميعاً ، " (المائدة ٣٢) . وقتل النفس المؤمنة أعظم عند الله من قتل غيرها قال تعالى: " ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جنهم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما ، "(النساء ٩٣) . وعلى الرغم أن ظاهر الآية يدل على خلود القاتل في النار إلا أن أهل السنة والجماعة لم يقطعوا بخلود أحد في النار إلا المشرك. وقتل النفس يشمل العدوان بالدرجة الأولى ويشمل قتل الأولاد خشية الفقر أو العار .

وقد شرع الإسلام القصاص لقتل العمد حماية للمجتمع وحفاظاً على حرمة النفس ، كما قال تعالى "ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب ، "(البقرة ١٧٩) .

والجريمة الرابعة التي تهلك مرتكبها هي التعامل بالربا وأكل أموال الناس بالباطل. وقد حرم الإسلام الربا لأنه ظلم واستغلال للناس بالباطل ، كما أنه انتهاز لحاجة الفقراء واستعبادهم من خلال الربا

بالديون . وقد ورد وعيد شديد لمرتكبي جريمة الربا يشمل المرابي وكل من يشارك في العملية الربوية من آكل الربا وشاهديه وكاتبه . وبين الله سبحانه وتعالى بأن الربا منزوع البركة وأن مرتكبه قد استحق الحرب من الله ورسوله ، قال الله تعالى : " يمحق الله الربا ويربي الصدقاتٍ والله لا يحب كل كفار أثيم ، " (البقرة ٢٧٦) . وقد عد العلماء أنواعاً من الربا هي :

١- ربا الفضل : وهو البيع بزيادة أحد العوضين المتجانسين عن الآخر.
٢- ربا اليد : وهو البيع بغير حلول ولا تقابض .
٣- ربا النسيئة : وهو نوعان : زيادة الدين لزيادة الأجل أو بيع الطعام أو أحد النقدين بجنسه إلى أجل .
٤- ربا القرض : وهو كل قرض جر نفعاً فهو ربا ، كما قال الرسول الكريمﷺ .

وقد تعددت أنواع وصور الربا في العصر الحاضر بشكل يُصدّق قولِ الرسول الكريم ﷺ الذي رواه ابن ماجه بأن " الربا ثلاث وسبعون باباً ، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه . "

والجريمة الخامسة مرتبطة أيضاً بأكل المال ولكن هذه المرة أكل مال اليتيم . والأيتام قطاع قاصر من المجتمع يحتاج إلى الرعاية والحفاظ على أموالهم وإصلاح حالهم، ولذا فقد بشر الرسول الكريم ﷺ من يعتني باليتامى بالأجر والثواب العظيمين ، وشجع على كفالتهم في الحديث المتفق عليه بقوله : " أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين ، " وأشار بالسبابة والوسطى . وقد حذر القرآن الكريم من أكلِ أموال اليتامى بقوله تعالى : " إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ، " (النساء ١٠) . وذكّر الله سبحانه وتعالى القائمين على شئون اليتامى بأن حالة اليتم قد تصيب ذرياتهم بعد موتهم ، ولذا فيجب أن يعاملوا اليتامى كما يحبون أن يُعامل أبناؤهم ، قال الله تعالى: " وليخش الذين لو تركوا

من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ، فليتقوا وليقولوا قولاً سديداً ، " (النساء٩) .

ومع ذلك فقد رخص الله للقائمين على أموال اليتامى من الفقراء أن يأكلوا بالمعروف وبقدر الضرورة ، ومن استطاع أن يستغني عن ذلك فهو خير له ، قال تعالى : " ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ، " (النساء ٦) .

والمهلكة السادسة **هي الفرار من القتال والجبن عن لقاء العدو** وذلك لما فيه من الإضعاف لشوكة المسلمين والفت في عضد المجاهدين ، وما يقود إليه من تسلط الأعداء وتعطيل فريضة الجهاد ، وضياع بلاد المسلمين . ولذلك فقد ندب الله سبحانه وتعالى المؤمنين إلى الجهاد والثبات عند لقاء العدو وحرم عليهم التولي والانسحاب من المعركة ، قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ، " (الأنفال ١٥- ١٦) . ولإدراك المسلمين الأوائل لحرمة التولي يوم الزحف كانت الجيوش الإسلامية تحقق الانتصارات الباهرة على الرغم من قلة العدد والعدة .

المهلكة السابعة **هي اتهام المسلمات العفيفات بالزنا والفاحشة** . وقد عد الإسلام ذلك ذنباً عظيماً لأن فيه تعدياً على حرمة المؤمنات الغافلات اللواتي لا يعرفن للفاحشة طريقاً ولا يسلكن لها سبيلاً . كما أن فيه تشويهاً لأثمن ما تملكه المرأة بعد الدين وهو سمعتها وشرفها . والإسلام حريص على حماية الأعراض ، وصون العفة . ومن أجل ذلك شدد على عدم قبول أي تهمة ضد أي امرأة في شرفها وعرضها ، وتطلب لإثبات ذلك شروطاً صعبة لا تكاد تتوافر حيث طالب بأربعة شهود يقسمون بأنهم رأوا حدث الزنا بما لا يدع مجالا للشك . وقد رتب الله جل شأنه على اتهام المحصنات بالزنا حداً ينفذ

على من لا يستطيع أن يثبت اتهامه هو ثمانون جلدة ، قال تعالى : " والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون ، " (النور ٤) . هذا بالإضافة إلى الوعيد الشديد بالعذاب في الدنيا والآخرة كما يظهر من قوله تعالى : " إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب أليم، " (النور ٢٣) .

المهلكة الثامنة هي عقوق الوالدين وعصيانهما ونكران الجميل الذي قدماه لولدهما. وعقوق الوالدين بالإضافة إلى كونه تنكرًا للجميل ونكوصًا عن تقديم جزء بسيط من حق الوالدين يدل على فساد الفطرة ولؤم الطبع ومخالفة التوجيه الرباني فيما يخص الوالدين، قال الله تعالى : " أن اشكر لي ولوالديك " (لقمان ١٤) حيث جعل الله حق الوالدين وبرهما يأتي بعد تأدية حقوق الله سبحانه وتعالى . وقد عظّم الإسلام حقوق الوالدين وأوجب برهما وطاعتهما والإحسان إليهما في حياتهما والدعاء لهما وبر صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما بعد موتهما. ومن هذا المنطلق لم يأذن الرسول الكريم ﷺ لراغب الجهاد، على رغم أهميته ، إلا بعد استئذان أبويه، وجعل السعي على الوالدين جهاداً في سبيل الله .

المهلكة التاسعة هي استحلال حرمة البيت الحرام إما بالتهاون بارتكاب المعاصي فيه أو باستباحة حرمته والقتال فيه حيث قال الله تعالى : "ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ." (الحج ٢٥) . وقد ذكر بعض العلماء أن المعاصي تضاعف في مكة المكرمة لعظم حرمتها. وقال الرسول الكريم ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي : " إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ، ولا يعضد فيها شجرة ، فإن أحدٌ ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها ، فقولوا له : " إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي ساعة من نهار ، ثم عادت حرمتها اليوم

كحرمتها بالأمس ." ولذا فإن انتهاك حرمة البيت الحرام دلالة على عدم تعظيم شعائر الله والتهاون بأوامره .

خامساً : الأحكام :

يؤخذ من هذا الحديث جملة من الأحكام أهمها الآتية :

١) أن الذنوب تتفاوت في عظمها بين كبائر لا تكفرها إلا التوبة النصوح وصغائر تكفرها الأعمال الصالحة .
٢) أن مرتكب أحد الذنوب التسعة المذكورة في هذا الحديث على خطر عظيم إذا لم يسارع في التوبة.
٣) تحريم الذنوب التسعة المذكورة في هذا الحديث وأنها تتفاوت في جرمها حيث أن الشرك هو أعلاها وما سوى ذلك فهو دونه .
٤) حرص الرسول الكريم ﷺ على توجيه أمته وتجنيبهم مواقع الهلكة الناتجة عن اقتراف الذنوب.
٥) اشتمال الدين الإسلامي على كل ما فيه حماية عقائد الناس وأموالهم وأعراضهم ومقدساتهم مما يسيء إليها أو يعرضها للخطر .
٦) الإسلام دين المعاملة لذلك حذر من كل ما فيه جلب المضرة للآخرين .
٧) بيان حرمة المسلم وما له من حقوق سواء أكان والداً يستحق الطاعة والرعاية أو مسلمة ينبغي عدم المساس بعرضها ، أو نفساً يحرم الاعتداء عليها .
٨) تربية الإسلام لأبنائه على الشجاعة والثبات في أحلك المواقف .
٩) بيان ما لمكة من مكانة عند الله ووجوب رعاية ذلك على المسلمين .

الحديث التاسع

السبعة الآمنون

أولاً : النص :

عن أبي هريرة رضي الله عن النبي ﷺ قال " سبعةٌ (١) يُظلهم (٢) الله في ظله يومَ لا ظل إلا ظلُّه : إمامٌ (٣) عادلٌ ، وشابٌ نشأ في عبادةِ الله عز وجل ، ورجلٌ قلبُه معلَّقٌ(٤) بالمساجدِ ، ورجُلان تحابَّا في اللهِ اجتمعا عليه وافترقا عليه ، ورجلٌ دعتْه امرأةٌ ذاتُ منصبٍ (٥) وجمالٍ فقال إني أخافُ اللهُ (٦) ، ورجلٌ تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها (٧) حتى لا تعلمَ شمالُه (٨) ما تنفقُ يمينُه ، ورجلٌ ذكر اللهَ (٩) خَالياً (١٠) ففاضتْ (١١) عيناه . " رواه البخاري ومسلم .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث رواه الإمام البخاري برقم ٦٦٠ في كتاب صلاة الجماعة ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة . ورواه أيضاً في كتاب الزكاة ، باب الصدقة باليمين ، وفي مواضع أخرى من

---

(١) سبعة أنواع من الناس .
(٢) يحميهم الله في ظل عرشه أو في رعايته .
(٣) حاكم عادل أو من ولي مسؤولية فعدل فيها .
(٤) محب للمساجد ، منتظر للصلاة فيها .
(٥) ذات أصل وشرف .
(٦) أخشى عذاب الله .
(٧) أسرها بحيث لا يعلم بها أحد .
(٨) كناية عن المبالغة في الإخفاء .
(٩) دعى الله أو تفكر في ذنوبه .
(١٠) منفرداً ليس عنده أحد
(١١) انهالت دموعه وبكى

صحيحه . ورواه الإمام مسلم برقم ٢٣٨٠ في كتاب الزكاة ، باب إخفاء الصدقة ، ومالك في الموطأ في كتاب الجامع برقم ٧٣٣ ، باب ما جاء في المتحابين في الله ، والترمذي برقم ٢٣٩١ في كتاب الزهد ، باب ما جاء في الحب في الله ، والنسائي برقم ٥٣٨٢ في كتاب القضاة ، باب الإمام العادل . وقد خرجه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٢٤ .

ثالثاً : الراوي :

سبقت ترجمة راوي هذا الحديث أبي هريرة في الحديث الثامن.

رابعاً : الشرح :

يخبر الصادق المصدوق ﷺ في هذا الحديث بأن سبعة أصناف من الناس يتمتعون بالأمن يوم القيامة عندما يخاف الناس ويعانون من أهوال يوم القيامة حيث تدنو الشمس من الرؤوس ويلجم الناسَ العرقُ، وتَذهَلُ كلُّ مرضعة عما أرضعت ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد . في هذا الهول العظيم وفي أثناء ذلك اليوم العصيب الذي مقداره خمسون ألف سنة ينعم أولئك الأصناف من الناس بحمايته ورعايته سبحانه ويتمتعون ببحبوحة ظل عرش الرحمن عندما يعدم الناس الظلَّ والحمايةَ إلا من رحمة الله سبحانه وتعالى . ومع أن من يظلهم الله بظله يوم القيامة يبلغون السبعين كما قال الحافظ السخاوي فقد اقتصر في هذا الحديث – كما اقتصر في حديث السبع الموبقات – على هؤلاء السبعة إبرازاً لمكانتهم وتنويهاً بالعمل الذي قاموا به . وهؤلاء المحظوظون من الناس هم :

١- الحاكم العادل الذي وَليَ أمورَ الناس فأقام فيهم العدلَ الرباني وأجرى عليهم أحكام الله دون مُحاباة لقريب أو تجنٍّ على بعيد ،

بل كان الضعيفُ عنده قوياً حتى يأخذ له حقه والقويُّ عنده ضعيفاً حتى يأخذ منه الحق كما قال الصديق رضي الله عنه .

لقد اهتم الإسلام بالعدل لأنه أساس الملك ، وحذر من الظلم لأنه سبب هلاك الأمم . ومن أجل ذلك أعد الله للحاكم العادل أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً إذا أدى مهمته كما يحب الله ويرضى . قال الرسول الكريم ﷺ " إن المقسطين عند الله على منابر من نور ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم ما ولوا ، " كما روى ذلك الإمام مسلم رحمه الله تعالى . وقد بين الرسول الكريم ﷺ خير الحكام كما بين شرهم في الحديث الذي رواه مسلم أيضاً " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم (أي تدعون لهم) ويصلون عليكم . وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم . " وتظهر أهمية العدل وميزة الحاكم العادل عندما يرى الإنسان صنوف الظلم والأثرة التي يمارسها الحكام الظلمة والمعاناة التي تعانيها الشعوب الواقعة تحت نير الظلم والاستبداد من حكام لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ولا مؤهلَ لديهم يبرر حكمهم إلا وصولهم إلى السلطة في ظرف معين وتخاذل من الناس .

ويدخل ضمن مفهوم الحاكم العادل كل من ولي شيئاً من أمور المسلمين وقام بها حسب ما يحب الله ويرضى ، فهو مأجور مثاب ويأمن يوم يخاف الناس .

٢- أما النوع الثاني من أصناف المحظوظين يوم القيامة فهو شاب ترعرع في عبادة الله وتغلب على دواعي الغواية والانحراف فكان مثلا يحتذى في الاستقامة والطاعة والاهتمام بمعالي الأمور . والشباب هو زمن الصبوة والانحراف لوجود القوة الجسمية وتوفر دواعي النزوة وقلة الوازع الديني واستبعاد الموت خاصة إذا توفر مع ذلك الفراغ والغنى فإن ذلك كله مدعاة للانزلاق في الرذيلة ، كما قال الشاعر :

إن الشبابَ والفَراغَ والجِدَه مَفْسدةٌ للمرءِ أيُّ مفسده

ولهذا فإن أكرم الناس نفساً وأطيبهم قلباً وأصدقهم عزماً هو الشاب المؤمن التقي المتحلي بمكارم الأخلاق والمتصف بعلو الهمة ، من طلب للعلم والتزام الصراط المستقيم في القول والعمل ، فهو لا شك جدير بأن يظله الله بظل عرشه وأن يكون آمناً يوم الفزع الأكبر.

٣- والصنف الثالث من الآمنين يوم الفزع هو الشخص المحب للمساجد المرتاد لها والمترقب للصلاة والحريص على أدائها في بيوت الله حيث تصلى جماعة . ومحبة المساجد لا تعني محبة المباني بذاتها وإنما تعني عمارة المساجد الحسية والمعنوية ومحبة ما يقام فيها من العبادات والدعوة والعلم . ومحبة المساجد وانتظار الصلاة فيها من أفضل الأعمال التي حض عليها الرسول الكريم ﷺ كما ورد ذلك في الحديث الذي رواه الإمام مسلم " ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ﷺ . قال : " إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة إلى الصلاة ، فذلكم الرّباط ، فذلكم الرّباط ." ولا شك أن محبة المساجد وارتيادها علامة الإيمان والاستقامة كما قال الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه وحسنه عن أبي سعيد الخدري " إذا رأيتم الرجل يرتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان . " وخير شهادة لمحب المساجد قوله تعالى " إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ، " (التوبة ١٨) .

٤- النوع الرابع من أنواع الناس الذي يظلهم الله في ظله يوم القيامة صديقان حميمان توثقت عرى المحبة بينهما على أساس الدين والاستقامة على منهج الله . إن الحب في الله والتناصح فيه هو

الأساس الذي قامت عليه صداقة هذين الرجلين ، لم تقم على مصالح دنيوية أو علاقات أسرية وإنما كانت لله وفي الله، وهذه الصداقة تزداد قوة مع زيادة اتصالها بالله والتزامها بتعاليم دينه القويم . وإذا حدث ضعف أو خلل في علاقتهما في الله واتباع منهجه القويم من أحدهما فقد يقود ذلك إلى انفصام صداقتهما وتفرقهما غضباً لله وغيرة على محارمه . وقد أثنى الرسول الكريم ﷺ على كمال إيمان المتحابين فيه ، كما ورد في الحديث الذي رواه أبو داود عن النبي ﷺ قال : " من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان ." وقد روى أبو داود ما يؤيد حديث الباب عن النبي ﷺ حين قال : " إن من عباد الله أناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله . قالوا: يا رسول الله فتخبرنا عنهم ؟ قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ولا يخافون إذا خاف الناس ،" وقرأ قوله تعالى " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ،" (يونس ٦٢) .

٥- الصنف الخامس من الذين ينعمون بظل عرش الرحمن يوم القيامة الذين قاوموا الإغراء في الحياة الدنيا وامتنعوا عن ارتكاب جريمة الزنا مهما كانت الدواعي ومهما واتت الظروف . هذا الصنف الذي ارتفع عن داعي الشهوة عندما تعرضت له امرأة ذات حسن وجمال ، ومنصب رفيع ، ومنزلة اجتماعية عالية، وقدمت نفسها له داعية إياه إلى ارتكاب الفاحشة رفضها بإباء ، وبين لها أنه يخاف الله رب العالمين، وانضم إلى زمرة يوسف عليه السلام الذي رفض إغراء امرأة العزيز ، واتجه إلى الله طالباً منه أن يصرف عنه كيد النساء حتى لا يقع في الفاحشة فيكون من الجاهلين . ولا شك أن الارتفاع عن السقوط في معصية الزنا سبيل إلى الجنة ، كما قال الرسول الكريم ﷺ في حديث البخاري : " من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة ." واجتناب الزنا أحد صفات المؤمنين كما قال تعالى : " والذين هم

لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، " (المعارج ٢٩ –٣١) .

٦- النوع السادس ممن يظلهم الله بظله يوم القيامة شخص حبب إليه إنفاق المال في سبيل الله سراً بحيث لا يكاد يعلم أحد بما يفعل . ولا شك أن المال مما تحبه النفوسٍ وتميل إلى البخل به ، وإذا أنفقت تميل إلى إظهار الإنفاق حباً في ثناء الناس أو سعياً وراء الوجاهة الاجتماعية . أما هذا الصنف من الناس فهم لا يريدون جزاءً ولا شكوراً إنما يريدون ما عند الله فأخفوا صدقاتهم . ولا شك أن إخفاء الصدقات أفضل من إظهارها في معظم الحالات ، ولذا يقول الله سبحانه وتعالى " إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ... ،" (البقرة ٢٧١) . وقد يكون في إعلان الصدقة مصلحة راجحة مثل الدعوة إلى الخير وتشجيع الآخرين . وفي هذه الحالة تفضل الصدقة المعلنة على السرية لأنها كانت سبباً في إقدام الآخرين . ومع ذلك تبقى صدقة السر هي القاعدة وهي المفضلة في الظروف العادية لقول الرسول الكريم ﷺ " الصدقة الخفية تطفئ غضب الرب ،" كما ورد بذلك الحديث الذي رواه الطبراني وصححه الألباني .

٧- والصنف السابع من أصناف الآمنين يوم الفزع الأكبر هو شخص ذكر الله وليس عنده أحد فغلبه البكاء من خشية الله . ذلك أنه تذكر ذنوبه وتقصيره في جنب الله كما تذكر عظمة الله وأليم عقابه فانهمرت دموعه ندماً على ما فرط وإشفاقاً مما ينتظره من عذاب . وقد ورد في فضيلة البكاء من خشية الله قول الرسول الكريم ﷺ الذي رواه الترمذي وصححه: " لا يَلِج النارَ رجلٌ بكى من خشية الله ." كما ورد عن النبي ﷺ في حديث صحيح رواه الترمذي : " أن النار لا تمسُّ ثلاثةً من العيون : عينٌ بكت من خشية الله ، وعينٌ باتت تحرس في سبيل الله ، وعينٌ غضت عن

محارم الله ." ولا شك أن البكاء من خشية الله كالصدقة في سبيل الله يكون أفضل في السر منه في العلن .

خامساً : الأحكام :

اشتمل الحديث على أحكام منها :

١) أن الله يكرم أصنافاً من الناس يوم القيامة فيظلهم في ظل عرشه .
٢) فضل الإمام العادل وعظم أجره إذا قام بواجبه .
٣) فضل الشاب الذي لا صبوة له .
٤) فضل مرتاد المسجد ومحبه انتظاراً للصلاة ومحافظة على الجماعة .
٥) فضل الحب في الله وضرورة أن يكون هو الموجه لعلاقات الأصدقاء .
٦) فضل العفة واجتناب الزنا والارتفاع على المغريات .
٧) استحباب أن تكون الصدقة في السر حفاظاً على شعور الفقير وتجنباً للرياء .
٨) فضل خشية الله والبكاء في السر ندماً على التفريط واستشعاراً لعظمة الله وخوف عقابه .
٩) الإشارة إلى عظم هول الموقف يوم القيامة وفوز أصناف من المؤمنين ممن وفقهم الله لأسباب النجاة .

الحديث العاشر

الاستخارة

أولاً : النص :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان رسول الله يعلّمنا الاستخارة [١] في الأمور [٢] كلّها كالسورةِ [٣] من القرآنِ ، يقول : " إذا هَمَّ [٤] أحدُكم بالأمر فليركعْ [٥] ركعتين من غير الفريضة ثم ليقلْ : اللهم إني أستخيرُكَ [٦] بعلمِك ، وأستقدرُك [٧] بقدرتِكَ ، وأسألُكَ من فضلِك العظيمِ ، فإنك تقدرُ ولا أقدرُ ، وتَعلَم ولا أعلَمُ ، وأنتَ عَلّامُ الغيوبِ [٨] . اللهم إن كنتَ تعلم أن هذا الأمرَ خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري – أو قال [٩] : عاجلِ أمري وآجلِهِ – فاقدُرْهُ [١٠] لي ويسِّرْهُ لي ، ثم باركْ لي فيه . وإن كنتَ تعلم أن هذا الأمَر شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال : عاجلِ أمري وآجلِهِ – فاصرفْهُ [١١] عني واصرفْني عنه ، واقدِرْ لِيَ الخيرَ حيثُ كان ، ثم أرضني [١٢] به . " قال : ويسمي [١٣] حاجته . رواه البخاري .

---

(١) طلب الخير والتوجيه للأفضل .
(٢) القضايا التي تهم الإنسان .
(٣) كما يعلمنا السورة من القرآن وذلك لأهميته .
(٤) قصد وأراد .
(٥) فيصل ركعتي نافلة .
(٦) أسألك أن تختار لي الأصوب والأفضل .
(٧) أسألك أن تجعل لي قدرة على ذلك الأمر .
(٨) الأمور المستقبلة أوالغائبة عن النظر .
(٩) هذا شك من الراوي وأي من الجملتين كافية .
(١٠) أجعله من نصيبي وقدرني عليه .
(١١) أبعده عني ولا تشغلني به .
(١٢) اجعلني راضياً به وقانعاً بما اخترت لي .
(١٣) يذكر حاجته أثناء الدعاء بدلاً من " هذا الأمر ."

ثانياً : التخريج :

حديث الاستخارة رواه البخاري برقم ١١٦٣ في كتاب صلاة التطوع ، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ، وكتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة وكتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : " قل هو القادر ". ورواه أبو داود برقم ١٥٣٨ في كتاب الصلاة ، باب الاستخارة، والترمذي برقم ٤٨٠ في كتاب لصلاة ، باب ما جاء في صلاة الاستخارة ، والنسائي برقم ٣٢٠٥ في كتاب النكاح ، باب الاستخارة . وخرجه الألباني في صحيح الكلم الطيب برقم ١١٥ .

ثالثاً : الراوي :

راوي حديث الاستخارة هو جابر بن عبد الله الانصاري رضى الله عنهما وقد سبق التعريف به في الحديث السادس .

رابعاً : الشرح :

يخبرنا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن الرسول الكريم ﷺ كان يعلّم أصحابه صلاة الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن وذلك لأهمية هذه الصلاة وحاجة المسلم إليها . وقد وجههم الرسول ﷺ أن إذا أراد أحدهم أن يعمل عملاً مهماً أو يتصرف تصرفاً لا يعرف تماماً وجه الصواب والخير فيه أن يصلي ركعتي نافلة ، وأن يدعو بعدها بدعاء الاستخارة متوجهاً إلى الله سبحانه وتعالى ، ومخاطباً إياه من خلال صفاته العلية ، وعلمه الشامل ، وقدرته على أن يوفق المسلم للصواب والحق ، وإلى ما فيه مصلحته . والمسلم يفعل ذلك طلباً لفضل الله الذي لا يدانيه فضل وتفويض أمره إلى قدرة الله غير المحدودة وعلمه الذي أحاط بالحاضر والمستقبل حيث أنه عالم بكل ما سوف يحدث مما غاب عن علم الإنسان أو معرفته المحدودين .

ويسأل المستخيرُ اللهَ، بعد أن يسمي حاجته ويفوض الأمر إليه، أن يوفقه للأمر المطلوب ، وييسره له ويبارك له فيه إذا كان في ذلك خير له في دينه ودنياه ، وشأنه كله بما يكفل له الصلاح في حاضره ومستقبله . وأما إذا كان في تحقيق ذلك الأمر شر له في دينه ودنياه وحاضره ومستقبله فهو يسأل الله أن يصرف عنه ذلك الأمر بما يشاء، وأن يصرفه عن سؤاله والاهتمام به ، وأن يقدرله ما فيه المصلحة والفائدة ، ويرضيه بذلك القرار حتى تستقر نفسه ، ولا يشغل باله بما لم يتحقق أو تذهب نفسه على ذلك الأمر حسرات .

وطلب الاستخارة من الله العليم القادر اعتراف من الإنسان المسلم بأنه محدود النظر في أمور المستقبل ، ولا بد له أن يستنير بهدى الله . وطلب الاستخارة لا يعني عدم إعمال الفكر وتقليب الأمر على وجوهه كافة ، وإنما هو بذل الجهد واستنفاد الوسع والاستشارة ، بل تعني الاستخارة في حقيقتها عدم الركون إلى رأى الإنسان في القضايا التي لا يظهر فيها وجه الحق والصواب بجلاء ، وتفويض الأمر إلى الله بأن يوجهه ويشرح صدره للسلوك السليم والرأي القويم . وإذا فعل الإنسان ذلك فقد قام بما يستطيع وينبغي أن يطمئن إلى النتيجة بعد أن أخذ بالأسباب وتقرب إلى الله طلباً للتوفيق والنجاح . وإذا تحقق ما يرجوه المستخير فيحمد الله على ذلك ، وإذا حصل من الأمر ما لا يحب فيجب أن لا يلوم نفسه على النتيجة فإنه قد فعل ما يستطيع . وقد يكون في الأمر خير لم تتضح له معالمه بعد ، وقد تثبت الأيام أن ما حصل بالنسبة له هو الخير كل الخير .

وسبل التوجيه التي تعقب الاستخارة قد تقتصر على مجرد انشراح الصدر للأمر المستخار فيه ، وقد يتلو ذلك رؤيا توجه الشخص إلى السلوك المطلوب ، وقد تنقدح فكرة بوضوح أكثر في ذهن المستخير لم تكن خطرت له قبل الاستخارة . وعلى أي حال ينبغي أن يحترس المستخير من ميل النفس واتباع الهوى الذي لا مبرر له .

ومن الجدير بالذكر أن الاستخارة تشرع في الأمور المباحة وأما الفروض والمحرمات فلا استخارة فيها لأن الشرع قد حكم في مثل هذه القضايا . ومن فضل الله على المسلم أن أكرمه الله بهذه الاستخارة الشرعية وعوضه عن الممارسات المبنية على الدجل والشعوذة من سؤال الكهان وضرب الرمل وفتح المصحف بطريقة عشوائية لاتخاذ قرار معين أو غير ذلك مما يفعله بعض الجهلة . كل هذه الممارسات ممنوعة من وجهة النظر الشرعية وذلك لأنها لا تقود إلى أي خيار سليم ، بل تغرق الإنسان في الممارسات البدعية والخرافية الآثمة .

خامساً : الأحكام :

أفاد حديث الاستخارة الأحكام التالية :

١) استحباب أداء صلاة الاستخارة والدعاء بعدها عند كل أمر لا يتضح فيه الصواب .

٢) أن الاستخارة لا تتنافى مع بذل الأسباب واستنفاد الوسع للوصول إلى القرار الصائب .

٣) ضرورة أن يفوض الإنسان أمره إلى الله ويطلب منه التوفيق والهداية للصواب .

٤) ظاهر الحديث يشير إلى أن الدعاء بعد صلاة نافلة ولكن لو دعا أثناء الصلاة فلا بأس بذلك .

٥) أن الاستخارة في الأمور المشروعة والمباحة ولا يكون في المحرمات والمكروهات لأن حكم الله فيها هو الأولى بالاتباع .

٦) أن بعض العبادات يمكن الاستخارة في وقت تنفيذها وليس في مبدأ القيام بها مثل الحج فهو فرض ويحسن أداؤه حال الاستطاعة ولكن في ظروف معينة يمكن الاستخارة للقيام به في هذا العام أو العام المقبل .

٧) حرمة اللجوء إلى الوسائل الممنوعة في تحديد القرار والبحث عن الصواب مثل الرمل وإتيان الكهان وغير ذلك .

الحديث الحادي عشر

فضل العون والعلم والعمل

أولاً : النص :

عن أبي هريرة رضى الله عن النبي ﷺ قال: من نفّس [1] عن مؤمن كُرْبةً [2] من كُرب الدنيا، نفّس اللهُ عنه كربةً من كُرَب يومِ القيامةِ، ومن يسَّر [3] على مُعْسِر [4] يسَّر اللهً عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستَر [5] مسلما ستره اللهُ في الدنيا والآخرة ، واللهُ في عَوْنِ [6] العبدِ ما كان [7] العبد في عون أخيه .

ومن سلك [8] طريقاً يلتمس [9] فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنةِ . وما اجتمع قوم [10] في بيت من بيوت [11] الله تعالى يتلون [12] كتابَ اللهِ ويتدارسونه [13] بينهم إلا نزلت عليهم

---

[1] فرج ووسع .
[2] هم أو مصيبة .
[3] سهل أو أنطر .
[4] مدين أو فقير .
[5] أخفى أو غطى أو كسا .
[6] مساعدة .
[7] ما دام .
[8] سار أو مشى في الطريق .
[9] يطلب او يبحث .
[10] جماعة سواء كانوا رجالاً أو نساءً .
[11] أي مسجد أو مكان عبادة .
[12] يقرأون ويرتلون .
[13] يتعلمون تلاوته وتفسيره .

السكينةُ[1] وغشيتهم[2] الرَّحمةُ [3] وحفَّتْهم [4] الملائكةُ [5] وذكرَهم اللهُ [6] فيمن عنده [7] ومن بَطَّأَ [8] به عملُه لم يُسْرِعْ [9] به نسبُه [10] رواه مسلم .

ثانيا : التخريج :

روى هذا الحديث العظيم الإمام مسلم رحمه الله برقم ٢٦٩٩ في الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر . كما رواه غيره مع اختلافات يسيرة حيث رواه الترمذي برقم ١٤٢٥ في الحدود ، باب ما جاء في الستر على المسلم وبرقم ١٩٣١ في البر والصلة ، باب ما جاء في الستر على المسلم أيضاً ، ورواه أيضاً برقم ٤٩٤٦ في الآداب، باب في المعونة للمسلم . وقد خرّج هذا الحديث العلامة ناصر الدين الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٦٧ وذكر أن الحديث رواه أيضا بالإضافة إلى من ذُكِر ابنُ ماجة وابنُ حِبَّانَ والنَّسائي والحاكم الذي قال عنه : " صحيح على شرطهما . "

ثالثا : الراوي :

روى هذا الحديث المهم الصحابي الجليل أبو هريرة رضى الله عنه وقد سبقت ترجمته في الحديث الثامن .

---

[1] الطمأنينة والثبات وصفاء القلب .
[2] غطتهم وشملتهم .
[3] فضل الله وبركته ورعايته .
[4] أحاطت بهم .
[5] مخلوقات نورانية لا يعصون الله ما أمرهم .
[6] نوه بهم وأثنى عليهم .
[7] من الملائكة المقربين .
[8] أخره ولم يمكنه من التقدم .
[9] يقدمه أو ينفعه .
[10] أصله وشرف أسرته .

رابعا : الشرح :

الأخوة الإيمانية رابطة عظيمة بين المسلمين تمنحهم حقوقاً معينة وتفرض عليهم التزامات محددة تجاه إخوانهم من أفراد المجتمع الإسلامي تتفاوت بين الوجوب والاستحباب. ومن الحقوق المستحب تقديمها للمسلمين ما ورد في الجزء الأول من هذا الحديث العظيم الذي يحث على إسداء بعض الخدمات لفئة خاصة من أفراد المجتمع ، ويحض على سلوكيات مناسبة في ظروف محددة لمن تعرض لمواقف صعبة تؤثر على سعادته ، وأمنه في المجتمع المسلم .

أول الأمور التي حض عليها الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث ، وبشر من قام بها خدمة لإخوانه المسلمين بجزاء المثل يوم القيامة عندما يكون في أمس الحاجة لذلك هو تفريج أزمة المسلم، والتوسيع عليه سواء أكان ذلك ناتجاً عن دفع دينه أم حل مشكلته مهما كانت سواء مالية أو صحية أو اجتماعية أو غيرها .

والتنفيس هو تعبير موحي يشعر بأن الشخص وقع في مشكلة تكاد تكتم أنفاسه وتخنقه وتكون مساعدة الأخ المسلم بمثابة إسعاف بالأوكسجين وتمكينه من التنفس ، والعودة إلى الراحة ، والوضع الطبيعي .

وقد وعد الرسول الكريم ﷺ من يقوم بهذا العمل الإسعافي الجليل بأن الله سوف يسعفه ويرفع كربته في يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من قدم لنفسه خيراً بمساعدة إخوانه المؤمنين . ولا شك أن في ذلك حضًا وتحفيزًا كبيرين على التعاون بين المسلمين في أوقات الحاجة .

ويصدق ما ذكر أعلاه على الأمور الأخرى التي وردت في الحديث وهي التيسير على المسلمين ، وستر عوراتهم ، ومساعدتهم

بصفة عامة . والتسهيل على المسلم قد يكون له علاقة بما يكلف به من عمل إن كان أجيراً أو تيسير شروط الاتفاقات والعقود في حدود الضروري دون التشدد والتضييق وكل ما يدخل ضمن التيسير من التعامل بين أفراد المجتمع المسلم . أما الستر على المسلم فهو إخفاء عيوبه التي قد يكتشفها أخوه المسلم بحيث لا يفضحه ولا يشهر به وخاصة إذا لم يكن في الستر ضرر على المجتمع . ويحسن أن يكون ضمن ستر العيب أن يقدم له النصيحة في السر ويوجهه إلى عدم العودة كشرط لستر العمل المشين المرتكب .

ولا يدخل ضمن من يستحق الستر لعيوبه وذنوبه الشخص المجاهر بالمعصية لأن هذا قد تولى كشف ستره بنفسه فلابد من فضحه والتحذير منه ومن سلوكه للحد من تأثير معصيته وحماية للمجتمع المسلم .

والأمر الرابع المتعلق بالتعاون بين المسلمين انطلاقاً من رباط الأخوة الإيمانية هو أن يقدم المؤمن المساعدة لأخيه المسلم في كافة المجالات حينما يحتاجها سواء أكانت المساعدة مادية أم معنوية . وقد وعد الله سبحانه وتعالى على هذه السلوكيات التعاونية الأخوية أن يكون جزاؤها من جنس العمل في الحياة الآخرة وقت الجزاء والثواب وفي الوقت الذي يحتاج الإنسان إلى ثواب أعماله الخيّرة أكثر من أي وقت مضى. أما جزاء المساعدة العامة فتبقى عامة أيضاً فإن الله وعد بعون كل من قدم ذلك لأخيه المسلم . ولا شك أن مقدار المساعدة الربانية ونوعها وزمن تقديمها أفضل بكثير من المساعدة المحدودة التي يقدمها الإنسان لأخيه في الحياة الدنيا المحدودة . وقد ورد تأكيد ذلك في جزء من الحديث المتفق عليه الذي رواه ابن عمر رضى الله عنهما : " من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته."

الموضوع الثاني الرئيس في هذا الحديث العظيم هو فضل طلب العلم . يؤكد الرسول الكريم ﷺ أن أي إنسان يطلب العلم خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى ويتكبد المشاق في طلب العلم الشرعي المفيد

أرجلاً كان أم امرأةً فسوف يقوده طريقه إلى الجنة . وفي ذلك تأكيد لأهمية العلم الشرعي والسعي إلى طلبه وذلك لأن الإنسان بالعلم يستطيع أن يتعرف ربه ودينه والوسائل التي تقربه إلى الله سبحانه وتعالى ويرتقي به إلى المستوى المطلوب من المسلم . ومن هذا المنطلق بين الرسول الكريم ﷺ أن طلبَ العلم والسفرَ في سبيل تحصيله يوازي الجهاد في سبيل الله . روى أنس بن مالك رضى الله عنه في الحديث الذي أخرجه الترمذي وحسنه قول النبي ﷺ : " من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله . " وقد وردت تكملة لهذا الجزء من حديث الباب تبين فضل العلم وطلبه وتقدير ما يقوم به العالم من توجيه وتعليم، وذلك في الحديث الذي رواه أبو داوود والترمذي عن أبي الدرداء الذي يقول فيه الرسول الكريم ﷺ : " من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتانُ في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر . "

ويدخل ضمن العلم وتحصيله الجزء الثالث من محتوى حديث الباب وهو الاجتماع على كتاب الله لتعلم تلاوته ودراسة تفسيره تعبداً لله وطلباً للعلم المفيد . وقد وعد الله سبحانه وتعالى من يفعل ذلك بأمور أربعة في غاية الأهمية والضرورة لراحة الإنسان وسعادته في هذه الحياة الدنيا . هذه الأمور هي :

١- نزول الملائكة لتكون مع الجماعة التي تتلو كتاب الله وتدرس تفسيره . وهذا تنويه بفضل ما يقومون به من عمل خيٍّر يربطهم بكتاب الله ويزيدهم علماً وتقوى واستقامة بحيث تأتي الملائكة لمشاركتهم في هذا العمل الصالح .

٢- شمولهم بالرحمة الربانية : ولا شك أن غشيان الرحمة لأي فرد أو جماعة هو مطلب عزيز ينبغي أن يبحث عنه الجميع ويرغب فيه المسلم الصالح للفوز بمرضاة الله .
٣- نزول السكينة عليهم : والسكينة هي الطمأنينة والهدوء والسعادة النفسية التي يفتقدها كثير من الناس خاصة في العصر الحاضر الذي كثر فيه القلق والخوف والشقاء النفسي .
٤- ذكرهم عند الله وثناؤه عليهم سبحانه وتعالى لدى الملائكة المقربين : ولا شك أن الإنسان يفرح إذا جرى ذكره بخير لدى أي شخصية مهمة من رؤسائه أو غيرهم . فكيف لا يسعى الإنسان لأن يفوز بهذا الشرف والذاكر هو الله سبحانه وتعالى والثناء على المذكور لدى جمهور الملائكة البررة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ؟

أما الموضوع العام الرابع الذي احتواه حديث الباب فهو الحث على العمل الصالح ، والحرص على الإنجاز الفردي، وعدم الاعتماد على شرف النسب، وما حققه الآباء والأجداد ، ولذا فإن الرسول الكريم ﷺ يؤكد هنا حقيقة أكدها في أحاديث أخرى وهي أن العبرة بالتقوى والعمل الصالح وليس الأصل والنسب والموقع الاجتماعي للشخص أو أسرته ، وذلك انطلاقاً من التوكيد الرباني القائل : " إن أكرمكم عند الله أتقاكم ."

خامساً : الأحكام :

اشتمل هذا الحديث العظيم على كثير من الأحكام المهمة منها :

١) استحباب تفريج كربة المسلم وعظم الأجر على ذلك .
٢) الدعوة إلى التيسير على المسلمين في كافة مجالات الحياة .
٣) استحباب ستر عورات المسلمين وعدم التشهير بهم ما لم يكن في ذلك إعانة على الفاحشة .

٤) الدعوة إلى أن يكون المسلم مساعداً لإخوانه المسلمين في كل الظروف ، ووعْد من الله بمساعدة من يقوم بذلك .

٥) فضل طلب العلم وأنه يفضي إلى الجنة إذا خلصت النية لله سبحانه وتعالى .

٦) استحباب الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وتعلمه وتدريسه وفهم تفسيره وعظم الأجر على هذا العمل الخير .

٧) أن قيمة الإنسان تحددها أعماله الصالحة لا نسبه وشرف أسرته أو قبيلته .

الحديث الثاني عشر

أهمية التبليغ والإخلاص ووحدة الأمة

أولاً : النص :

عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:" نضَّر الله(١)إمرأ(٢) سَمع منا حديثاً (٣) فبلَّغه (٤) غيرَه ، فرَبَّ حامل (٥) فقْهٍ (٦) إلى مَنْ هو أفقهُ منه، وربَّ حاملِ فقهٍ ليسَ بفقيهٍ (٧) . ثلاث لا يّغلّ (٨) عليهن قلبُ مسلم : إخلاصُ (٩) العملِ لله، ومناصحةَ (١٠) ولاةِ الأمر (١١) ولزومُ (١٢) الجماعة (١٣) ، فإن دعوتهم تُحيط (١٤) مِنْ ورائهم . ومن كانت الدنيا نيتَّهُ (١٥) فرَّق(١٦) اللهُ عليه أمرَهُ(١٧) وجَعَل فقرَهُ بينَ عينيه(١٨) ولم يأته(١٩) من الدنيا إلا ما كُتِبَ (٢٠) له . ومن كانت الآخرة نيتهُ

---

(١) جملّ .

(٣) قولا ، والحديث يشمل القول والفعل والتقرير .

(٤) أوصله ونقله إلى .

(٥) ناقل أو مبلغ .

(٦) علم ، والأصل في الفقه الفهم .

(٧) عالم بالشريعة .

(٨) يحقد أو يخون .

(٩) التجرد من الهوى في أداء العبادة خالصة لوجه الله .

(١٠) تقديم النصيحة والإخلاص لهم .

(١١) حكام المسلمين ورؤساؤهم .

(١٢) التمسك والحفاظ .

(١٣) عامة المسلمين وغالبيتهم .

(١٤) تشمل وتلحق .

(١٥) هدفه .

(١٦) عسر

(١٧) ما يهمه من أمور الحياة .

(١٨) ماثلا أمامه .

(١٩) يحصل له .

(٢٠) قدره الله .

جَمَعَ [1] اللهُ أمرَه ، وجعل غِناه [2] في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة[3] ." رواه ابن حبان والبيهقي .

ثانياً : التخريج :

روى هذا الحديث ابن حبان في صحيحه ورواه البيهقي في معرفة السنن والآثار ج١/١٠٩، ١١٠عن زيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود والنعمان بن بشير وغيرهم .

وروى صدر الحديث إلى قوله " ليس بفقيه " الترمذي برقم ٢٦٨٥ في العلم ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع . كما رواه أبو داود برقم ٣٦٦٠ في العلم أيضاً ، باب فضل نشر العلم . وروى هذا الجزء من الحديث أيضاً الإمام أحمد وابن ماجه والدارمي . وخرّج هذا الحديث ناصر الدين الألباني بكامله في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٨٥، وذكر أن النسائي وابن ماجه والترمذي رووا هذه الزيادة أيضاً . كما روى أجزاء من هذا الحديث الترمذي عن طريق عبد الله بن مسعود وصححها الأرناؤوط في تخريجه لأحاديث جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ برقم ٥٨٤٨ ، ٥٨٤٩ .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل أبو خارجة زيد بن ثابت بن الضحاك الخزرجي الأنصاري . ولد في المدينة المنورة ونشأ في مكة المكرمة وهاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة المنورة وعمره إحدى عشرة سنة. كان أحد كتاب الوحي للنبي ﷺ. وكان فقيهاً وعالماً في الدين عامة والفرائض خاصة. وقد حفظ القرآن الكريم كاملاً. وتوفي في المدينة المنورة عام ٤٥هـ . وقد روى له أهل كتب الحديث ٩٢ حديثاً.

---

[1] أصلح الله له شأنه .
[2] قناعته .
[3] مجبرة و لا حيلة لها .

وزيد كان رئيس الفريق الذين عهد إليهم عثمان بن عفان رضى الله عنه كتابة المصحف الشريف .

رابعاً : الشرح :

القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدرا الشريعة الإسلامية . وقد ترك الرسول ﷺ القرآن محفوظاً في صدور الصحابة ومكتوباً على ما توفر من أدوات الكتابة في عصر النبوة . أما السنة النبوية فقد كان مصدرها ما حفظه الصحابة ورووه من أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وأخلاقه وتقريراته. وقد ورد أن الرسول ﷺ منع في البداية أن يكتب عنه أي شيء غير القرآن الكريم. ولذا فقد كان السماع والرواية الشفوية هما الوسيلة الرئيسة التي نقلت بها السنة من الرسول ﷺ إلى صحابته ثم التابعين. وحرصاً من الرسول ﷺ على أن تنقل أقواله بدقة فقد كان يتحدث ببطء ويعيد أقواله أحياناً ثلاث مرات. هذا بالإضافة إلى تحذيره الشديد من أن ينقل عنه شيء لم يقله في الحديث المشهور: " من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . " وفي المقابل فقد حث ﷺ بأن يسعى الجميع في أن ينقلوا عنه ما يقول بدقة إلى أكبر عدد من الناس . ويمثل هذا الحث والتشجيع الجزء الأول من هذا الحديث العظيم الذي رواه الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضى الله عنه .

يدعو الرسول الكريم ﷺ – ودعاؤه مستجاب – أن يجمل الله بالنضارة والصحة والاستقامة كل إنسان سواء ذكراً كان أم أنثى سمع شيئاً من أقوال الرسول ﷺ ونقله إلى الآخرين كما سمعه دون زيادة أو نقص . وقد بين الرسول الكريم ﷺ أهمية هذا النقل الدقيق لحديثه وتوصيله إلى الآخرين بتوضيح السبب وراء حرصه على ذلك ، وهو أن الإنسان قد يحفظ نص القول ولا يتمكن من استخراج كل ما فيه من فقه وأحكام ، فهو وإن كان فقيها ويعرف معظم الأحكام في هذا الحديث إلا أنه قد يوجد من هو أعلم منه . وقد تتوافر قدرة استنباط الأحكام وإنزالها على واقع الحياة الإنسانية في الشخص الذي يصل إليه الحديث منقولاً عن الرسول الكريم ﷺ .

وقد أكد الرسول ﷺ أهمية نقل حديثه بدقة إلى من لم يسمعه منه مباشرة بإيراد احتمال آخر هو أن الإنسان قد يحفظ حديثاً ويحمله إلى غيره دون أن يدرك أن ما لديه من حديث فيه أحكام فقهية وعلم يحتاجه الآخرون وذلك لجهله ، ولكن نقله الحديث إلى غيره يكون سبباً لإيصال هذا الفقه إلى من يستفيد منه ويفيد الآخرين .

الجزء الآخر من الحديث يشير إلى أمور ثلاثة لا يمكن أن يحملها المسلم في قلبه لا حقداً ولا خيانة وذلك لتعارض تلك المشاعر مع مقتضيات الروح الجماعية والمصلحة العامة . أول هذه الأمور هو **الإخلاص وتحرير النية** بأن الهدف من القيام بأي عمل هو مرضاة الله أولاً وتحصيل المنفعة المرجوة من العمل في الدرجة الثانية . وهذا في الأمور التي يتعدى نفعها إلى المجتمع ، أما عندما يكون الأمر مقتصراً على سلوك أو اعتقاد بين العبد وربه فلابد من الإخلاص وسلامة النية من الرياء وحب السمعة وتعظيم الذات وغير ذلك من المشاعر التي تتنافى مع صفاء النية وخلوص القصد لله سبحانه وتعالى .

الموضوع الآخر الذي لا يصح أن يخون الإنسان فيه ويتأخر عن أداء الواجب تجاهه هو نصح الحاكم وتقديم المشورة له فيما يصلح البلاد والعباد. ومناصحة ولاة الأمر تصبح الحاجة إليها أشد والأمر بها أبلغ إذا لم تكن هناك آلية ووسائل للشورى متضمنة في نظام الحكم أو الإدارة الحكومية أو الجهات الأخرى التي يتولاها من ينطبق عليهم مفهوم " ولاة الأمر " بمستوياتها المتعددة . وقد ورد في الذكر الحكيم الأمر بالشورى في المجتمع المسلم وهي ذات صلة وثيقة بمناصحة ولاة الأمر . وقد ورد في السنة الشريفة الأمر بالنصيحة في الحديث المعروف الذي رواه الإمام مسلم عن تميم بن أوس الداري حيث قال الرسول ﷺ "الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ." ومع أن معاني النصيحة في هذا الحديث تختلف حسب من قرنت به، إلا أنها تلتقي في اشتراط الإخلاص والتجرد في التعامل مع الجميع .

القضية الثالثة التي لا يجوز فيها للمسلم أن يدخله الحقد ويقوده إلى التخلي عن القيام بالواجب تجاهها هي لزوم جماعة المسلمين أي موافقة المسلمين في الاعتقاد والعمل الصالح والحرص على وحدتهم وعدم الخروج على الحكام المسلمين مما يؤدي إلى الفرقة وشق صف الجماعة المسلمة . وهذا لا يعني مجرد البقاء مع الجماعة التي تمثل عامة المسلمين وغالبيتهم ممن هم على منهج الرسول الكريم ﷺ وأصحابه الكرام ، بل لابد أيضاً من العمل قدر الاستطاعة على إبطال أي مسعى من مساعي تمزيق وحدة المسلمين ، وشق صفهم عندما يكونون مجتمعين من باب التعاون على البر والتقوى . وقد أعطى الرسول الكريم ﷺ أحد الأسباب التي تدعو المسلم إلى لزوم جماعة المسلمين وهي أن يد الله مع الجماعة بحيث إن بركة دعائهم تحيط بهم ومن معهم من كل الجوانب ومن ثم يحفظهم الله بهذا الدعاء جزاء اجتماعهم وتوحد كلمتهم فيحرسهم من مكائد الشيطان وينجيهم من الضلالة والفرقة.

وقد بين الرسول الكريم ﷺ في هذا القسم من هذا الحديث العظيم أن المسلم لا يخون في هذه الأمور الثلاثة ولا يدخله الضغن والحقد بحيث يصرفه عن الحق . ومن بركة الالتزام بهذه الخلال الحميدة أن تصلح بها القلوب وتنقى الصدور من الدغل والفساد والحقد والشحناء .

وفي القسم الثالث من الحديث يؤكد الرسول الكريم ﷺ أن التعلق بالدنيا وجعلها الهم الرئيس في سعي الإنسان يقود إلى تشتت الشمل وتفرق الجهد وفقدان القناعة والخوف الشديد من الفقر . وهذا الوضع يدفع الإنسان إلى أن يجهد نفسه ويسعى للحصول على المال بكل الوسائل المشروعة والممنوعة ، ولكن جريه وراء الدنيا وسعيه الحثيث لامتلاك الثروة سوف يبوء بالفشل والخسران لأنه لن يحصل إلا على ما قدر الله له الحصول عليه وقرره في علمه الأزلي حتى لو لم يفعل ما فعل من تجاوز الحدود وعدم الإجمال في الطلب . والسبب في ذلك كله أن قصده كان موجها للدنيا وزخارفها والفتنة بحطامها

الذي لا يعدو أن يكون متاعاً إلى حين ووسيلة تعين على الاستعداد للآخرة التي هي دار القرار .

ويقدم الرسول الكريم ﷺ صورة مغايرة تماماً لصاحب الدنيا تمثل الشخص المؤمن الذي كان قصده وعمله للآخرة ، فقد حصل له عكس ما وقع لصاحب الدنيا تماماً ، وتم له أمر لم يسع إليه أصلاً في حين كان ذلك هدف قاصد الدنيا وحلمه الذي لم يتحقق . ولأن قاصد الآخرة جعلها همه الرئيس وسعى لها سعيها فقد أكرمه الله بأن جمع شمله وأصلح له شأنه كله في أمور الدنيا والآخرة وأكرمه بقناعة تامة جعلته يشعر بالرضا والسعادة التي قد لا تحصل للأغنياء . وفوق ذلك كله جاءه الجاه وأتته الثروة والغنى منقادة مجبرة لا تملك من أمرها شيئاً لأنها ميسرة ومدبرة من الله الذي بيده مقاليد الأمور وبأمره تسير الحياة . وهذا يعني أن من يريد الآخرة ويجعلها هدفه الذي يسعى إليه فإنه يحصل على الدنيا والآخرة مجتمعتين . وأما من كان هدفه الدنيا فإنه يضيع الدنيا والآخرة . وقد يصبح مثل فقراء اليهود لا دنيا ولا دين .

وهكذا أوضح الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث العظيم بأجزائه الثلاثة الرئيسة بعض أنماط المسلمين والمهام التي يجب أن يقوموا بها أو يتجنبوها مع تبيان نتائج ذلك سلباً أو إيجاباً خاصة فيما يتعلق بالسعي الإنساني في هذه الحياة الدنيا وما يترتب عليه من سعادة أو شقاء .

خامساً : الأحكام :

اشتمل هذا الحديث على جملة من الأحكام المهمة ، أبرزها ما يلي :

١) الحث على رواية حديث الرسول الكريم ﷺ والحرص على تبليغه للآخرين كما هو دون زيادة أو نقص .

٢) أن حفظ النصوص لا يعني بالضرورة القدرةَ على استخراج الأحكام الفقهية منها .

٣) التحذير من أن يكون الحقد أو الخيانة سبباً في صرف المسلم عن الإخلاص لله ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين .

٤) التأكيد على أن يد الله مع الجماعة وأن لزومها يكون سبباً للحماية من الفتن والضلال .

٥) التحذير من أن قصد الدنيا والركض وراء المال قد يكونان سبب الشقاء الدنيوي وخسران الآخرة .

٦) البشارة لمن جعل همه الآخرة بأن الله سوف يجمع له الدنيا والآخرة فضلاً منه ونعمة.

٧) أن خبر الواحد حجة في الأحكام كلها وإلا لما أمر الرسول الكريم ﷺ " امرأً " أو " عبداً" وهو خطاب للواحد بتبليغ ما سمعه منه ورتب على ذلك الدعوة له بحسن الخَلق والخُلقُ .

٨) وجوبٍ استحضار النية في العمل وابتغاء وجه الله به لكي يكون مقبولاً .

٩) الإيمان بما قضاه الله للمرء وأهمية ذلك في إدخال السكينة على النفس .

الحديث الثالث عشر

أفضل العمل

أولاً : النص :

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سألتُ رسولَ الله ﷺ أيُّ العمل أحبُّ إلى اللهِ؟ وفي رواية :أيُّ العمل أفضلُ [١] ؟ قال: "الصلاةُ على وقتها [٢]." قال ثم أيٌّ؟ قال :"برُ الوالدَين [٣]." قال ثم أيٌ ؟ قال: " الجهادُ [٤] في سبيل الله." قال حَدَّثني بهن [٥] رسولُ اللهِ ﷺ ولو استزدتُه [٦] لزادني[٧]. رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

ثانيا : التخريج :

روى هذا الحديث أربعة من أصحاب الكتب الستة . رواه البخاري برقم ٥٢٧ في مواقيت الصلاة ، باب فضل الصلاة لوقتها ، كما رواه في عدد من كتب صحيحه منها الجهاد برقم ٢٧٨٢ ، والأدب برقم ٥٩٧٠ ، والتوحيد برقم ٧٥٣٤. ورواه مسلم برقم ٨٥ في الإيمان ، باب كون الإيمان أفضل الأعمال ، ورواه النسائي في المواقيت ، باب فضل الصلاة لوقتها . كما رواه الترمذي في صحيحه برقم ١٨٩٨ ، باب ما جاء في الوقت الأول من الفضل .

---

(١) هذه الرواية تفسر التي تليها أي أن أحب العمل إلى الله هو أفضله .
(٢) في أول وقتها .
(٣) طاعتهما والإحسان إليهما بطريق مباشر وغير مباشر .
(٤) بذل الوسع والمقصود هنا القتال في سبيل الله .
(٥) أي بالأمور الثلاثة المذكورة .
(٦) لو طلبت مزيداً من الأعمال الفاضلة التي يحبها الله .
(٧) أي لبين لي ذلك .

ثالثاً : الراوي :

روى هذا الحديث الصحابي الجليل أحد العبادلة المشهورين أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي . أسلم سادس ستة فكان من السابقين الأولين إلى الإسلام . وهو أول من جهر بالقرآن وكان من حفاظه المشهورين حيث قال عنه الرسول ﷺ وثلاثة من الصحابة : " خذوا القرآن عن أربعة : عبد الله (يعني ابن مسعود) ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل وأُبيّ بن كعب ." . هاجر إلى الحبشة مرتين ثم إلى المدينة المنورة . شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها .وأجهز علي أبي جهل في غزوة بدر فشهد له الرسول ﷺ بالجنة ، وكان رسول الله ﷺيكرمه ويدنيه ، ويُعَدّ من كبار الصحابة . ولي قضاء الكوفة وبيت المال فيها في خلافة عمر بن الخطاب وأول خلافة عثمان بن عفان ، ثم رجع إلى المدينة حيث توفى سنة ٣٢ هـ . كان قصير القامة وضئيل الجسم ، نحيل الساقين قال عنهما الرسول الكريم ﷺ عندما ضحك عليه الصحابة أثناء تسلقه شجرة : " والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من جبل أحد . " كان يحب التطيب حتى عرف عنه ذلك . وقد روى أصحاب كتب الحديث لابن مسعود ٨٤٨ حديثاً وأصح الأسانيد ما رواه سفيان الثوري عن منصور بن المعتمر ، عن إبراهيم ، عن علقمة .

رابعاً : الشرح :

يحرص المسلم الجاد الذي يسعى إلى تحقيق آماله الإيمانية ويهدف إلى تأمين مستقبله الحقيقي بالفوز بالجنة والنجاة من النار على الاستزادة من العمل الصالح الذي يقربه إلى الله ويحقق ما يهدف إليه . ولأن الأعمال الصالحة كثيرة والعمر قصير وهمة الإنسان قد تضعف ، فمن الحكمة والتدبير السليم أن تكون للإنسان أولويات ويقدم العمل الفاضل الذي يحبه الله ويعظم جزاءه على المفضول الأقل في سلم الأوليات ومقدار الثواب . ومن هذا المنطلق جاء حرص الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود وسؤاله للرسول الكريم ﷺ عن

أفضل الأعمال التي يحبها الله سبحانه وتعالى ليكون حرصه عليها أكثر والاهتمام بها أكبر. فكان جواب الرسول الكريم ﷺ أن أحب الأعمال إلى الله وأفضلها هو أداء الصلاة في وقتها .

والصلاة هي أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين . ولهذا فلا يسبقها في الأهمية سوى إعلان التوحيد وما يتطلبه من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، ثم إعلان قبول رسالة الرسول الكريم ﷺ ، والعهد باتباعه ، واتخاذه أسوة في تطبيق مقتضيات الإيمان ، والخضوع لمنهج الله الذي جاء به . وقد وردت آيات الكتاب الحكيم والسنة المطهرة ناطقة بأهمية الصلاة المكتوبة وضرورة المحافظة عليها في وقتها وأدائها في جماعة في المساجد التي أقيمت ليذكر فيها اسمه . يقول الله سبحانه وتعالى : "وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات، " (هود ١١٤) ، ويقول سبحانه وتعالى : " إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . " (العنكبوت ٤٥) . وقد بين الله في كتابه العزيز وعلى لسان الرسول الكريم ﷺ أن الصلاة تُمحى بها الخطايا وتكفر بها الذنوب . وذكر الله سبحانه وتعالى أهمية أداء الصلاة في وقتها بقوله تعالى:"إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً،"(النساء - ١٠٣) . وبين الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث فضل أداء الصلاة في وقتها ، وبين الفقهاء أن أداءها في أول وقتها أفضل من أدائها في وسط الوقت المختار أو في آخره .

وعندما استفسر الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود عن العمل الصالح الذي يأتي بعد الصلاة في الأهمية والفضل أخبره الرسول الكريم ﷺ أن ذلك هو بر الوالدين .

وبر الوالدين أمر فرضه الله سبحانه وتعالى وأكده الرسول الكريم ﷺ انطلاقاً من أهمية الدور الذي يقوم به الوالدان في إنجاب الأبناء وتربيتهم وتحمل المشاق العظيمة في سبيل ذلك . ولهذا فقد جعل الله حقوق الوالدين تأتي مباشرة بعد حقه سبحانه وتعالى عندما قال :

" وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ، " (الإسراء ٢٣) ، وقال سبحانه : " أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير، " (لقمان ١٤) . ومن متطلبات الشكر للوالدين برهما والإحسان إليهما وطاعتهما في المعروف والتضحية في سبيل راحتهما وخدمتهما وتوفير أسباب السعادة لهما. وعلى الرغم من أن الولد مهما عمل فلن يستطيع الوفاء بحقوق والديه ومجازاتهما بما يستحقان جزاء ما قدما له وأن ما يقوم به الأولاد تجاه الوالدين هو رد لجزء من إحسانهما ، فقد رتب الله على بر الوالدين أجراً عظيما وجعل ذلك بابا واسعاً ينال من خلاله الأبناء رضوان الله ويدخلون فسيح جناته .

بين الرسول الكريم ﷺ في حديث أبي هريرة المتفق على صحته أن الأم تستحق الحظ الأوفر من الرعاية والبر حيث أعطاها الرسول الكريم ﷺ ثلاثة أمثال ما للأب من الإحسان وحسن الصحبة وذلك لأهمية الدور الذي تقوم به الأم من الحمل والرضاعة والعناية بالابن في سنواته الأولى .

وقد دعا الرسول ﷺ في حديث أبي هريرة الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله بالذل والمهانة على من أدرك أحداً من أبويه ولم يبرهما بالقدر الذي يدخله الجنة . يقول الرسول الكريم ﷺ : "رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكِبَرِ ، أحدَهما أو كليهما ، فلم يدخل الجنة . "

وبين الرسول الكريم ﷺ في حديث مالك بن ربيعة السعدي الذي رواه أبو داود وابن ماجه وابن حيان أن بر الوالدين والإحسان إليهما لا ينقطع بموتهما بل يستمر حتى بعد ذلك من خلال الدعاء والاستغفار لهما وتنفيذ وصيتهما وغير ذلك مما بينه الحديث الذي يقول فيه الرسول الكريم ﷺ إجابة لسؤال رجل من بني سلمة : يا رسول الله : هل بقى من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ فقال : " نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما . " ولم يكتف

الرسول ﷺ بهذا ، بل بين فضل صلة أصدقاء الوالدين بحديث عبد الله بن عمر الذي رواه مسلم حيث يقول الرسول ﷺ : " إن أبرَ البر صلةُ الرجلِ أهلَ وُدّ أبيه . "

والأمر الثالث الذي يأتي بعد الصلاة على وقتها وبر الوالدين في الأهمية هو الجهاد في سبيل الله .

والجهاد هو ذروة سنام الإسلام والسياج الحامي لحوزة الدين . وقد ذكر النبي ﷺ في حديث عن ابن عمر رواه أبو داود والإمام أحمد وصححه الألباني أنه " ... وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تعودوا إلى دينكم . " وهذا واضح من حال المسلمين في الوقت الحاضر عندما تركوا الجهاد فسلط عليهم عدوهم وطمعت فيهم أمم الأرض . وقد أمر الله المؤمنين بالجهاد بالمالِ والنفسِ وحثهم على مقارعة أعدائهم حيث قال تعالى : " انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، " (التوبة ٤١) . وبين الله سبحانه وتعالى أن الجهاد بالمال والنفس جزء مهم من التجارة مع الله التي تنجي من العذاب وتحصل بها المغفرة ودخول الجنة ويتحقق بها النصر المبين ، قال تعالى : " يا أيها الذين أمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، ومساكن طيبة في جنات عدن، ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين ." (الصف ١٠- ١٣) .

ولا شك أن المستضعفين من المؤمنين ، مثل مسلمي اليوم يدركون المغزى العظيم وراء كلمة تحبونها عند الحديث عن النصر الذي لا يكاد يحلم به كثير من المسلمين اليوم لضعفهم وهوانهم على الناس .

وقد وردت أحاديث أخرى عن الرسول ﷺ تضع الجهاد في سبيل الله بعد الإيمان بالله ورسوله في المرتبة والأهمية ، منها حديث أبي

هريرة المتفق عليه حين قال الرسول ﷺ عندما سئل عن أي الأعمال أفضل ؟ فقال : " إيمان بالله ورسوله . " قيل : ثم ماذا؟ قال : " الجهاد في سبيل الله ." قيل ثم ماذا ؟ قال : " حج مبرور ." ومنها حديث أبي ذر المتفق عليه أيضاً حيث أجاب الرسول ﷺ عندما سئل: أي العمل أفضل؟ قال : " الإيمان بالله ، والجهاد في سبيله . " .

وورد في فضل الجهاد أحاديث كثيرة ليس هذا مجال تفصيلها حيث يمكن الرجوع إليها في مظانها . ومع ذلك ، بل ربما لذلك ، تعرض الجهاد لحملات تشويه شديدة من أعداء الإسلام وسموه " الحرب المقدسة " وألصقوا به صفات القسوة وسفك الدماء حتى إن بعض المسلمين تأثر بهذه الدعاية المغرضة وأخذ يعتذر عنه بأعذار لا تتفق مع روح الجهاد والهدف النبيل الذي شرع من أجله . وقسم بعض المفكرين المعاصرين الجهاد إلى دفاعي وهجومي فأقر بالأول وتبرأ من الثاني ، وشدد على أن الإسلام يُعنى بالجهاد للدفاع عن المسلمين وديارهم إذا هوجمت ولا شيء غير ذلك .

ولا شك أن الله عندما أذن للمسلمين بالقتال كان للدفاع عن أنفسهم وحماية دينهم الذي طالما اضطهد المشركون اتباعه وحاولوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم . ومع أن الإسلام لا يقسر الناس على الدخول به بالقوة حيث يقرر الله سبحانه وتعالى القاعدة المشهورة " لا إكراه في الدين " . فقد فرض الله الجهاد لتأمين الظروف المناسبة للدعوة إلى الإسلام وتوفير جو الحرية الذي يمكن الناس من التعرف على الإسلام ويقبلوه طواعية دون إكراه ، قناعة بما فيه من عناصر القوة واستجابة لنداء الفطرة الذي غرسه الله في الناس جميعاً .

ولا شك أن أهمية الجهاد لحماية الدعوة الإسلامية ورفع الظلم عن المضطهدين ، وأبدية الصراع بين الحق والباطل هي بعض الأسباب التي رشحت الجهاد في سبيل الله لينال هذه الدرجة العالية في الأهمية بين الأعمال الصالحة الفاضلة في المنهج الإسلامي الشامل . ولا شك أيضاً أنه لا عز لأمة الإسلام بين الأمم إلا بإحياء فريضة الجهاد

بالنفس والنفيس حتى تهابها الأمم وتلتفت إلى ما لديها من هداية ربانية تحميها القوة العادلة التي ينعم الجميع في ظلها بالإيمان والأمن .

وفي نهاية الحديث يؤكد الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أنه سمع هذه الأمور الثلاثة المتعلقة بأفضلية أداء الصلاة على وقتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله من الرسول الكريم ﷺ ، وأنه لو طلب مزيداً من الإيضاح عن الأعمال الأخرى التي تلي هذه الثلاثة في الأفضلية لأخبره الرسول ﷺ بذلك .

خامساً : الأحكام :

اشتمل هذا الحديث العظيم على عدة أحكام أهمها ما يلي :

١) حرص الصحابة رضى الله عنهم على معرفة الأعمال الفاضلة ليستزيدوا من الخير .
٢) فضل أداء الصلاة المكتوبة في وقتها اهتماماً بها وخوفاً من تأخيرها .
٣) فضل بر الوالدين والإحسان إليهما وأنه لا يفوقه في الأفضلية إلا التوحيد وأداء الصلاة المكتوبة في وقتها .
٤) فضل الجهاد في سبيل الله خاصة القتال في الحرب لحماية دعوة التوحيد وتوفير الأجواء المناسبة لإيصالها إلى الناس جمعياً .
٥) اقتصاد الصحابة في الأسئلة واقتصارهم على الضروري فقط تنفيذاً لتوجيهات الرسول الكريم ﷺ حتى مع وجود الرغبة أحياناً لمزيد من الإيضاح .

الحديث الرابع عشر

الأسباب الخمسة لهلاك الأمم

أولاً : النص :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال:" يا معشرَ المهاجرين(١) خمسٌ إذا ابتليتم (٢) بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن (٣) : لم تظهر الفاحشة (٤) في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعونُ (٥) والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا (٦) المكيالَ والميزان إلا أخذوا بالسنينَ (٧) وشدةِ المؤونة (٨) وجورِ السلطان (٩) عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعوا القطْرَ (١٠) من السماء ، ولولا البهائمُ لم يُمطَروا ، ولم ينقُضوا عهدَ الله (١١) وعهدَ رسوله إلا سلَّط اللهُ عليهم (١٢) عدواً من غيرهم فأخَذوا بعضَ ما في أيديهم (١٣) ، وما لم تحكمْ أئمتُهم بكتابِ الله ، ويتخيروا مما أنزل الله (١٤) إلا جعل اللهُ بأسهم (١٥) بينهم ." رواه ابن ماجة .

---

(١) الذين هاجروا من مكة إلى المدينة المنورة .
(٢) امتحنتم بهن ووقعن بكم .
(٣) جملة معترضة وهي رجاء من الرسول ألا يقع ذلك .
(٤) الزنا واللواط .
(٥) داء وبائي تنقله الفئران ، وقد يطلق على المرض الخطير المعدي .
(٦) يبخسوا .
(٧) القحط وقلة المطر .
(٨) الفقر وقلة الموارد .
(٩) ظلم الحكام لهم وتسلطهم عليهم .
(١٠) المطر .
(١١) يغدروا بنقض العهد والمواثيق .
(١٢) انتصر عليهم العدو وغلبهم .
(١٣) سلبوا أموالهم .
(١٤) ينتقوا من أحكام الله وشريعته ما يناسبهم .
(١٥) أوقع الحرب والعداوة بينهم .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الفتن ، باب العقوبات برقم ٤٠١٩ . ورواه البزار والبيهقي وقد خرجه الشيخ ناصر الدين الألباني وصححه في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٠٦ وصحيح الترغيب والترهيب برقم ٧٦٢ .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، أمه زينب بنت مظعون الجمحية . ولد في العام الثالث من البعثة وهاجر وهو ابن عشر سنين . أسلم مع أبيه وهاجر ولم يشترك في بدر ولا أحد حيث لم يجزه النبي ﷺ لصغر سنه . وقد أجازه للخندق وكان عمره يومئذ خمس عشرة سنة . وعبد الله بن عمر أحد المكثرين من الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ ، فقد روى ٢٦٣٠ حديثاً . كما روى عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم . وروى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين . رأى رؤيا فقصها على أخته حفصة فأخبرت بها النبي ﷺ فقال : " نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل ، " فكان بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً . وقال عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما : "إن أملك شباب قريش لنفسه في الدنيا عبد الله بن عمر ." وقال جابر بن عبد الله : " ما منا من أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها غير عبد الله بن عمر ." ولقد اشتهر ابن عمر بالورع وتحري سنة الرسول الكريم ﷺ ، وقال عنه طاووس : " ما رأيت رجلاً أورع من ابن عمر ." كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه من أئمة الدين وأحد العبادلة الأربعة الذين أخذ عنهم العلم واشتهروا بالإفتاء . وهم بالإضافة إلى عبد الله بن عمر : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير. وقد قال عنه مالك : " كان إمام الناس عندنا بعد عمر زيد بن ثابت ، وكان إمام الناس عندنا ، بعد زيد ابن عمر ." وقد اشتهر عنه الأخذ بالعزائم حتى قيل : " من أخذ بقول ابن عمر لم يدع من الاستقصاء

شيئا." وقد أوصى عمر بن الخطاب أن يكون عبد الله أحد أهل الشورى الستة الذين أوكل إليهم اختيار الخليفة من بعده دون أن يكون له نصيب في الخلافة . وقد عُمّر ابن عمر طويلا فعاش سبعا وثمانين سنة حيث مات في ذي الحجة من عام ثلاث وسبعين للهجرة.

رابعاً : الشرح :

يخبرنا الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ أقبل بوجهه إليهم في أحد الأيام وخاطبهم موجهاً كلامه للمهاجرين الذين تركوا أهليهم وأموالهم في مكة وهاجروا إلى المدينة المنورة محذراً لهم من أمور قد تقع في المستقبل ، ومؤكداً أنها إذا وقعت - مع رجائه ﷺ وأمله ألا تقع – فإنها تدل على فساد المجتمع وقلة الخير فيه . بل إن وقوعها يستلزم نزول عقوبات من الله على من ابتلوا بتلك الذنوب ووقعوا في تلك الممارسات المشينة الناتجة عن الانحراف عن منهج الله سبحانه وتعالى .

ذكر الرسول الكريم ﷺ أن أول تلكم الخمس هي ظهور فاحشة الزنا وما يتبعها من الشذوذ مثل اللواط وغيره ، وانتشار هذه الفاحشة بحيث تقترف علانية دون ستر أو مواربة . وهذا يعني بالإضافة إلى ضعف الوازع الديني غياب الحياء والخروج على ما تَعارف عليه الناس من حشمة ووقار . إذا حصل ذلك فالعقوبة المستحقة هي انتشار الأمراض الخطيرة والوبائية المعدية التي لم تكن معروفة في حياة الناس جزاء ما اقترفوا من الفاحشة وما فقدوا من الأدب وقلة الحياء . ولعل ما حصل في زمننا الحاضر من انتشار مرض الإيدز وغيره من الأمراض الجنسية الناتج عن انتشار فاحشة الزنا واللواط دليل واضح على صدق هذا الحديث وأنه علامة من علامات نبوة الرسول الكريم ﷺ .

الأمر الثاني من الأمور الخمسة هو انتشار الغش التجاري في البيع والشراء المتمثل في نقص الكيل والوزن وبخس الناس أشياءهم بدون وجه حق. والنتيجة الحتمية لهذا الغش هو محو البركة واشتداد

القحط وتسلط الفقر والعوز على المجتمع الذي يمارس هذا الغش في المجال الاقتصادي وانتشار الظلم وغياب العدل من السلطان الحاكم والدولة المسيطرة على مجريات الأحداث . والجزاء هنا من جنس العمل حيث غش التجار أملاً بالثراء وظلموا الناس بأخذ أموالهم بغير حق فتسلط عليهم الفقر وعاملهم السلطان بالظلم والجور والعسف نتيجة ظلمهم للناس .

والانحراف الثالث الذي حذر منه الرسول الكريم ﷺ هو منع الزكاة التي هي حق الفقراء في المال . والزكاة هي أهم مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي في الإسلام والدلالة الواضحة على نماء المجتمع المسلم اقتصادياً . ولذا فإن النتيجة المتوقعة لمنع الزكاة ، وحرمان الفقراء من حقهم في مال الله هو منع السبب الرئيسي لازدهار المجتمع الذي يقوم اقتصاده على الزراعة ، وذلك بمنع المطر وانتشار الجفاف . ولولا ما في البلاد من الدواب والأنعام التي لا ذنب لها لمنع الله المطر منعاً تاماً جزاء ما اقترفت أيدي الناس .

والمظهر الرابع من مظاهر فساد المجتمع هو نقض العهود والمواثيق التي تبرم لإيقاف الحروب أو قيام علاقات سلام وتعاون بين المجتمعات والدول . وإذا حصل نقض المواثيق ، وعدم الالتزام بالمعاهدات فالنتيجة هي تسلط العدو الخارجي ، واستباحة ممتلكات العباد ، ونهب ثروات البلاد التي لم تحترم ما أبرمته من عهود واتفاقيات .

وأما الأمر الخامس من الأمور التي حذر منها الرسول ﷺ هو غياب الحكم بما أنزل الله في كتابه المبين وسنة رسوله الكريم ﷺ . والحكم بما أنزل الله هو تطبيق شريعة الله في المجتمع المسلم ليتحقق له الأمن والرخاء وحفظ الحقوق وحقن الدماء . ومنهج الإسلام في إقامة العدل منهج ميسر وشامل وفيه حل لكل مشكلة من مشاكل الحياة التي يمكن أن يواجهها المجتمع ، كما أن الإسلام يقدم لكل معضلة أكثر من حل ولكل مرض أكثر من علاج بحيث يستطيع

المجتمع أن يختار من ذلك ما فيه صلاحه وفلاحه دون تضييق أو إعنات لأحد ، قال تعالى : "وما جعل عليكم في الدين من حرج ،" (الحج ٧٨) . وإذا أعرض الناس عن هذا المنهج الرباني بعدم تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ، وفضلوا عليه المناهج البشرية المستوردة فسوف تعم الفوضى في المجتمع وتظهر الحزازات ، وتستفحل المشاكل بين الناس، وتبدأ الحروب الأهلية، والمشاحنات الفردية والحزبية بحيث يفقد المجتمع مصدر أمانه واستقراره ، وتعم الفوضى ، ويكثر النهب والسلب وتصبح طبقات المجتمع يحارب بعضها بعضاً ، ويعتدي بعضها على بعض لغياب الوازع الديني، والرادع التنظيمي الجزائي .

ولا شك أن الناظر في أحوال المجتمعات المعاصرة سواء أكانت مسلمة أم غير مسلمة يرى فيها من المشكلات والانحرافات والصراعات ما يؤكد مدلول هذا الحديث العظيم . وبذلك تكون معظم المجتمعات المسلمة قد فشلت في الاستفادة من تحذيرات الرسول ﷺ التي أطلقها قبل أربعة عشر قرناً من الزمان . ولا شك أن العلاج هو في إزالة الأسباب التي ذكرها الحديث ، المتمثلة في تطهير المجتمعات المسلمة من كل أنواع الفاحشة والغش التجاري ، ومنع الزكاة ، ونقض المواثيق ، وذلك من خلال التطبيق الشامل لحكم الله في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية .

خامساً : الأحكام :

هذا الحديث علامة من علامات نبوة الرسول الكريم ﷺ وقد دل على الأحكام الآتية :

١) أن المجتمعات إذا انحرفت عن منهاج الله تحل بها المصائب والبلايا والأمراض الجسدية والاجتماعية المتعددة .
٢) أن ظهور فاحشة الزنا والإعلان بها طريق إلى الإصابة بالأمراض الخطيرة التي لم تكن معروفة من قبل .

٣) أن الغش المتمثل في نقص المكيال والميزان يقود إلى الفقر والفاقة وتسلط الحاكم ظلماً وجوراً .

٤) أن منع الزكاة يقود إلى منع المطر عن الناس .

٥) أن خفر العهود ونقض المواثيق يفتح الباب لتسلط الأعداء ونهب خيرات البلاد .

٦) أن عدم تطبيق شرع الله يقود إلى المشاحنات الفردية والحزبية والحروب الداخلية التي تمزق البلاد وتفقدها الأمن والاستقرار .

٧) أن ما تعانيه المجتمعات من مصائب ومشكلات هو نتيجة انحرافاتها عن المنهج القويم والسلوك السليم الذي دعى إليه الله ورسوله وحذر من مخالفته .

٨) أن السلام والأمن يحصلان بتطبيق شرع الله وتحكيمه في أحوال المسلمين الخاصة والعامة.

٩) حرص النبي ﷺ على أمته وشفقته عليها متمثلاً ذلك في إخباره بهذه الأمراض وبقوله "أعوذ بالله أن تدركوهن" .

الحديث الخامس عشر

مصادر الثواب بعد الموت

أولاً : النص :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا مات ابنُ آدمَ [1] انقطع[2] عمله إلا من ثلاثٍ: [3] صدقةٍ جاريةٍ [4]، أو علمٍ يُنتفع به [5] ، أو ولدٍ [6] صالح يدعو له . " [7] رواه مسلم .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم بن الحجاج برقم ١٦٣١ في الوصية ، باب ما يلحق بالإنسان من الثواب بعد وفاته ، ورواه أبو داوود برقم ٢٨٨٠ في الوصايا ، باب ما جاء في الصدقة عن الميت ، والترمذي برقم ١٣٧٦ في الأحكام ، باب في الوقف ، والنسائي برقم ٣٦٨١ في الوصايا ، باب فضل الصدقة عن الميت . وقد خرجه العلامة ناصر الدين الألباني في عدد من مؤلفاته منها : سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٤٠٨ .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل أبو هريرة وقد سبقت ترجمته في الحديث الثامن .

---

[1] أي الإنسان سواء كان ذكراً أو أنثى .
[2] توقف أو انتهى ثواب عمله .
[3] أي ثلاثة مصادر أو خصال .
[4] مستمرة كالوقف وغيره .
[5] يستفيد منه الناس بأن يكون نافعاً .
[6] تشمل كلمة " ولد" هنا الذكر والأنثى .
[7] يطلب له المغفرة ويدخل فيه الصدقة عنه .

رابعاً: الشرح :

يحرص الإنسان المسلم على أن يستزيد من الأعمال الصالحة التي تنفعه في حياته وبعد مماته . والأعمال الصالحة التي يمكن أن يعملها الإنسان في الحياة الدنيا وتعود عليه بالأجر والثواب كثيرة لا تكاد تقع تحت حصر . أما الأعمال التي يمكن أن يستمر نفعها ويصل أجرها إلى الإنسان بعد موته فهي محدودة جداً حصرها الرسول الكريم ﷺ في ثلاثة أمور تدخل جميعاً في نطاق الصدقة الجارية المستمرة التي قد تكون من أحد المصادر الآتية : الصدقة المستمرة ، والعلم النافع ، والذرية الصالحة التي يتصل من خلالها عمل المسلم بما بذله في حياته من تربية وتوجيه لولده قبل موته .

وأول الأعمال المذكورة : الصدقةُ الجارية ، والصدقة هي عمل صالح خيري يقدمه المسلم للنفع العام بحيث يستفيد منه فرد أو أكثر بما يسد حاجة من حاجات الإنسان أو الحيوان أو المجتمع . وحتى يتحقق الأجر من الصدقة الجارية فلابد أن تقدم خدمة مباحة ونافعة للمجتمع أو بعض أفراده . كما ينبغي أن تكون هذه الصدقة خالصة لوجه الله الكريم خالية من حب السمعة والشهرة والمدح . وهناك شرط آخر لابد منه لتصبح الصدقة جارية وهي أن يكون نفعها ومردودها مستمراً جيلاً بعد جيل أو على الأقل خلال فترة طويلة توفر فرصة الاستفادة منها لأكبر عدد ممكن من المنتفعين .

وقد وردت نصوص كثيرة في الحث على ا لصدقة عامة والصدقة الجارية بصفة خاصة . من ذلك قوله تعالى : " وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ."(سبأ ٣٩) ، وقوله : " وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ."(البقرة ٢٧٢) . وقد ورد في الحديث المتفق عليه: " أنْفِقْ يا ابنَ آدمَ يُنفَقْ عليك ." وأكد الرسول ﷺ أن الصدقة تزيد المال ولا تنقصه بل أقسم على ذلك . وقد ورد أن المسلم في ظل صدقته يوم القيامة . وبين الحديث المعروف أن أفضل العمل أدومه وإن قل ، ومن ذلك الصدقة الجارية .

وثاني الأعمال التي يبقى نفعها للمسلم بعد موته: **العلم النافع**، ويولي الإسلام العلم اهتماماً خاصاً . فقد جعله الله واجباً قبل القول والعمل حيث قال تعالى : " فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ، " (محمد ١٩) . ورفع الله درجة العلماء عالياً خاصة العاملين منهم بعلمهم . قال تعالى: " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات، "(المجادلة ١١) . كما قال مستنكراً مساواة أهل العلم بغيرهم ، " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون "(الزمر ٩) . وقد حصر الله خشيته وتقواه في الذين يعرفونه حق المعرفة من خلال العلم الشرعي ، والعلم الذي يقرب إلى الله ، ويزيد معرفة الإنسان بربه قال تعالى : " إنما يخشى الله من عباده العلماء "(طه ١١٤) .

وعلى الرغم من أن الإسلام يقدر العلم والعلماء بصفة عامة إلا أن قمة التقدير هي من نصيب العلم الشرعي وذلك لشرفه ولأنه الطريق الذي من خلاله يستطيع المسلم أن يعبد الله على بصيرة ، ويعرف الحلال والحرام . بل إن الله جعل تعلم الحد الأدنى من العلم الشرعي الذي لا يمكن أن يقيم المسلم واجباته الدينية بدونه فرض عين على كل المسلمين .

إن أحد مظاهر تقدير الإسلام للعلم النافع والحض عليه أن جعله من مصادر استمرار الأجر والثواب للمسلم بعد موته . وهذا التقدير والحض على نشر العلم وتوريثه يأتي من أن العلم هو السبيل الوحيد إلى رفع المجتمعات الإنسانية ، ورفع كفاءة أفرادها وتطوير آلياتها والنهوض بالمستوى الإنساني بصفة عامة . هذا بالإضافة إلى كون العلم هو الوسيلة الموضوعية لمعرفة الله والقرب إليه .

وقد بين الرسول ﷺ أن من علامات توفيق الله للإنسان إلى الخير أن يمنحه العلم النافع ويوفقه لفهمه والعمل بمقتضاه ، حيث قال ﷺ في الحديث المتفق عليه : " من يُرِدِ الله به خيراً يُفقِّههُ في الدين . " بل قد ورد الترغيب الشديد في العلم بتبيان أن طلبه من مصادره المتعددة طريق يؤدي إلى الجنة ، كما روى ذلك مسلم في حديث عن أبي هريرة

رضي الله عنه : " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّلَ اللهُ له به طريقاً إلى الجنة . "

ثالث ما ينفع المرء بعد موته : **الولد الصالح** ، ولا شك أن تربية الأبناء تربية سليمة هو أفضل جهد يقوم به الوالد المسلم سواء أكان ذكراً أم أنثى . بل هو أفضل استثمار يحققه الوالدان في حياتهما الدنيا . إن إعداد الأبناء الصالحين هو إعداد لمواطنين صالحين ومسلمين فاعلين يفوزون بخيري الدنيا والآخرة . وبركة حسن تربية الأولاد يتجاوز خيرها فترة الحياة الدنيا إلى الآخرة بحيث يكون ما يقوم به الولد الصالح من دعاء وصدقة عن والديه مصدراً للخير يصل أجره إليهما بعد موتهما ، ويضاف إلى حسناتهما ، ويكون سبباً في رفع درجاتهما .

والدعاء للوالدين والصدقة عنهما من مظاهر بر الوالدين التي حض عليها الإسلام وذلك لعظم حق الوالدين حيث لا يقدم عليه سوى حق الله سبحانه وتعالى ، حيث قال تعالى : " أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير ، " (لقمان ١٤) وقال تعالى : " ووصينا الإنسان بوالديه حسناً ، " (العنكبوت ٨) . وقد حض الإسلام على بر الوالدين بعد موتهما من خلال الإحسان إلى أصدقائهما وأقاربهما والصدقة عنهما والدعاء لهما ، كما ورد ذلك كله في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داوود وابن ماجة وابن حبان عن مالك بن ربيعه الساعدي الذي سأل الرسول ﷺ : " هل بقى من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ فقال : " نعم الصلاةُ عليهما ، والاستغفارُ لهما ، وإنفاذُ عهدهما من بعدهما ، وصلةُ الرَّحِمِ التي لا تُوصَلُ إلا بهما ، وإكرامُ صديقهِما . "

لقد بين الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث أربعة أمور يمكن أن يقوم بها الولد الصالح للبر بوالديه وكلها في الجملة يصل أجرها للوالدين الميتين ، إما بطريق مباشر مثل الدعاء والاستغفار والصدقة عنهما أو بطريق غير مباشر مثل تسديد ديونهما وإنفاذ وصيتهما وإكرام أصدقائهما الذين قد يدعون بدورهم للأب أو الأم

اللذين أنجبا هذا الابن الصالح أو البنت الصالحة اللذين واصلا خير والديهما الذي شمل الأقارب والأصدقاء وغيرهم .

وهكذا تظهر أهمية هذا الحديث الذي يصل حياة المسلم الجاد بآخرته ويُبقي له مصدر الثواب بعد انتهاء حياته التي فيها عادة يكسب الثواب ويحصل الأجر .

خامساً : الأحكام :

يشتمل هذا الحديث العظيم على عدد من الأحكام المهمة ، أبرزها ما يلي :

١) انقطاع عمل المسلم الصالح بموته إلا ما ورد مستثنى في هذا الحديث .
٢) تبيان فضل العلم وطلبه وتعليمه والحث على ذلك .
٣) فضل الصدقات الجارية من أوقاف وغيرها والحث عليها .
٤) الحث على تربية الأولاد تربية صالحة وأن ثمرة ذلك تستمر بعد موت الإنسان .
٥) عظم حق الوالدين وأن برهما يستمر حتى بعد موتهما .
٦) حث المسلم على الخير بأن يربط دنياه بآخرته عن طريق استمرار مصادر الأجر والثواب حتى بعد موته .

الحديث السادس عشر

سباق مع السبع

أولاً : النص :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "بادروا (١) بالأعمال سبعاً : هل تنتظرون إلا فقراً مُنْسِياً (٢) ، أو غِنًى مُطْغياً (٣) ، أو مَرَضاً مُفْسِداً (٤) ، أو هَرَماً (٥) مُفْنِداً (٦) ، أو موتاً مُجْهِزاً (٧) ، أو الدجالَ (٨) فشَرٌّ غائبٍ يُنْتَظَرُ ، أو الساعة (٩) فالساعةُ أدهَى (١٠) وأمرُّ ." وزاد رزينٌ " ثم قال : وأكثِروا من ذكر هاذم اللَّذَّات (١١) ." رواه الترمذي .

ثانياً : التخريج :

الحديث رواه الإمام الترمذي رحمه الله برقم ٢٣٠٧ في كتاب الزهد ، باب ما جاء في المبادرة بالعمل . وفي سنده محرز بن هارون وهو متروك ومع ذلك وصفه الترمذي بأنه حديث حسن غريب ، وقال لا نعرفه عن الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث محرز بن هارون . وزيادة رزين رواه الترمذي برقم ٢٣٠٨ في كتاب الزهد ، باب ذكر الموت ،

---

(١) سارعوا واسبقوا .
(٢) مذهلاً .
(٣) مجاوزاً للحد .
(٤) مدمراً للصحة وبرامج الحياة .
(٥) كبر سن يقود إلى العجز .
(٦) مضعفاً للعقل والجسم .
(٧) سريعاً يقضي على الشخص .
(٨) المسيح الدجال ، الأعور الدجال .
(٩) قيام الساعة ، البعث .
(١٠) أشد وأصعب .
(١١) الموت لأنه ينهي كل لذة .

ورواه النسائي في كتاب الجنائز ، باب كثرة ذكر الموت . والحديث صحيح لكثرة شواهده كما يقول عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على حديث رقم ٨٤٧٦ في **جامع الأصول من أحاديث الرسول** ﷺ . ومن الجدير بالذكر أن الألباني ضعف هذا الحديث في تعليقه على رياض الصالحين ، باب ذكر الموت وقصر الأجل ، ص ٢٨٥ .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل أبو هريرة ، وقد سبق التعريف به في الحديث الثامن.

رابعاً : الشرح :

يوجه الرسول الكريم ﷺ أفراد أمته إلى المسارعة إلى الأعمال الصالحة واغتنام الفرص المتيسرة قبل فوات الأوان . وذلك أن الإنسان معرض لكثير من الأحداث التي قد تحول بينه وبين القيام بالأعمال الصالحة والاستعداد ليوم النشور . وقد بين الرسول الكريم ﷺ أهم العوائق السبعة التي قد تعرض للإنسان في حياته فتمنعه من التزود للآخرة ما لم يكن قد سارع وسابق تلك الأحداث .

أول تلك العوائق المحتملة أن يفتقر الإنسان بعد غنى ، وينشغل بأمور السعي وراء رزقه بدرجة تجعله يذهل عن الآخرة ، والاستعداد لها ، وتنسيه العمل الصالح الذي يمكن أن يؤمن مستقبله الحقيقي في الدار الآخرة . وإذا لم يحصل الفقر فقد يحصل الغنى وهو أمر يظن معظم الناس أنه أمر طيب ودليل على حسن الحظ والتوفيق . ولكن الحقيقة هي أن الغنى قد يطغي بعض الناس ويجعلهم يتجاوزون الحدود التي ينبغي أن يعمل المؤمن في نطاقها . والإنسان بطبيعته عندما يكون في بحبوحة من العيش لا يكاد يذكر الله ويغلب عليه الظن أن ما يتمتع به من غنى ورفاهية لن يزول . وهذا قد يقوده إلى مجاوزة الحدود الشرعية والعقلية بنسيان الآخرة والاستعداد لها .

وقد يتعرض الإنسان إلى حالة ثالثة تتمثل في وقوعه فريسة لمرض عضال يفسد عليه صحته ويقلب برنامج حياته رأساً على عقب وينشغل بنفسه عن الاستعداد للآخرة ، بل قد يقوده المرض إلى التذمر وعدم الصبر على أقدار الله فيصدر منه ما يحبط عمله ، ويفسد عليه دنياه وآخرته ، بدلاً من أن يكون في المرض فرصة لتخفيف الذنوب ، ومحو السيئات ، ورفع الدرجات إذا صبر الإنسان واحتسب .

وإذا سلم الشخص من كل ما سبق وطال به العمر فلابد أن يصل إلى مرحلة الهرم الذي يحدث عجزاً جسمياً لا دواء له وينتج عنه ضعف في القوى العقلية قد يقود إلى التخريف والتخبط في الكلام. وبالجملة يصبح الإنسان عاجزاً عن التفكير السليم والسلوك القويم ويكون معتمداً على الآخرين الذين يتذمرون منه ويتمنون موته والخلاص منه .

ومن الأمور المحتملة الأخرى التي قد يواجهها الشخص المسلم خروج المسيح الدجال الذي يعتبر من أكبر الفتن التي حذر منها الرسول الكريم ﷺ أمته في كثير من الأحاديث ، وذلك أن فتنة الأعور الدجال من الأمور التي حذر منها كل الرسل . وهي حدث إذا لم يعصم الله الإنسان من شره قد يقود إلى فقدان الإيمان . وأما إذا سلم المسلم من فتنة المسيح الدجال ومات قبل خروجه فلن يسلم من الساعة التي هي أشد وأعظم في هولها من كل ما سبق . وقيام الساعة يحدث للشخص على مرحلتين: الساعة الصغرى المتمثلة في موت الشخص وإيداعه القبر الذي يكون إما روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران . والقيامة الكبرى هي قيام الساعة ونهاية الدنيا وفيها من الأهوال والمصائب ما يشيب منه الولدان . وحتى لو لم تقم الساعة على الشخص في حياته الدنيا فسوف تقوم في أثناء موته وسيبعث من جملة الناس ويحشر إلى الجنة أو النار . ولا شك أن قيام الساعة حدث مرعب حيث يجتمع الناس في مكان واحد حفاة عراة غرْلاً ، وتدنو منهم الشمس قدر رمح ، ويلجمهم العرق ، ويطول عليهم الموقف الذي مقداره خمسون ألف سنة . ولذا فالجميع في فزع شديد

وهلع فظيع حيث يُرى الناس كأنهم سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . في ذلك اليوم العصيب يجثو الأنبياء والرسول على الركب ويتضرعون إلى الله قائلين : اللهم سلم ، سلم . ولذا فقيام الساعة هو أشدُّ ما ينتظر المسلم من مخاطر ومن نجا منه فقد نجا مما بعده من أهوال .

والنصيحة الأخيرة التي قدمها الرسول الكريم ﷺ لأصحابه هي أن يكثروا من ذكر الموت . وقد عبر عنه بهادم اللذات لأنه يقوض الملذات ومتع الحياة ، كما ورد بلفظ هاذم وتعني قطع ملذات الحياة بشكل مفاجئ . ولا شك أن ذكر الموت وتوقعه في أي لحظة يقود إلى الاستعداد له بالطاعة والعمل الصالح . وقد ورد عن الرسول ﷺ أكثر من حديث يحض على ذكر الموت ، واعتبار ذكر الموت دلالة على الصلاح والاستعداد لما بعده بالعمل الصالح والاستقامة على منهج الله القويم .

خامساً : الأحكام :

اشتمل هذا الحديث على عدد من الأحكام منها ما يلي :

١) ضرورة المسارعة إلى الأعمال الصالحة قبل فوات الأوان .
٢) أن شدة الفقر قد تنسي الشخص الاستعداد للآخرة بحيث يذهل عن الاهتمام بمستقبله الحقيقي.
٣) أن الغنى وبحبوحة العيش سبب للطغيان وتجاوز الحد مما يقود إلى إهمال أمر الآخرة والزهد في الأعمال الصالحة .
٤) أن المرض قد يكون أحد أسباب فساد الصحة والدنيا والدين حيث ينشغل الإنسان بنفسه ويهمل الاستعداد ليوم المعاد .
٥) أن كبر السن يصاحبه الضعف الجسمي والعقلي الذي يفوت على الإنسان التفكير السليم والسلوك القويم الذي ينجيه من عذاب الآخرة .
٦) أن الموت مصير الجميع وقد يأتي على حين غفلة فيقضي على الشخص قبل الاستعداد المناسب بالعمل الصالح والتزود للآخرة .

٧) ثبوت خروج المسيح الدجال وأنه شر منتظر ، وفتنة عظيمة قد تفسد الإيمان وتحبط العمل ، وتكون سبب الخسران الأخروي .

٨) أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور . وهي أسوأ حدث وأشد من كل ما ذكر وأن العاقل هو من استعد لها لينجو من العذاب الأليم ، ويدخل جنات النعيم .

٩) استحباب ذكر الموت وتوقع مجيئه في أي لحظة فإن ذلك يقود إلى الاستعداد للآخرة بالأعمال الصالحة واجتناب المعاصي .

الحديث السابع عشر

المؤمن القوي

أولاً : النص :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: " المؤمنَ [1] القويُّ [2] خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ [3] ، وفي كلٍّ خيرٌ [4] . احرصْ [5] على ما ينفعَكَ [6] ، واستعنْ باللهِ [7] ولا تَعْجَزْ [8] ، وإن أصابك شيءٌ فلا تَقُلْ : لو أني فعلتُ كذا وكذا ، ولكنْ قُلْ : قدرَ اللهُ [9] ، وما شاء فعل ، فإن (لو) تَفتحُ عَمَلَ الشيطانِ[10] ." رواه مسلم .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث رواه الإمام مسلم رحمه الله برقم ٢٦٦٤ في كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير إليه . وقد ذكر الألباني في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية رقم ٣٥٤ أنه خرَّج هذا الحديث في ظلال الجنة في شرح السنة برقم ٣٥٦ .

---

[1] المسلم الذي استكمل أركان الإيمان .
[2] القوي في بدنه ونفسه وعزيمته ليتمكن من أداء الواجبات .
[3] الضعيف في بدنه ونفسه وعزيمته .
[4] لاشتراكهما في أصل الإيمان .
[5] ابحث بعناية ودقة .
[6] يفيدك في دينك ودنياك .
[7] اطلب العون والتوفيق من الله .
[8] لا تفرط في طلب ما ينفعك .
[9] قضى الله وحكم .
[10] تجلب وساوس الشيطان المؤدية إلى الخسران .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل أبو هريرة ، وقد تقدمت ترجمته رضي الله عنه في الحديث الثامن .

رابعاً : الشرح :

يخبر الرسول الكريم ﷺ أن المسلم القوي الذي استكمل متطلبات الإيمان أفضل وأحب إلى الله من المسلم الضعيف . والقوة التي يشير إليها النبي الكريم ﷺ في هذا الحديث تشتمل على قوة الجسد والنفس والعزيمة التي تدفع إلى أداء الواجبات ، والاستزادة من الأعمال الصالحات سواء أكان ذلك صلاة أم صياماً أم حجاً أم أمراً بمعروف أم نهياً عن منكر أم جهاداً في سبيل الله لإعلاء كلمة الله . وهذا المؤمن القوي العامل هو خير وأحب إلى الله ممن اتصف بالإيمان، ولكنه ضعيف في أموره كلها على عكس المؤمن القوي ، ومن هنا فليس بمستغرب أن يكون خيراً ، وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وإن كان في الاثنين خير كبير لاشتراكهما في أصل الإيمان الذي يفرق بين المسلم وغيره ، وهو المؤهل إلى دخول جنات النعيم . والفرق بين الاثنين أن الأول تم إيمانه بالعمل الصالح ، والسعي لما فيه الخير له ولمجتمعه وأمته . والثاني اقتصر على مجرد الإيمان مع العمل الضعيف الذي قصَّر به عن مرتبة المؤمن القوي .

ولما بيَّن الرسول الكريم ﷺ صنفي المؤمنين وجه أفراد أمته أن يحرصوا على النافع المفيد في الدنيا والآخرة بحيث لا يترك المؤمن فرصة يمكن أن يستفيد منها مالاً حلالاً أو علماً نافعاً إلا سارع إليها وحرص على اغتنامها مستعيناً بالله وطالباً منه التوفيق لأنه سبحانه هو مصدر النجاح أخذاً بقوله تعالى : " إياك نعبد وإياك نستعين ، " واعتقاداً أنه إذا لم يوفقه الله فلن يتيسر له النجاح حيث إنه يعلم يقيناً ما أشار إليه الشاعر بقوله :

وإن لم يكنْ عونٌ من الله للفتى   فأولُ ما يَجنِي عليه اجتهادُهُ

وقد حذر الرسول الكريم ﷺ من العجز والكسل عن طلب معالي الأمور ، وحث على السعي إلى المفيد النافع ، وذلك لأن العجز يقود إلى اليأس والخمول وعدم تحقيق الأهداف . ومن أجل ذلك كان الرسول الكريم ﷺ يتعوذ في الحديث الذي رواه أبو داود من العجز والكسل ضمن الأربع المشهورة التي كان يتعوذ منها بقوله :"اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزَنَ ، وأعوذ بك من العَجْزِ والكسَلِ ، وأعوذ بك من الجُبْنِ والبُخْلِ ، وأعوذ بك من غَلَبةِ الدَّيْنِ وقَهْرِ الرجال ."

وقد وجه الرسول ﷺ أفراد أمته الذين قد يتعرضون لشيء من الفشل أو نوائب الدهر أن لا تذهب أنفسهم حسرات ، وألا يأخذوا بأسباب الندم واللوم والتمني التي لا فائدة منها بأنه لو فعل غير ما فعل لكان الأمر على ما يحب كما يظن . ولا شك أن مثل هذا الصنيع فيه اعتراض على قضاء الله كما أن فيه تحسراً على أمر مضى ولا سبيل إلى تغيير مساره ، وهو يفتح أبواب وسوسة الشيطان التي قد تقود إلى خسران الدنيا والآخرة . وتوجيه الرسول الكريم ﷺ هو التوجيه العملي الذي يجنب الإنسان كل المحاذير التي قد يتعرض لها من فشل لسبب أو لآخر ، وذلك بتأكيد أن ما حصل هو قضاء الله وقدره ولا مرد لذلك . وإذا سلَّم الإنسان أمره لله فسوف يثاب ، ويوفق للسعي من جديد إلى عمل يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة .

وليس في هذا الحديث ما يتعارض مع قول الرسول ﷺ في حجة الوداع :" لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديتُ ، ولولا أن معي الهديَ لأحللتُ ،" كما روى ذلك الإمامان البخاري ومسلم . وذلك أن المنهي عنه هو استعمال(لو) من باب التلهف والتحسر على أمور الدنيا لما في ذلك من عدم التوكل ، وأما استعمالها في تمني القربات وإيضاح أن أمر الغيب محجوب عن الإنسان كما في قوله تعالى :" ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء "(الأعراف ١٨٨) . فلا كراهة فيه ولا يدخل ذلك ضمن النهي الوارد في حديث الباب .

وخلاصة الأمر أن الرسول الكريم ﷺ حث أمته على الإيمان وما يقويه والحرص على النافع المفيد والاستعانة بالله في السعي لذلك، وحذرها من العجز والتحسر على ما فات ، بل تفويض الأمر بعد الاجتهاد وبذل الوسع إلى الله سبحانه وتعالى .

خامساً : الأحكام :

أفاد الحديث أمورا منها :

١) أهمية الإيمان وقيمته وأن به التفاوت والتفاضل بين المؤمنين .
٢) أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله ممن يشركه في هذا الإيمان مع عدم وجود عناصر القوة.
٣) ضرورة الحرص على ما ينفع الإنسان في دينه ودنياه .
٤) طلب العون من الله في الأمور التي يباشرها المؤمن لأن الله هو ولي التوفيق .
٥) ضرورة الرضا بما يقدره الله بعد بذل الجهد واستنفاد الوسع واعتقاد أن ما قدره الله هو الخير وضرورة البعد عن الندم والتحسر .
٦) التحذير من قول (لو فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا) فإن ذلك مدخل لوسوسة الشيطان مما يقود إلى الخسران في الدنيا والآخرة لما يترتب على ذلك من عدم الرضا والاعتراض على قدر الله .
٧) أن على المسلم الابتعاد عن العجز والخمول .

الحديث الثامن عشر

مقومات السعادة

أولاً : النص :

عن عبد الله بن محصن الأنصاري الخطمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " من أصبح منكم آمنًا (١) في سِربْه (٢)، معافىً (٣) في جسده ، عنده قوتُ (٤) يومـهِ ، فكأنما حِيزتْ (٥) له الدنيا بحذافيرها (٦) ." رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث رواه الترمذي برقم ٢٣٤٧ في كتاب الزهد ، باب من بات آمناً في سربه ، ورواه أيضاً البخاري في الأدب المفرد ، باب من أصبح آمناً في سربه ، ورواه ابن ماجة برقم ٤١٤١ في الزهد ، باب القناعة من حديث مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الرحمن بن أبي شميلة الأنصاري عن سلمة بن عبيد الله بإسناد ضعيف. وروي الحديث أيضاً ابن حبان في صحيحه في كتاب الزهد ، باب فيمن أصبح آمناً معافى من حديث عبد الله بن هانئ بن أبى عبلة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء بإسناد فيه ضعف ، وقد قال الترمذي عن هذا الحديث بأنه حسن غريب لا نعرفه إلا من طريق مروان بن معاوية . وقد خرَّج هذا الحديث الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٨٢٦ والحديث بطرقه المختلفة يعتبر حسنًا كما قال الألباني .

---

(١) غير خائف متمتعاً بالأمن والسلامة .

(٢) روي أيضاً بفتح السين ومعناه نفسه أو قومه أو طريقه .

(٣) صحيحاً في جسمه ، غير مريض .

(٤) طعام يومه أي ما يقتات به من طعام أو شراب .

(٥) جمعت .

(٦) بجميع جوانبها .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو عبد الله ـ وقيل عبيد الله ـ بن محصن الأنصاري الخطمي الخثعمي لم يرو إلا هذا الحديث الذي رواه عنه أيضاً ابنه سلمة . ولا تكاد تتوافر عنه أي معلومات إضافية في المراجع المتيسرة . وقد ذكر صاحب تهذيب التهذيب أنه مختلف في صحبة هذا الأنصاري .

رابعاً : الشرح :

يلفت الرسول الكريم ﷺ نظر الناس إلى بعض الحقائق التي قد تفوتهم في زخم سعيهم وراء المال والثروة والجاه . وهذه الحقائق تمثل الأساسيات المهمة في الحياة التي يعني توافرها للفرد توافر عناصر السعادة والاكتفاء الذاتي .

أول هذه الأمور المهمة التي لا يعرف قيمتها إلا من فقدها هو الأمن في الحياة على مستوى الفرد أو المجتمع . والأمن الخارجي على المال والنفس طريق إلى الأمن الداخلي والطمأنينة النفسية التي تحرر الإنسان من الخوف وترقب الخطر من أعداء حقيقيين أو وهميين.

الأمر الثاني هو الصحة في البدن حيث إن الإنسان الصحيح المعافى يتمتع بمباهج الحياة من طعام وشراب ولباس وسرور بالحياة في مناظرها الطبيعية وملذاتها الحسية والمعنوية المتعددة .

وإذا تمتع الإنسان بالأمن في الأوطان والصحة في الأبدان فلم يبق له من الضروريات إلا الأمر الثالث وهو توفر القوت الضروري الذي يقيم أوده ويبعد عنه شبح المجاعة التي قد تهدد حياته وتعرضه للخطر.

ولا شك أن عدم توافر القوت يتعارض مع الأمن الكامل كما أنه قد يكون طريقاً إلى المرض واعتلال البدن . أما إذا توافرت هذه الأمور الثلاثة : الأمن والصحة والشبع من الجوع فقد اكتملت سعادة الإنسان وأصبح كأنه يملك الدنيا من أطرافها بجميع ما فيها من

كنوز وثروات لأن من يملكون الثروة الطائلة لا يحتاجون أكثر من المقومات الثلاثة المتمثلة في توافر أساسيات السعادة من أمن وصحة وقوت يومي .

وتظهر صحة هذا الحديث من خلال التجارب الواقعية في ميدان الحياة التي يشاهدها الإنسان في حياته اليومية ، فكم من غني يملك الثروات الطائلة مهددة حياته بالمخاطر من حروبٍ أو عداوات شخصية أو خوف من مصادر غير معروفة أو مجرد القلق النفسي المزعج . وكم من ثري يملك أسباب السعادة والرفاهية ولكنه مريض لا يستطيع أن يتمتع من كل ذلك بشيء بسبب اعتلال صحته ومرض مزاجه . وهذا الحديث يدعو المؤمن إلى القناعة وشكر نعم الله التي لا تقدر بثمن وعدم التكالب على الدنيا والركض وراء الثروة والمال الذي لا يضيف إلى الحياة الهانئة شيئاً ، ولا يفيد إذا عدمت مقومات الحياة السعيدة الأساسية .

خامساً : الأحكام :

أفاد الحديث جملة من الأحكام منها :

١) أهمية الأمن في الأوطان وأنه أحد أهم أسباب السعادة والطمأنينة.
٢) أهمية الصحة البدنية وأنها نعمة كبرى يجب أن يشكر الإنسان ربه عليها حيث إن الصحة تاج على رؤس الأصحاء لا يراه إلا المرضى كما ورد في المثل المشهور .
٣) أهمية توافر القوت الضروري لينجو الإنسان من بطش الجوع المفضي إلى المرض الشاغل عن طاعة الله .
٤) أن هذه الأساسيات الثلاثة هي مقومات الحياة الكريمة وأن من توافرت له فكأنما ملك الدنيا بأكملها لأنه لن يستفيد منها أكثر من هذه الأمور الضرورية .
٥) الدعوة إلى القناعة بالقليل وعدم السعي وراء الثروة فإنها حتى ولو حصلت لن يستفيد منها الإنسان أكثر من الأمور الضرورية التي يشترك في الحاجة إليها الغني والفقير .

٦) عظم فضل الله على الإنسان من خلال نعمه الكثيرة التي قد لا يلقي الإنسان لها بالاً ويعتبرها من الأمور المتوفرة للجميع مثل الصحة والأمن . ولكن الأمر غير ذلك فكثير من الناس أغنياء وفقراء يفتقدون هذه الأمور الأساسية المهمة .

الحديث التاسع عشر

سبيل النجاة

أولاً : النص :

قال عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر : أتينا العِرْباض بن سارية وهو ممن نزل فيه : " ولا على الذين (١) إذا ما أتوك لتحملهم (٢) قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض (٣) من الدمع.(٤) " فسلمنا وقلنا: أتيناك زائرين وعائدين (٥) ومقتبسين (٦) ، فقال العرباض : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ، ثم أقبل علينا فوعظنا (٧) موعظة بليغة (٨) ذرفت (٩) منها العيون ووجلت (١٠) منها القلوب، فقال قائل : يا رسول الله هذه موعظة مودِّع (١١) فماذا تعهد (١٢) إلينا ؟ فقال :" أوصيكم بتقوى اللهِ (١٣) والسمع والطاعةِ وإن عبداً حبشياً (١٤) ، فإنه من يعشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً (١٥) كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ

---

[١] مجموعة من فقراء الصحابة أتوا الرسول ﷺ ليوفر لهم ركوبة ليخرجوا إلى الجهاد .
[٢] تركبهم على جمال أو خيول .
[٣] تسيل منها الدموع من شدة بكائهم .
[٤] سورة التوبة ، الآية ٩٢ .
[٥] ربما كان مريضاً فكان أحد أسباب الزيارة عيادة المريض.
[٦] طالبين الأخذ من العلم .
[٧] ذكرنا بالله ونصحنا .
[٨] مؤثرة تبلغ القلب .
[٩] سالت دموعها .
[١٠] خافت وخشعت.
[١١] مفارق إما بالموت أو غيره ، وقد فهموا ذلك لمبالغته في تخويفهم .
[١٢] توصينا .
[١٣] الخوف من الله واستحضار مراقبته .
[١٤] وإن ولي عليكم مملوك أسود .
[١٥] خروجاً عما عهدوا في زمن رسول الله ﷺ .

الراشـــدين [1] المهديـيـــن [2] تمســـكوا بهـــا ، وعَضُّـــوا عـــليها بالنواجذ [3]، وإياكم ومحدثاتِ [4] الأمور، فإن كلَّ مُحدثةٍ بدعةٌ [5] ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ [6] ." رواه أبو داود بهذا النص ورواه الترمذي.

ثانياً : التخريج :

هـذا الحديـث رواه أبـو داود برقم ٤٦٠٧ في كتاب السنة ، باب في لـزوم السـنة ، والترمـذي بـرقم ٢٦٧٦ في كـتاب العـلم ، بـاب الأخـذ بالسـنة واجتنـاب البـدعة ، ورواه كـذلك الإمـام أحمـد في مسنده ١٢٦/٤ ، ١٢٧ ، وابـن ماجـة بـرقم ٤٢ في المقدمـة ، بـاب اتـباع سـنة الخـلفاء الراشـدين. ورواه أيضـاً الحـافظ ابـن رجـب الحنبـلي في جـامع العـلوم والحكـم وذكـر أن الحـاكم قـد خـرَّجه . وهـذا الحديـث صـحيح الإسـناد . وقد خرّجه الألباني وصححه في عدد من كتبه منها مشكاة المصـابيح بـرقم ١٦٥ ، وشـرح العقيـدة الطحاويـة بـرقم ٥٠١ وصـحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٤ .

ثالثاً : الراوي :

راوي هـذا الحديـث هـو أبـو نَجيـح العِـرْباض بـن سـاريةَ السـلمي صـحابي جـليل مـن أهـل الصُّـفّة ، وممـن نـزل فيهم قوله تعالى " ولا على الذيـن إذا مـا أتـوك لتحمـلهم .."(التـوبة ٩٢) . أسـلم مبـكراً ، وقـد ورد عنه قولـه " أنـا رابع الإسـلام ." نـزل حمـص عندمـا سـكن الشـام ، وكـان شـيخاً كـبيراً . مـات في زمـن عبـد اللّه بـن الـزبير عـام ٧٥هـ . روى عـن الـنبي ﷺ وعـدد مـن الصـحابة الكـرام ، كمـا روى عـنه عـدد مـن التابعين، وحديثه في السنن الأربعة .

---

[1] المهديين والسالكين الطريق السليم .
[2] هداهم الله إلى الحق .
[3] الأنياب وقد تعني الأضراس .
[4] ما جد من الأمور على خلاف أمر الشرع .
[5] ما أحدث على خلاف الشرع .
[6] انحراف أو بعد عن الحق .

رابعاً : الشرح :

يروي التابعيان الجليلان عبد الرحمن السلمي وحجر بن حجر أنهما عادا الصحابي الجليل العرباض بن سارية السلمي حيث كان مريضاً للاستفادة من علمه وما يرويه عن النبي الكريم ﷺ . وقد أخبرهما العرباض رضي الله عنه أن الرسول ﷺ وعظ أصحابه ذات مرة جرياً على عادته في اختيار بعض الأوقات للموعظة ، بالإضافة إلى خطبة الجمعة المعتادة ، وذلك بعد صلاة الفجر أو غيرها من الصلوات . وقد كانت تلك الموعظة قمة في البلاغة والتأثير حيث استجاب لها الصحابة بالخشية والخوف من الله والدموع الغزيرة . وبلغ من قوة هذه الخطبة وما لابسها من أحوال أن فهم الصحابة أنها وصية مودع سوف يفارقهم قريباً . ولذا طلبوا من الرسول الكريم ﷺ توصية يستنيرون فيها فيما يستقبلون من أيام حياتهم التي لا يعلمون ما سوف يواجهون فيها . واستجاب لهم الرسول الكريم ﷺ كعادته انطلاقاً من حرصه ﷺ على توجيه أصحابه خاصة والأمة عامة ودلالتهم على كل خير وتحذيرهم من كل شر . وقد اشتملت نصيحة الرسول الكريم ﷺ وتوجيهه على جملة من الأمور المهمة أوجز الحديث عنها في الأمور التالية :

١- تقوى الله : والوصية بالتقوى والخوف من الله هي وصية الله لعباده من الأولين والآخرين حيث قال تعالى : " ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله . " (النساء ١٣١) . وهذه الوصية الخالدة عبر العصور تدل على أهمية التقوى وشمولها لكثير من المعاني والمفاهيم الإيمانية . وقد تنوعت – تبعاً لهذه الأهمية – تعاريف التقوى . ومع أنه ورد في القرآن الكريم كثير من صفات المتقين ونماذج من سلوكياتهم فلم يرد تعريف جامع مانع للتقوى في آيات الذكر الحكيم وأقوال الرسول الكريم ﷺ . وعلى الرغم من ذلك فقد وردت في أقوال السلف كثير من تعاريف التقوى لعل من أشهرها ما روي عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما عرَّف التقوى

بأنها : " الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والقناعة بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل ." ويتضح من هذا التعريف شمولية مفهوم التقوى لكل مجالات حياة المسلم وضرورة تعامله مع الكتاب والسنة وانعكاس كل ذلك على أعماله الدنيوية والاستعداد لما بعد الموت . واستصحاباً لهذا المعنى الشمولي ورد تعريف آخر بأن التقوى هي كلمة جامعة تشمل كل تعاليم الإسلام من عقيدة وعبادة ومعاملة وخلق . ولا أدل على ذلك من أن آية البر الطويلة التي اشتملت على عشرة من مكونات الإيمان والعمل الصالح انتهت بأن من عمل تلك الأعمال هم المتقون ، قال تعالى :" ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ." (البقرة ١٧٧) ، وهذا كله يظهر بعض صفات المتقين التي وردت في كثير من آيات الذكر الحكيم واستحقوا بها أن يكونوا " في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ،" القمر ، الآيتان ٥٤ ، ٥٥ . كما استحقوا معية الله سبحانه :" إن الله مع الذين اتقوا والذي هم محسنون ، " النمل ، آية ١٢٨. ومن كمال التقوى البعد عن الأمور المشتبهات بل وترك بعض المباحات خوفاً من الحرام . يقول الحسن البصري رحمه الله :" ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام ."

٢- طاعة ولي الأمر : الوصية الثانية هي الحض على طاعة ولي الأمر . وعلى رغم أن هذا داخل ضمن الوصية بالتقوى ولكن لعل الرسول الكريم ﷺ أفرده من باب التأكيد لأن طاعة ولي الأمر فيها صلاح البلاد والعباد . ولذا أوجبها الله سبحانه وتعالى بقوله:" أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، " (النساء ٥٩) . وزيادة في تأكيد وجوب طاعة ولي الأمر شدد

الرسول الكريم ﷺ على ضرورة هذه الطاعة حتى لو كان ولي الأمر عبداً حبشياً . ولا شك أن أحد أسباب ضعف الأمة في هذا الزمن تفلت بعض أفرادها من السمع والطاعة وميلهم إلى الفوضى والفتن . وقد قال الإمام علي بن ابي طالب: " إن الناس لا يُصلحهم إلا إمام بار أو فاجر ." وبين الرسول الكريم أن وصيته بالتقوى وطاعة ولي الأمر مهما كان ناتجة عن توقعه أن تحدث أمور كثيرة لم تكن معهودةً في عهد النبي وخلفائه الراشدين ، بل ستكون مختلفة جداً عما ألفوه من الأحوال والأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها . وقد وضح الرسول الكريم ﷺ أن المخرج من تلك الأوضاع المتعددة التي سوف تجد في الوصية التالية.

٣- التمسك بالسنة : الالتزام بالسنة والتمسك بنصوصها يتضمن العمل بما في القرآن الكريم من أحكام وتشريعات وذلك لأن القرآن هو الأساس الذي بني عليه سنة الرسول الكريم ﷺ وسنة خلفائه الراشدين المهديين من بعده . والسنة في هذا الحديث تعني المنهج الذي سار عليه الرسول الكريم ﷺ وخلفاؤه الأربعة الراشدون رضي الله عنهم كما فهموه وأخذوه من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ القولية والعملية والسكوتية . وقد حث الله والرسول الكريم ﷺ في أكثر من آية وحديث على ضرورة التمسك بالكتاب والسنة لأنهما هما مصدر الهداية والتوجيه والتشريع في كافة مجالات النشاط الإنساني . ومن ذلك قوله تعالى :" فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ،"(النساء ٥٩) . بل لقد أكد الله ضرورة طاعة الرسول لأنها طاعة لله سبحانه وتعالى: " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ،"(آل عمران ٣١) . وزيادة في تأكيد ضرورة التمسك بالسنة عبر الرسول الكريم ﷺ بأن يعض المسلمون عليها بالأسنان وهو كناية عن التشبث الشديد والإصرار على عدم التخلي عن المنهج الذي جاء به الرسول الكريم ﷺ والسبيل القويم والسنة الواضحة التي حض أمته على

الالتزام بها والاستماتة في سبيل تطبيقها في مجالات الحياة كلها . وقرن الرسول الكريم ﷺ بين سنته وسنة الخلفاء الراشدين وذلك لأنهم ساروا على نفس المنهج الذي وضعه الرسول الكريم ﷺ في التطبيق العملي المبني على التوجيه الرباني ، كما ورد في كتاب الله . والسبب الآخر في ضم سنة الخلفاء الراشدين مع سنة الرسول الكريم ﷺ هو كونهم قد ربوا في مدرسة الرسول الكريم ﷺ واهتدوا بهديه وتمرسوا على تطبيقه في واقع الحياة التي واجهتهم أثناء حياة الرسول ﷺوسوف تواجههم فيما يستجد من أحداث بعد أن يلحق الرسول الكريم ﷺ بالرفيق الأعلى .

٤- الحذر من البدع : بعد أن أوضح الرسول الكريم ﷺ أن المخرج من الفتن والاختلافات التي سوف تطرأ على الحياة الإسلامية وما سوف يستجد من تغييرات سياسية واجتماعية هو التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين أردف بذكر سبب آخر مرتبط بالتمسك بالسنة وهو الحذر من البدع واقتراف ما يخالف الكتاب والسنة . وقد عبر الرسول الكريم ﷺ عن البدع بمحدثات الأمور . ومحدثات الأمور المنهي عنها بهذا التحذير النبوي الكريم ﷺ هي المحدثات في مجال الدين عامة والعقيدة بشكل خاص وذلك لأن الدين قد اكتمل والوحي قد بين كل جوانب الدين ولم يترك مجالاً لأي إضافة ضرورية . ولهذا كان التوكيد النبوي بأن كل الأمور التي سوف تستحدث في مجال الدين ستكون أموراً مبتدعة وخارجة عن المنهج السليم المبني على الوحي . ولهذا فلابد أن تكون تلك المستحدثات المبتدعة نوعاً من الضلالة والانحراف عن المنهج السليم . ومن المؤكد أن ضلالة واحدة في مجال الدين قد تضر بالأمة ضرراً كبيراً فما بالك إذا انتشرت البدع والخرافات المدمرة ، كما هو الحال في العالم الإسلامي اليوم حيث تنتشر تلك الضلالات بين كثير من المنتسبين إلى الإسلام على الرغم من تحذير الرسول ﷺ الشديد من البدع والضلالات الذي احتواه هذا الحديث . ومن المؤسف أن كثيراً من المسلمين لم يستفيدوا من التوجيهات النبوية وإشراقات الوحي التي ظهرت

في أقواله المتعددة التي حفلت بإضاءات علامات النبوة التي تنير السبيل لمن اقتدى بهديه وسار على نهجه وتمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين المهديين .

خامساً : الأحكام :

دل هذا الحديث العظيم على جملة من الأحكام أهمها ما يلي:

١) حرص الرسول الكريم ﷺ على وعظ أصحابه في الأوقات المناسبة .
٢) رقة قلوب الصحابة وتأثرهم بمواعظ الرسول الكريم ﷺ .
٣) من السنة أن يوصي المودع كما فهم الصحابة وطلبوا ذلك واستجاب الرسول ﷺ لهم .
٤) أهمية التقوى وأنها وصية الوصايا التي تشمل الدين كله .
٥) ضرورة السمع والطاعة لولاة الأمر حتى تستقيم حياة الناس .
٦) إخبار الرسول ﷺ ببعض الحوادث المغيبة المستقبلية وتوجيه أصحابه لأفضل السبل للتعامل معها .
٧) الأمر بوجوب التمسك بالكتاب والسنة ومنهج الرسول الكريم وخلفائه الراشدين .
٨) التحذير من البدع ومحدثات الأمور وأنها طريق للضلال والزيغ عن الصراط المستقيم .
٩) دل الحديث على بعض صفات الموعظة المؤثرة في السامعين التي تتميز بالبلاغة واختيار الموضوع المناسب والفرصة المواتية مع عدم التطويل .
١٠) حرص الصحابة والتابعين على طلب الحديث وتكبد المشاق من أجل ذلك .

الحديث العشرون

صلاح القلب في اجتناب الشبهات

أولاً : النص :

عن النُّعمان بن بَشير رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الحلالَ (١) بيِّنٌ، وإن الحرامَ (٢) بَيِّنٌ (٣) ، وبينهما أمورٌ مُشتبهاتٌ (٤) لا يعلمهن (٥) كثيرٌ من الناسِ ، فمن اتقى (٦) الشبهاتِ استبرأ (٧) لدينهِ وعرْضه(٨) ، ومن وقع (٩) في الشبهات وقع في الحَرام، كالراعي يرعَى حول الحِمَى (١٠) يُوشِكُ (١١) أن يَرْتَعَ (١٢) فيه ، ألا إن لكل مَلك حِمَى ، ألا إن حِمَى اللهِ محَارمَهُ ، ألا وإن في الجسد مضغةً (١٣) إذا صَلُحتْ صَلُحَ الجسدُ كلُّه ، وإذا فسدتْ فسد الجسدُ كُلُّه : ألا وهي القلبُ ." متفق عليه .

---

(١) المباح الذي يجوز فعله أو تركه دون حرج .
(٢) المحظور الذي لا يجوز فعله أو لا يجوز تركه .
(٣) واضح تدركه العقول السليمة .
(٤) مشكلات لما فيها من شبه الحلال والحرام .
(٥) لا يعرف حكمهن .
(٦) تجنب وابتعد عنهما .
(٧) طلب السلامة والبراءة .
(٨) العرض موضع المدح والذم من الإنسان .
(٩) اقترف .
(١٠) المكان أو الشيء الممنوع .
(١١) سوف يرتع فيه عاجلاً .
(١٢) يرعى فيه ، والرتع الأكل والشرب للدواب .
(١٣) قطعة من اللحم بقدر ما يمضغ بالأسنان .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى برقم ٥٢ في كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ، والبيوع برقم ٢٠٥١ ، ورواه الإمام مسلم برقم ٤٠٩٤ في كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، ورواه أيضاً أبو داود برقم ٣٣٢٩ في البيوع ، باب ترك الشبهات ، والترمذي برقم ١٢٠٥ في نفس الكتاب والباب ، والنسائي برقم ٥٧١٣ في الأشربة ، باب الحث على ترك الشبهات، كما روي في بعض كتب الحديث الأخرى .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، سبق التعريف به في الحديث الخامس .

رابعاً : الشرح :

يبين الرسول الكريم في هذا الحديث الجامع أموراً تتصل بأمهات الأخلاق والسلوك حيث يقسم الأحكام الدينية والأخلاقية إلى ثلاثة أقسام :

الأول : الحلال الصِّرْف الذي لم تخالطه شُبْهةٌ من الحرام . وهذا القسم بين واضح لا تختلف فيه العقول السليمة والفطر القويمة ، كما أن دليله من الشرع واضح لا لبس فيه، وهو معلوم من الدين بالضرورة، مثل الأكل من الطيبات وأداء الحقوق وغير ذلك .

والقسم الثاني هو الحرام الصِّرْف الذي تتفق العقول السليمة والفطر القويمة على تحريمه ، وأدلته واضحة بينة لا تحتاج إلى إعمال فكر ، مثل قتل النفس التي حرم الله بغير حق وأكل مال اليتيم والزنا وغير ذلك . والأمور المحرمة تعد قليلة مقارنةً بما أحل الله ،

وذلك أن الأصلَ في الأشياء الإباحةُ والحِلُّ . وأما التحريم فلا يعتبر إلا بدليل .

أما القسم الثالث فيتعلق ببعض الأمور المشكلة التي فيها شُبَهٌ من الحلال وشبه من الحرام ، ولذا فهي تلتبس على كثير من الناس من غير أهل العلم . ومصدر الالتباس إما لعدم وضوح الرؤية لدى الناظر لهذه الأمور ، أو لقلة علمه أو عدم توفر الحيثيات التي توضح الحال . وقد يكون سبب الاشتباه وجود عناصر مختلطة تقتضي التحريم وعناصر تقتضي الحل والإباحة بحيث يصعب الترجيح ، مثل اشتمال الأمر على منافع ومضار أو مصالح ومفاسد . وقد يكون سبب الاشتباه أن الأمر مجال الشبه يقع في حدود المحرمات والوقوع فيه قد يجر إلى الوقوع في الحرام الصرف .

وعلى الرغم من أن هذه الأمور المشتبهة لا يغيب الحكم فيها عن العلماء الراسخين في العلم فقد وجه الرسول الكريم ﷺ إلى أفضل السبل للتعامل مع الأمور التي لا يتضح حلها أو حرمتها بالابتعاد عنها ، وتجنب الوقوع فيها طلباً لسلامة الدين مما يخدشه والعرض مما يصمه . ومن هذا المنطلق يؤكد الرسول الكريم ﷺ أن من وقع في الشبهات سيقع لا محالة في الحرام عاجلاً أم آجلاً . ولتوضيح هذه الفكرة ضرب النبي الكريمﷺ مثالاً حسياً من حياة الناس بين فيه أن حدود الله تشبه أرض الحمى التي يمنعها الحاكم أو من له سلطة من عامة الناس لأغراض معينة ، وأن من يرعى حول المناطق المحمية سوف ترتع غنمه أو ماشيته في هذه المناطق شاء أم أبى . وقد يحدث ذلك بشكل سريع دون إبطاء أثناء انشغاله أو غفلته أو تساهله . ولذا فإن أنجع الحلول وأفضل السبل هو الابتعاد عن الأمور المشتبهة كما يحسن بالراعي أن يبتعد عن المناطق المحمية وإلا وقع في المحذور وتعرض للعقاب . ولتأكيد هذا المعنى يبين الرسول ﷺ أن حمى الله هو محارمه والأمور التي نهى عن إتيانها أو الاقتراب منها .

وحيث إن القرار في الابتعاد عن الشبهات أمر يعود إلى الشخص نفسه حتى لو غاب الرقيب فقد بين الرسول الكريم ﷺ أن اتقاء الشبهات دلالة على صلاح الباطن وسلامة القلب الذي هو مصدر الاستقامة أو الانحراف . ولذا فلابد أن يحرص الإنسان على صلاحه وبعده عن عوامل الفساد التي قد تؤثر فيه سلباً لأن فساد القلب يقود إلى فساد الجسد كله ، وخسران الدنيا والآخرة .

واتقاء الشبهات لا شك أنه أفضل السبل لحماية القلب من الفساد ، والارتفاع به إلى درجة المتقين. قال الرسول ﷺ في الحديث الحسن الذي رواه الإمام الترمذي رحمه الله : " لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس ."

خامساً : الأحكام :

أفاد هذا الحديث الجامع جملة من الأحكام منها ما يلي :

١) بيان أن الحلال والحرام واضحان تدركهما العقول السليمة والفطر القويمة .
٢) بيان أن هناك أمور تشتبه على كثير من الناس ، أحلال هي أم حرام .
٣) أن أسلم الطرق للتعامل مع المشتبهات هو تجنبها وعدم الوقوع فيها ، كما يقضي بذلك التوجيه النبوي الكريم .
٤) ضرورة أن يطلب الإنسان السلامة لدينه وعرضه بالابتعاد عن الأمور المشكلة التي لم يتضح فيها وجه الحق .
٥) إن الاقتراب من الأمور المشتبهة طريق إلى الوقوع السريع في الحرام .
٦) أن القلب مصدر الصلاح والفساد ، ولذا وجب العناية به والحفاظ عليه مما يفسده حماية للجسد كله وحماية للمجتمع الذي يعيش فيه صاحبه .

٧) من الورع أن يتبع الإنسان المسلم ما صح دليله من الأحكام ويترك ما فيه شبة مما لا دليل عليه واضحا من الكتاب والسنة .

٨) إباحة إقامة الحمى للمصلحة العامة كما فعل الرسول الكريم ﷺ وخلفاؤه الراشدون .

٩) بلاغة الرسول ﷺ وضربه للأمثال لتوضيح ما يريد إيصاله للناس .

الحديث الحادي والعشرون

ثمرات الإيمان

أولاً : النص :

عن أبي شُريح الخُزاعي رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال " من كان يؤمنُ(١) بالله واليوم الآخر(٢) فليُحْسِنْ (٣) إلى جاره (٤)، ومن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليُكرمْ (٥) ضيفَه (٦) ، ومن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فَلْيقلْ(٧) خيراً (٨) أو ليَسْكُتْ (٩)." رواه مسلم بهذا اللفظ ورواه البخاري مع اختلاف بسيط .

ثانياً : التخريج :

أخرج هذا الحديث مسلم في صحيحه برقم ٤٨ في الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار ، ورواه البخاري في الصحيح في عدد من كتبه : الأدب برقم ٦١٣٥ ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وباب إكرام الضيف وفي كتاب النكاح برقم ٥١٨٥ ، باب الوصاة بالنساء ، والرقاق برقم ٦٤٧٦ ، باب حفظ اللسان . كما روى الحديث أيضاً أبو داود برقم ٥١٥٤ في الأدب ، باب حق الجوار ، والإمام مالك في الموطأ ٩٢٩/٢ في صفة صلاة النبي ﷺ ، باب جامع

---

(١) يعتقد بوجود الله واطلاعه على سائر أحواله .
(٢) يصدق بوقوع القيامة حيث الجزاء على الأعمال .
(٣) يوصل إليه الخير ويمنع عنه الشر .
(٤) من يسكن قريباً منك حتى أربعين بيتاً من كل جهة.
(٥) يطعم ضيفه ويحترمه ويحسن استقباله.
(٦) الزائر الذي يحتاج الطعام أو المبيت أو الاثنين معاً.
(٧) أي يعبر بالكلام أو الإشارة أو الكتابة .
(٨) حقاً ومعروفاً يقود إلى الوئام ونشر المحبة .
(٩) يلزم الصمت بحيث لا يشارك في الظلم أو الباطل.

ما جاء في الطعام والشراب . وخرجه الشيخ ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٦٥٩١ .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو أبو شُرَيح العَدَوي الكَعْبي الخُزاعي . واختُلف في اسمه بين خويلد بن عمرو أو عمرو بن خويلد ، وكعب بن عمرو وهانئِ بن عمرو . وقد أسلم قبل فتح مكة . وكان يحمل يوم فتح مكة أحد ألوية بني كعب من خزاعة . وكان من عقلاء الرجال، وتوفي ٦٨هـ .

رابعاً : الشرح :

الإسلام منهج متكامل للسلوك المبني على الإيمان بالله سبحانه وتعالى والإيمان باليوم الآخر والقناعة بأن الإنسان مجزي يوم القيامة على كل ما يقوم به من عمل ، إن خيراً فخيرٌ وأن شراً فشر .

ولذا فإن الرسول الكريم ﷺ يخبرنا أن من كان يؤمن بالله حقيقة فسوف يترتب على إيمانه هذا جملة من السلوكيات التي يدعو إليها الإسلام . وقد اختار الرسول ﷺ في هذا الحديث ثلاث سلوكيات لها ارتباط بعلاقة المسلم بمجتمعه ، ومن يتعامل معهم من المسلمين أو غيرهم . وأول تلك التصرفات المرتبطة بالإيمان بالله واليوم الآخر :

الإحسان إلى الجار ، إذ أمر الله تعالى بالإحسان إلى الجار في كتابه الكريم وأقوال رسوله ﷺ الرحيم . قال تعالى :" واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب ... ،"(النساء ٣٦) . وتشتمل هذه الآية الكريمة على الأمر بالإحسان إلى الجار كان قريباً أم بعيداً في النسب أو المكان .

وقد ورد عن الرسول ﷺ بالإضافة إلى حديث الباب أحاديث أخرى توصي بالجار وتبين ضرورة الإحسان إليه . يقول الرسول ﷺ في الحديث المتفق عليه من رواية ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما : " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سَيُورِّثه . " وقد ذكرت كتب الفقه للجار حقوقاً منها حق الشُّفْعة وعدم أذيته والسماح له بأن يغرز خشبه في جدار جاره إذا احتاج لذلك . كما أوصى الرسول ﷺ أبا ذر والنساء المسلمات في أكثر من حديث بأن يحسبوا حساب الجيران فيما يطبخون . وبين الرسول الكريم ﷺ أن " خير الجيران عند الله سبحانه وتعالى خيرهم لجاره " كما روى ذلك الترمذي في حديث حسن.

والأمر الثاني هو : إكرام الضيف ، حيث أن من الأمور التي حض عليها الإسلام في مجال السلوك الاجتماعي إكرامَ الضيف وذلك لارتباطه بالكرم الذي عرف به العرب من جهة ولحاجة الناس إلى ذلك في أثناء تنقلهم في البلاد. ولم يكتف الإسلام بالندب إلى إكرام الضيف بل جعل ذلك واجباً وحقاً للضيف يحصل عليه بنص حديث الرسول ﷺ حيث يلزم بضيافة الضيف ثلاثة أيام بلياليها . أما بعد ذلك فليس المسلم ملزماً بأن يستضيف الضيف أكثر من ذلك ، بل نهى الرسول ﷺ أن يؤثم المسلم أخاه المسلم ويبقى عنده أكثر من ثلاث. ومن مظاهر إكرام الضيف تلقيه بوجه طليق والقيام بخدمته وتعجل القِرَى له . ومما لا شك فيه أن هناك تجاوزًا بين كثير من المسلمين سواء في مدة الضيافة أم في الكمية المقدمة للضيف من الطعام . فقد درج بعض المسلمين على الإسراف في إكرام الضيف وتقديم كميات كبيرة من الطعام لا تجد أحياناً من يأكلها . ولا شك أن الإسلام كما حث على إكرام الضيف وتقديم ما يسره ويجعله يشعر كأنه عند أهله ، حذر من المبالغة في التكلف وحرَّم الإسراف في إكرام الضيف أو غيره .

وإكرام الضيف من العادات الحسنة التي كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام وأقرها الإسلام وحض عليها . وكان العرب وما

زالوا يتفاخرون في الاحتفاء بالضيف ، وإكرامه والمبالغة في خدمته. يقول ذو الأصبع العدواني :

وإنّي لعبدُ الضيفِ ما دام نازلاً وما شيمةٌ لي غيرُها تُشبِهُ العبْدا

والسلوك الثالث هو : قول الحق الخيِّر ، فالمسلم إنسان ومحاسب على كل كلمة تخرج منه ومسؤول عنها . وذلك لأن الكلمة في الإسلام لها أهمية كبيرة فهي قد توصل إلى الدرجات العلى في الجنة إذا كانت حقاً وصدقاً ومنطلقة من رضوان الله ، وقد تنزل الإنسان إلى الدركات السفلى من النار إذا كانت باطلاً منطلقة من سخط الله . ولذا كان التوجيه الإسلامي بضرورة تقدير أهمية الكلمة وضرورة التزامها بالحق بحيث تكون دعوة للحق، أو دفاعاً عن الحق، أو تبياناً له وتصب في المحصلة النهائية في نهر الخير من نفع الناس وتوجيههم وتعليمهم والدفاع عن قضاياهم العادلة . وإذا لم تكن الكلمة كذلك فمن الخير أن تحجب ، ويصبح السكوت خيراً منها لأنها إن لم تكن دعوة للخير ، أو دفاعاً عنه ، أو تبياناً لحق ، أو دحضاً لباطل فإنها بالضرورة سوف تكون انغماساً في عكس ذلك كله ، بحيث تكون دفاعاً عن باطل أو دعوة إلى ضلال أو نشراً لباطل وإشاعة للفاحشة ، أو على أحسن الفروض لغواً لا فائدة فيه ، وثرثرة لا طائل تحتها.

وقد قدم الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث المختصر ثلاثة مظاهر من مظاهر الإيمان الحقيقي تمثل ثلاث دعامات من دعائم المجتمع المتعاون على البر والتقوى وتشكل أسساً وطيدة من قوة الأخوة الإسلامية التي تميز المجتمعات المسلمة عن غيرها .

خامساً : الأحكام :

أفاد هذا الحديث جملة من الأحكام المتعلقة بالجانب الاجتماعي في الإسلام أهمها :

١) وجوب الإحسان إلى الجار وعدم أذيته .
٢) أن من علامات الإيمان إكرام الضيف والحفاوة به والحض على ذلك .
٣) الحث على الإقلال من الكلام وضرورة تحري قول الحق والدعوة إلى الخير فيما يقال .
٤) ارتباط العمل في الإسلام بالإيمان وأنه ينبغي أن يكون النتيجة الفعلية لآثار الإيمان وتأثيره على سلوك الإنسان .
٥) أن الإسلام منهج حياة متكامل نظم نشاط المسلم الاجتماعي وغيره بما يكفل صلاح المجتمع وتقوية علاقات أفراده .

الحديث الثاني والعشرون

لا تسأل ، افعل ، لا تفعل

أولاً : النص :

روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : خطبَنا رسولُ الله ﷺ فقال : " يا أيها الناسُ ، قد فُرض(١) عليكم الحَجُّ فحُجوا ، فقال رجلٌ : أفي كلِّ عامٍ(٢) يا رسولَ اللهِ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، ثم قال ذروني(٣) ما تركتكم، ولو قلت (نعم) لوجبت(٤) وما استطعتم (٥) . وإنما أهلك مَنْ كان قبلَكم كثرةُ سؤالِهم (٦) ، واختلافِهم (٧) على أنبيائهم . فإذا أمرتكم بشيء فأتُوا(٨) منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه (٩)." أخرجه مسلم والنسائي .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث رواه الإمام مسلم برقم ١٣٣٧ في كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر وفي كتاب الفضائل ، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله والنص أعلاه لمسلم ، ورواه النسائي برقم ٢٦٢٠ في كتاب الحج ، باب وجوب الحج . والجزء الأخير من الحديث المتعلق بالنهي عن كثرة السؤال والأمر بإتيان أوامره واجتناب نواهيه رواه

---

(١) أوجب الله عليكم الحج .
(٢) أي هل يجب علينا الحج كل عام ؟
(٣) اتركوني ولا تسألوني .
(٤) أصبحت فرضية الحج واجباً عليكم كل عام .
(٥) لما تمكنتم من أداء ذلك .
(٦) كثرة أسئلتهم للتهرب من التنفيذ .
(٧) مخالفتهم لأوامر أنبيائهم .
(٨) نفذوا واعملوا .
(٩) اتركوه وابتعدوا عنه .

الإمام البخاري أيضاً مع شيء من التقديم والتأخير. كما رواه بقية أصحاب السنن والإمام أحمد في مسنده وغيرهم .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو أبو هريرة رضي الله عنه ، وقد سبق التعريف به في الحديث الثامن .

رابعاً : الشرح :

يروي الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه هذا الحديث الذي يُعَدّ من جوامع الكلم وقاعدة عظيمة من قواعد الدين ، حيث يذكر أن الرسول ﷺ ألقى في أصحابه خطبة ذكر فيها أن الحج قد فرض عليهم ركناً من أركان الإسلام . وحثهم ﷺ على أداء هذه الفريضة متى استطاعوا إلى ذلك سبيلاً . وهنا سأل رجل مستفسراً : هل الحج واجبٌ كلَّ عام أم هو واجب مرة واحدة في العمر؟ وقد تجاهله النبي الكريم ﷺ حتى أعاد السؤال ثلاث مرات . وعندئذ أجاب الرسول ﷺ أنه لو قال كلَّ سنة لأصبح ذلك فرضاً على المسلمين . وفي ذلك لا شك مشقة كبيرة ولن يستطيع المسلمون تنفيذ ذلك . ولهذا فقد وجه الرسول الكريم أصحابه إلى أن يتجنبوا سؤاله ما لم يوجههم إلى شيء محدد . وقد بين لهم أن كثرة الأسئلة التي لا يترتب عليها عمل ، ولا يقصد من ورائها الحصول على معلومات مفيدة كانت إحدى سمات الأمم السابقة التي كذبت أنبياءها ، واختلفت فيما بينها باتباع أوامر الله سبحانه وتعالى مما قاد إلى هلاكهم وعذابهم . ولذا وجه الرسول الكريمﷺ أصحابه إلى المنهج العملي المفيد الذي يجب عليهم أن يسلكوه فيما يخص أوامر الرسول الكريم ﷺ . وهذا المنهج يتمثل في أن ينفذوا ما يستطيعون من أوامر الرسول ﷺ التي وجههم لعملها ، ويجتنبوا أي شيء نهاهم عن فعله . ولا شك أن هذا هو التصرف السليم فيما يتعلق بأوامر الرسول ﷺ ونواهيه. فعندما يأمر الرسول ﷺ بأمر فقد لا يستطيع المسلم أن ينفذ

هذا الأمر بحذافيره ، ولكن ليثبت استعداده وحسن نيته فينبغي عليه أن ينفذ منه ما يستطيع مع العزم على تنفيذ الباقي مستقبلاً عندما يتمكن من ذلك . أما اجتناب النواهي فلا يحتاج إلى أي تدرج وإنما ينبغي التوقف المباشر عن ممارسة هذا العمل امتثالاً لأمر الرسول الكريم ﷺ .

والأمر بتنفيذ المستطاع من الأحكام الشرعية يدخل فيه مالا يحصى من الأعمال ويتفق مع قوله تعالى : " فاتقوا الله ما استطعتم ، " (التغابن ١٦) . ومن الجدير بالذكر أن الرسول ﷺ نهى أصحابه في أكثر من مناسبة عن كثرة الأسئلة التي لا لزوم لها . ومن ذلك قوله : " إن الله كره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ." وقد نزل القرآن يوجه الصحابة خاصة والمسلمين عامة إلى تجنب الأسئلة التي لا يترتب عليها عمل . يقول الله سبحانه وتعالى: " يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤ كم ، "(المائدة ١٠١) .

ونهي الرسول ﷺ عن كثرة الأسئلة إنما هو نهي عن الأسئلة التي للمراء والجدال والتي لا يترتب عليها عمل . هذا بالإضافة إلى أن السؤال عن أمر من الأمور التي سكت الله عنها قد يكون سبباً في تحريم ذلك الأمر . ويشير إلى هذا المعنى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : " إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يُحَرَّم فحُرِّم من أجل مسألته ." ولهذا وجه الرسول الكريم ﷺ صحابته إلى عدم السؤال غير الضروري وعدم التشديد في البحث عما تركه الشارع ، وبين لهم أنواع أحكام الله سبحانه وتعالى في الحياة بقوله في الحديث الحسن الذي رواه الدارقطني وغيره عن أبي ثعلبة الخشَني رضي الله عنه : " إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياءَ فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياءَ رحمةً لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها ." وعلى الرغم من أن النهي عن كثرة التنطع في السؤال ما زال قائماً إلا أن الخوف من تحريم بعض الأمور نتيجة السؤال عنها قد انتهى بانتهاء الوحي بعد موت النبي ﷺ .

خامساً : الأحكام :

اشتمل هذا الحديث على مجموعة من الأحكام ، أوجز أهمها فيما يلي :

1) فرضية الحج وضرورة أدائه متى استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلاً مرة في العمر .
2) كراهية طرح الأسئلة التي لا يترتب عليها أمور عملية .
3) أن كثرة الأسئلة والتعنت والاختلاف على الأنبياء من أسباب هلاك الأمم السابقة .
4) ضرورة أن ينفذ المسلم ما يستطيع من الأمور التي أمر بها الرسول ﷺ .
5) ضرورة الامتناع عن الأمور التي نهى عنه الرسول ﷺ واجتنابها كلية .
6) حرص الرسول ﷺ على ألا يكلف المسلمون من الأعمال ما لا يطيقون .
7) سماحة الإسلام وتيسيره على الناس .
8) حرص الرسول ﷺ على أمته وعظيم شفقته بها .

الحديث الثالث والعشرون

الموقف من المنكر

أولاً : النص :

عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: " من رأى (١) منكم منكراً (٢) فليغيّرْه (٣) بيده ، فإن لم يستطعْ فبلسانه ، فإن لم يستطعْ فبقلبه (٤) ، وذلك أضعفُ (٥) الإيمان ." رواه مسلم .

ثانياً : التخريج :

أخرج هذا الحديث الإمام مسلم في صحيحه برقم ٤٩ في كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأبو داود برقم ١١٤٠ في كتاب الصلاة ، باب الخطبة يوم العيد ، والترمذي برقم ٢١٧٣ في كتاب الفتن ، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو اللسان أو القلب ، وقال عنه : حديث حسن صحيح . كما رواه النسائي وابن ماجة برقم ٤٠٣١ في الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . كما رواه الإمام أحمد وغيره . وخرجه كذلك الألباني في مشكاة المصابيح برقم ٥١٣٧ .

ثالثاً : الراوي :

---

(١) من علم .
(٢) كل ما قبحه الشرع .
(٣) يوقفه .
(٤) أي يكره هذا العمل بقلبه .
(٥) أقل الإيمان .

عن المشاركة في معركة أحد لصغر سنه حيث استشهد أبوه رضي الله عنه. غزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة . كان من فقهاء شباب الصحابة وفضلائهم ، وهو أحد الستة الذين بايعوا الرسول ﷺ بأن لا تأخذهم في الله لومة لائم ، وهم : أبو سعيد الخدري ، وأبو ذر ، وعبادة بن الصامت ، ومحمد بن مسلمة ، وسهل بن سعد ، وأما السادس فاستقال فأقاله الرسول ﷺ . وقد اختلف في زمن وفاته في المدينة بين عام٦٤ ، ٧٤ هـ، وروى له أهل كتب الحديث ١١٧٠ حديثاً. وبهذا يعد سابع المكثرين رواية عن رسول الله ﷺ .

رابعاً : الشرح :

المجتمع المسلم مجتمع نظيف يقوم على التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولهذا يوجه الرسول الكريم ﷺ أتباعه إلى تغيير المنكر أينما وجد . وذلك لأن وجود المنكر في المجتمع دون سعي أفراد المجتمع لتغييره دلالة واضحة على عدم القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وحيث إن الإسلام دين عملي لا يكلف أصحابه أكثر مما يستطيعون فقد بين الرسول ﷺ مراتب تغيير المنكر المتمثلة في التغيير باليد أي بالقوة وذلك هو دور الحاكم في المجتمع المسلم ودور من له ولاية على مرتكب المنكر كولاية الوالد على ولده والزوج على زوجه . والدرجة الثانية لتغيير الأعمال السيئة التي تعارف المجتمع على إنكارها هي النصيحة وتبيان خطأ الفعل باللسان من خلال التذكير والموعظة الحسنة . وهذا دور العلماء وكل من يستطيع أن يوجه وينصح مرتكبي الأعمال التي تضر بالإنسان ومجتمعه . وأما المرتبة الأخيرة في تغيير المنكر فهي كراهية ذلك المنكر واستنكاره بالقلب إذا لم يستطع الشخص تغييره باليد ولا باللسان . هذه المرتبة هي أقل ما يتوقع من الشخص المسلم الذي تجذر الإيمان في قلبه . أما إذا وصل الشخص إلى مرحلة لا يكاد يتمعر وجهه إذا انتهكت محارم الله فهذا دلالة على ضعف الإيمان أو انعدامه بحيث لا ينكر الإنسان منكراً ويكاد يتساوى عنده الخير والشر . ولذا ورد في الرواية الأخرى لهذا الحديث" وليس وراء ذلك مثقال حبة من خردل من إيمان."

ومما لا شك فيه أن إنكار المنكر في المجتمع المسلم هو وسيلة ناجعة لتطهير المجتمعات المسلمة من الانحراف والشرور التي تنتشر في المجتمعات التي يغيب فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والمجتمعات التي لا ينهى فيها عن المنكر قد تتعرض للعقاب الجماعي من الله سبحانه وتعالى كما حصل للأمم السابقة . قال الله تعالى : " لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون ،"(المائدة ٧٨- ٧٩) . وقد ورد في الحديث الحسن الذي رواه الترمذي عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " والذي نفسي بيده لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر ، أو ليوشكَنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تَدعُونَه فلا يستجابُ لكم ." ولذا فإنكار المنكر والدعوة إلى المعروف كل حسب ما يستطيع يعد صِمَام أمانٍ في المجتمعات المسلمة ضد الانحراف والفساد ، وضد الهلاك الجماعي.

خامساً : الأحكام :

أفاد هذا الحديث عدة أحكام منها :

١) ضرورة تغيير المنكر في المجتمع المسلم بأي وسيلة ممكنة واعتبار ذلك مسؤولية مشتركة .
٢) تغيير المنكر على مراتب حسب الاستطاعة .
٣) عدم إنكار المنكر دلالة على ضعف الإيمان أو فقدانه .
٤) ضرورة مراعاة الضوابط الشرعية في تغيير المنكر .
٥) اهتمام الإسلام بمحاربة المنكرات ، والقضاء عليها في المجتمع المسلم حفاظاً على مكارم الأخلاق وحماية للعباد وتطهيراً للبلاد من أرجاس الفساد .
٦) بيان أن الإيمان درجات ، فيكون قوياً تارة وضعيفاً أخرى .

الحديث الرابع والعشرون

منابع حلاوة الإيمان

أولاً : النص :

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:" ثلاثٌ (١) من كُنَ فيه وجدَ بهن حلاوة (٢) الإيمان (٣) : أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرءَ (٤) لا يحبُّه إلا للهِ ، وأن يكرهَ أن يعودَ في الكفر بعد أن أنقذهُ (٥) اللهُ منه كما يكرهُ أن يُقذَفَ (٦) في النار ." متفق عليه .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري برقم ١٦ في كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ، وباب الأدب برقم ٦٠٤١ ، والإمام مسلم برقم ١٦٥ في كتاب الإيمان أيضاً ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان . كما رواه الترمذي برقم ٢٦٢٤ ، والنسائي وابن ماجة وابن حبان والإمام أحمد في مسنده وغيرهم . كما خرج هذا الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني في عدد من كتبه منها : الاحتجاج بالقدر ص ٨٧ وتخريج أحاديث فقه السيرة ، ص ٢١١ وغيرها .

---

(١) أي ثلاث صفات أو خصائص .

(٢) لذة .

(٣) الاعتقاد بوجود الله وقدرته وعلمه وبقية أركان الإيمان المعروفة .

(٤) أي الإنسان سواء كان رجلاً أو امرأة .

(٥) سلمه الله وخلصه منه .

(٦) يرمى بقوة وعنف .

ثالثاً : الراوي :

راوي الحديث هو الصحابي الجليل أنس بن مالك الخزرجي الأنصاري . كناه الرسول الكريم ﷺ أبا حمزة . بدأ في خدمة الرسول ﷺ وهو ابن عشرة أعوام واستمر لمدة عشرة سنوات ، وأمه هي أم سليم. دعى له النبي ﷺ بقوله " اللهم أكثر ماله وولده وبارك له وأدخله الجنة " ، فتحققت دعوة الرسولﷺ حيث مات وعمره أكثر من مائة سنة في البصرة عام ٩٣ هـ ، وله من الولد بضعة وعشرون ومائة . وكان من أكثر الناس مالاً . وقد كان من المكثرين من رواية الحديث حيث روى له أصحاب كتب الحديث ٢٢٨٦ حديثاً .

رابعاً : الشرح :

للإيمان لذة وحلاوة وطمأنينة يجدها من منَّ الله عليه بذلك مما يجعل الإنسان يدرك قيمة هذا الإيمان ويقدم في سبيله الغالي والرخيص . وقد أخبر الرسول الكريم ﷺ أن سعادة الإيمان يتمتع بها من توافرت فيه شروط ثلاثة : الأول أن تكون محبة الله ورسوله وتعظيمهما وتقديرهما وتقديم أمرهما على كل أمر أحب إلى الإنسان من غيرهما مهما بلغ من المكانة والقرب . ومحبة الله ورسوله أكثر من غيرهما هي أقل ما يجب على المؤمن الذي أكرمه الله بالإيمان ونور الله قلبه بنور اليقين . وذلك أن فضل الله ورسوله على المؤمن لا يعد ولا يحصى ، فالله هو الذي خلقه ورزقه وهداه للإيمان ، والرسول ﷺ هو الذي أخرجه الله به من الظلمات إلى النور، وقاده إلى سبيل الرشاد .

الأمر الثاني أن تكون علاقة المؤمن مع الآخرين مبنية على مقدار التزامهم بالإسلام وتطبيق تعاليمه . ولذا فإن محبة هذا المؤمن موجهة للمؤمنين المنفذين لأوامر الله والمجتنبين نواهيه فهو يحب إخوانه المؤمنين لله وفي الله انطلاقاً من اشتراكهم في الإيمان وتحليهم بأخلاق الإسلام .

الأمر الثالث أن يدرك مقدار النعمة التي من الله عليه عندما اختاره للإيمان وجعله من اتباع الرسول الكريم ﷺ بحيث يكره الخروج من حظيرة الإيمان كما يكره أن يلقى في النار . وهذا يعني أنه متمسك بالإيمان عارف لقيمته ، ومستعد للتضحية في سبيله بنفسه وماله والناس أجمعين .

إن من ينتسبون إلى الإيمان كثير ، ولكن الذين يجدون السعادة واللذة ويتمتعون بمباهج الإيمان هم الذين يقدمون محبة الله ورسوله وطاعته على غيرهما ، وهم الذين يحبون المؤمنين لإيمانهم والتزامهم بتعاليم الإسلام ، وهم الذين يكرهون الكفر وما يمت إليه بصلة كما يكرهون أن يلقوا في النار أحياء ، وذلك أن من ذاق حلاوة الإيمان لا يمكن أن يحن إلى سواه أو يقبل غيره .

خامساً : الأحكام :

أفاد هذا الحديث أموراً منها :

١) أن للإيمان حلاوة ولذة ومتعة .
٢) أن محبة الله ورسوله يجب أن تكون مقدمة على كل محبة .
٣) أن محبة المؤمنين لإيمانهم والتزامهم من القربات التي توصل إلى حلاوة الإيمان .
٤) وجوب كره الكفر وما يقود إليه كما يكره الإنسان أن يلقى في النار .
٥) أن من اجتمعت فيه خصال محبة الله ومحبة المؤمنين وكره الكفر والكافرين اجتمعت له المكونات الأساسية للتمتع بمباهج الإيمان والشعور بسعادة اليقين.

الحديث الخامس والعشرون

علامات النفاق

أولاً : النص :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : " أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان منافقاً(١) خالصاً(٢) ، ومن كانت فيه خصلة (٣) منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يَدَعَها(٤) : إذا اؤتمِن(٥) خان(٦) ، وإذا حَدَّث كَذَب ، وإذا عاهد(٧) غَدَر(٨) ، وإذا خاصَم (٩) فَجَر(١٠) ." متفق عليه .
وفي رواية " إذا وعد أخلف " بدلاً من " إذا اؤتمن خان " .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث رواه الإمام البخاري برقم ٣٤ في كتاب الإيمان ، باب علامات النفاق ، وفي مواقع أخرى من صحيحه برقم ٢٤٥٩ ، ٣١٧٨ . ورواه مسلم برقم ٢١٠ في كتاب الإيمان أيضاً ، باب بيان خصال النفاق ، وأبو داود برقم ٤٦٨٨ في كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، والترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في علامة المنافق ، والنسائي برقم ٢٦٣٢ في نفس الكتاب والباب

---

(١) مظهراً للإيمان مبطناً للكفر أو مرائياً .
(٢) كامل النفاق .
(٣) شعبة أو خلة أو صفة متأصلة .
(٤) يتركها .
(٥) وضعت عنده أمانة أو وثق به .
(٦) لم يحفظ الأمانة أو غدر .
(٧) أعطى موثقاً .
(٨) نقض ما اتفق عليه .
(٩) شاجر أو احتكم إلى أحد .
(١٠) بالغ في الخصومة وفحش في الكلام ومال عن الحق .

. وخرجه ناصر الدين الألباني في عدد من كتبه ، منها سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٨٨٩ ، ٨٩٠ .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو بن العاص السَّهْمي القرشي . كان اسمه العاص فغيره النبي ﷺ . أسلم قبل أبيه وكان من عبّاد الصحابة . كان كاتباً في الجاهلية فاستأذن الرسول ﷺ في أن يكتب ما يسمع منه فأذن له . شهد الحروب والغزوات وكان يقاتل بسيفين كان يصوم النهار ويقوم الليل ويختم القرآن في ثلاثة أيام . حمل راية أبيه يوم اليرموك وشهد صفين مع معاوية وولاه معاوية الكوفة لفترة يسيرة . توفي عام ٦٥ هـ وكان عمره ٧٢ سنة ، وله في كتب الحديث ٧٠٠ حديث .

رابعاً : الشرح :

النفاق مرض اعتقادي واجتماعي خطير يفسد الإيمان ويخرب المجتمعات . والنفاق في حقيقته هو نوع من المكر والخداع وإظهار الخير وإبطان خلافه . والمنافقون يعدون طابوراً خامساً في المجتمع المسلم يظهرون الانتماء إليه وهم في الحقيقة ألد أعدائه . وهو ينقسم إلى نوعين :

الأول : نفاق أكبر وهو أن يظهر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه . وهذا النوع هو النفاق الاعتقادي وجد في عهد الرسول ﷺ ونزل القرآن بذمه وتكفير أهله وأنهم في الدرك الأسفل من النار .

والثاني : نفاق أصغر وهو النفاق العملي وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحه ويبطن ما يخالف ذلك . وقد ذكر الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث أصول النفاق العملي وذكر أن من كان فيه خَلة من تلك الصفات فإن فيه خلة من النفاق ومن اجتمعت فيه فهو منافق

خالص قد استكمل مقومات النفاق كلها . وهذه الخصال أهمها خمس :

الأولى : الكذب في الحديث . والكذب هو الإخبار بعكس الحقيقة أو إخفاؤها . وقد ورد ذم الكذب في كثير من نصوص الكتاب والسنة ، قال الله تعالى: " ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ، " (آل عمران ٦١) .وقال الرسول ﷺ في حديث طويل متفق عليه : " وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ." والكذب الذي هو إحدى علامات النفاق هو الكذب المتعمد ، بمعنى أن يحدّث الإنسان بحديث وهو يعلم أنه كاذب . وأسوأ أنواع الكذب هو الكذب على الله ورسوله حيث قال الرسول ﷺ في الحديث الصحيح : " من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ." ولا شك أن الكذب آفة اجتماعية خطيرة تفقد الثقة بين أفراد المجتمع وتجعل التعامل مبنياً على أسس هشه ينقصها الطمأنينة والصدق . ولذا يعتبر الكذب الأساس الذي بني عليه النفاق.

الثانية : إخلاف الوعد وهو على نوعين : أن يعد وفي نيته أن لا يفي وهذا شَرُّ الخلق حيث جمع بين الكذب وإخلاف الوعد ، والثاني أن يعد وفي نيته أن يفي ثم يبدو له أن يخلف وعده دون عذر. وقد ورد الثناء على الوفاء بالعهد في كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ كما ورد التحذير من عدم الوفاء في نصوص شرعية متعددة . وقد أوجب بعض العلماء الوفاء بالوعد مطلقاً بينما أوجب آخرون الوفاء به إذا كان في ذلك نفعٌ للموعود .

الخصلة الثالثة من خصال النفاق : الفجور في الخصومة وهذا يعني أن المنافق إذا اختلف مع شخص في قضية أوٍ كانت بينه وبين ذلك الشخص خصومة فإنه يخرج عن الحق عمداً ، ويتجاوز الحدود المسموح بها في النقاش والمخاصمة بطريقة تقود إلى الفجور والكذب والتعدي على الآخرين. ولهذا ورد في الصحيحين قول النبي ﷺ " إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ."

الخصلة الرابعة : الغدر بالعهد ، أي لم يف بالعهد مخالفاً أمر الله سبحانه وتعالى حيث قال : " وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ، "(الإسراء ٣٤) . وقد أوردت السنة التحذير من الغدر وأن الغادرين يفضحون يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ، حيث ورد في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: " لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به ." وقد أوجبت الشريعة الوفاء بالعهود للمسلمين وغيرهم ، وحرمت نقض العهود خاصة نقض عهد الإمام بعد مبايعته .

الصفة الخامسة من صفات المنافقين : خيانة الأمانة . فالإسلام حض على أداء الأمانة وحذر من الخيانة ، قال تعالى : " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ،" (النساء ٥٨) . وقال الرسول ﷺ " أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ." وقد ورد تعظيم خيانة الأمانة في حديث ابن مسعود الذي يرفعه إن " القتل في سبيل الله يكفر كل ذنب إلا الأمانة ... " .

ومن الجدير بالذكر أن خصال المنافقين ربما لا تكون محصورة في الخمس المذكورة في الحديث ولكن هذه الخمس هي أهمها . وأما صفات المنافقين فهي كثيرة تشمل كل شر وفساد في السلوك والاعتقاد. ومن أبرز صفات المنافقين الأخرى المكر والخديعة وغش المسلمين وغيرها كما يشير إلى ذلك أبو العتاهية بقوله :

إن المكر والخديعة في النار ... وهما من خصال أهل النفاق

خامساً : الأحكام :

اشتمل هذا الحديث على عدد من الأحكام أهمها ما يلي :

١) أن للنفاق علامات ذكر الحديث أربعاً منها .
٢) التنفير من الكذب وإخلاف الوعد والفجور في الخصومة والغدر وخيانة الأمانة باعتبارها من أخلاق المنافقين .
٣) أهمية تحلي المؤمن بالأخلاق الفاضلة لأنها وثيقة الصلة بالإيمان .

٤) أن النفاق سلوك لئيم يتعارض مع الإيمان الصحيح ويؤدي إلى الإضرار بالفرد والمجتمع .

٥) أن على المسلم أن ينظر في نفسه وسلوكه لئلا يقع فيما حذر منه النبي ﷺ .

الحديث السادس والعشرون

مسؤولية الفرد

أولاً : النص :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " كلُّكم راع [1] وكلكم مسؤول [2] عن رَعِيَّته [3] : الإمامُ [4] راع ومسؤول عن رعيته ، والرجلُ [5] راع في أهله [6] ومسؤول عن رعيته ، والمرأةُ راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتها ، والخادمُ راع في مال سيده [7] ومسؤولٌ عن رعيته ، وكلُّكم راع ومسؤولٌ عن رعيته ." متفق عليه .

ثانياً : التخريج :

روى هذا الحديث الإمام البخاري برقم ٧١٣٨ في كتاب الأحكام وفي عدد من الكتب والأبواب الأخرى برقم ٢٤٠٩ ، ٢٥٥٤، ٥٢٠٠ وغيرها . كما رواه مسلم برقم ٤٧٢٤ في كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، والترمذي برقم ١٧٠٥ في كتاب الجهاد ، باب ما جاء في الإمام ، وأبو داود برقم ٢٩٢٨ في كتاب الخراج والفيء والإمارة ، باب ما يلزم الإمام من حق الرعية . وخرجه الألباني في عدد من كتبه ، منها سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٨٠ .

---

(١) من يعتني بالماشية ويحافظ عليها واستعير هنا لمن يهتم ويعتني بغيره.

(٢) مكلف ومطالب بحمايتها .

(٣) في الأصل الماشية التي ترعى وهي هنا ما يقع تحت المسؤولية .

(٤) الحاكم سواء كان الإمام العام أو أحد مسئوليه .

(٥) الزوج .

(٦) أسرته من زوج وأطفال ومن يعول .

(٧) إما مالكه أو مستأجره .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وقد سبق التعريف به في الحديث الرابع عشر.

رابعاً : الشرح :

نظم الإسلام شؤون المجتمع وحدد المسؤوليات المنوطة بكل فرد من أفراده وذلك لضمان حسن سير الحياة اليومية وإغلاق الباب على أسباب الفوضى وضياع الحقوق . ولا شك أن كل إنسان له حقوق وعليه واجبات لو التزم الجميع بأدائها لسارت أمور المجتمعات على خير وجه . ولكن الغالب أن الناس يحرصون على الحصول على حقوقهم وينسون – أو يكادون ينسون – حقوق الآخرين مما يقود إلى الخصام والمشاكل التي غالباً ما تشغل المحاكم ، وعدداً من أفراد المجتمع عن التفرغ للأمور المفيدة التي تعود على الجميع بالفائدة والنفع . ولذا حرص الإسلام أن يحدد لكل إنسان واجباته ويطالبه بالقيام بها على أحسن ما يكون القيام ، وإذا فعل ذلك بجد وإخلاص فقد وعده الله الأجر والثواب ، وحسن الثناء في الدنيا والآخرة . ومن هذا المنطلق يؤكد الرسول الكريم ﷺ في خطابه لجميع أفراد الأمة المسلمة أن كل إنسان صاحب مسئولية ومهمة في هذه الحياة ، وأنه سوف يسأل عن هذه المسئولية ، وعن مدى قيامه بالمهمة على الوجه المطلوب بحيث يجازي المحسن ويعاقب المسيء . وبعد أن أعطى الرسول الكريم ﷺ توجيهاً عاماً وتأكيداً شمولياً بأن الجميع مسئول عن تأدية مهمتهم بدأ بقمة هرم المجتمع المسلم وهو الحاكم وبين أنه مسئول عن أفراد المجتمع كافة . وبالتالي فمسئوليته عظيمة ومهامه جسيمة ، ولكن ما دام قد قبل أن يتحمل عبء الحكم فلابد من القيام بما يترتب على ذلك من مهام . وقد ورد الكثير من النصوص الشرعية التي تبشر الحاكم العادل والإمام المراعي لمصالح رعيته بالأجر والثواب الجزيل، كما وردت نصوص أخرى تنذر من يتولى أمور المسلمين ثم يتهاون بأدائها بالويل والثبور وعظائم الأمور .

ومن الجدير بالذكر أن الإمام يمكن أن تشمل الرجل الأول في الدولة ، كما تشمل من هم تحته من المسئولين . بعد ذلك تدرج الرسول الكريم ﷺ في ذكر أمثلة المسئولين من ذوي المهام ، فذكر الرجل أو الزوج وأنه هو المسئول عن إدارة شئون الأسرة ، وهو صاحب القوامة الذي لا يكتفي بتوفير المطعم والملبس ولكن الرعاية والتوجيه والتأديب بآداب الإسلام . ولم ينس الرسول الكريم ﷺ أن المرأة صاحبة مسئولية في بيت زوجها من حيث العناية بالزوج والأولاد وتدبير شئون الأسرة بما فيه مصلحة الجميع، وحسب توجيهات الزوج السليمة. وحتى تكتمل منظومة المسئولية يذكر الرسول الكريم ﷺ أن الخادم أيضاً مسئول عن مال سيده أو من استأجره بالحفاظ عليه وحسن رعايته وتصريفه بما فيه مصلحة المال ومصلحة صاحبه حسب الأسس السليمة المرعية في المجتمع المسلم .

وقد ختم الرسول الكريم ﷺ توجيهه في هذا الحديث بإعادة ما قاله في البداية من باب التأكيد على الموضوع بأن الجميع صاحب مهمة وصاحب مسؤولية ، وسوف يسأل عن أدائه لمهمته التي نيطت به، وسوف يكون جزاؤه حسب الأداء الذي قام به في سبيل تنفيذ ما نيط به من مسؤولية . ومن الجدير بالملاحظة أن الرسول الكريم ﷺ سمى كل واحد من أصحاب المسئوليات المذكورين في الحديث " راعيا " على الرغم من تفاوت مسؤولياتهم أهمية وشمولاً ، واختلاف مواقعهم الاجتماعية ، وذلك إشعاراً بقيمة كل فرد من أفراد المجتمع المسلم ، وخطورة المهمة الملقاة على عاتق أفراده الذين يتولون المسؤولية في قطاعاته المختلفة. فينبغي على كل صاحب مسؤولية أن يقدر أهمية ما نيط به من عمل ، ويعتبر القيام به ضرورة من مستلزمات النهوض بالمجتمع كله من خلال أداء المسؤولية بدءاً بالحاكم وانتهاءً بالخادم لأن كل واحد منهما يكمل الآخر ، ولابد من تضافر جهود الجميع لينعم المجتمع بالرخاء الاقتصادي ، والنماء الاجتماعي والاستقرار السياسي ، ويظهر جمال الإسلام وكماله من خلال قيام كل واحد بواجبه .

خامساً : الأحكام :

أفاد هذا الحديث جملة من الأحكام أوجزها بما يلي :

١) أن كل فرد من أفراد المجتمع المسلم صاحب مسئولية وسوف يحاسب على أداء هذه المسئولية .
٢) أن الحاكم المسلم مسئول عن أفراد شعبه كلهم ومطالب بأن يوفر لهم الأمن والرخاء وكل متطلبات إقامة المجتمع المسلم .
٣) تحديد مسئولية الزوج بالقوامة على الأسرة وتوفير لوازم الرعاية لأفرادها كافة .
٤) أن المرأة المسلمة مسئولة عن إدارة شئون بيت زوجها وخدمته ورعاية الأولاد والتعاون مع الزوج على أداء مهمتها كما يجب .
٥) أن الخادم أو الأجير المسلم مطالب بالحفاظ والرعاية لأموال من استأمنه عليها بما فيه الخير للمال وصاحبه .
٦) أن المسئوليات في المجتمع المسلم وإن اختلفت أهمية وشمولاً متكاملة ويؤدي القيام بها إلى صلاح البلاد والعباد وخير المجتمع المسلم .

الحديث السابع والعشرون

شُعب الإيمان

أولاً : النص :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " الإيمانُ [١] بضْعٌ [٢] وسبعون أو بضْعٌ وستون[٣] شُعْبة[٤] : أفضلُها[٥] قولُ " لا إلهَ إلا الله " وأدناها[٦] إماطةُ [٧] الأذى[٨] عن الطريق ، والحياءُ [٩] شعبةٌ من الإيمان ." متفق عليه وهذا لفظ مسلم .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري برقم ٩ في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان ، ورواه مسلم برقم ١٥٣ في كتاب الإيمان أيضاً ، باب بيان عدد شعب الإيمان ، والترمذي برقم ٢٦١٤ والنسائي برقم ٥٠٠٨ في كتاب الإيمان أيضاً ، باب ذكر شعب الإيمان ، ورواه أبو داود برقم ٤٦٧٦ في كتاب السنة ، باب رد الإرجاء ، وأخرجه بن ماجة برقم ٥٧ في المقدمة . وقد ورد الشك في عدد شعب الإيمان في معظم كتب الحديث . ورجح بعضهم رواية البخاري أي " بضع وستون".

---

(١) الاعتقاد والتصديق .
(٢) من ثلاث إلى تسع .
(٣) شك من الراوي .
(٤) فرع أو جزء .
(٥) أعلاها وأحسنها .
(٦) أقلها مرتبة .
(٧) إزالة وإزاحة
(٨) ما يعوق الناس ويؤذيهم .
(٩) الحشمة وهي صفة تقوم في النفس فتمنعها من فعل ما يعاب ويندم عليه .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل أبو هريرة وقد سبقت ترجمته في الحديث الثامن .

رابعاً : الشرح :

يشكل الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره الأساس الاعتقادي الذي بني عليه الإسلام . ولكن هذا الاعتقاد النظري له مظاهر سلوكية وعملية لا يتم الإيمان الاعتقادي إلا بها . ولا شك أن التعريف المشهور الذي يورده علماء الإسلام بأن الإيمان: " اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان " هو من أشمل التعاريف للإيمان الذي يشير إلى مكوناته الرئيسة الثلاثة . وقد أكد العلماء أن الإيمان النظري دون العملي غير كاف بل شبهوه بالشجرة التي لا ثمر لها .

ومن منطلق هذا المفهوم ذكر الرسول الكريم ﷺ أن الإيمان يتكون من بضع وسبعين شعبة أو خصلة أعلاها كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " التي يدخل بها الإنسان بوابة الإسلام . وكلمة التوحيد تمثل أهم الجوانب الاعتقادية في الإيمان . أما بقية الشعب فتشتمل على أركان الإسلام الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من الأعمال الصالحة مثل الصدق والأمانة وإكرام الضيف والوصية بالجار وإفشاء السلام وإطعام الطعام حتى يصل الأمر إلى إزالة ما يؤذي المسلمين من الطريق العام . هذا بالإضافة إلى أركان الإيمان نفسها التي ترتبط بالاعتقاد النظري .

وبعد أن ذكر الرسول ﷺ أفضل درجات الإيمان وأعلاها وأدنى درجات الإيمان وأقلها ذكر مثالاً آخر هو الحياء بقوله " والحياء شعبة من الإيمان ." والحياء هو التحلي بالحشمة والاستحياء من الله ومن الناس من أن يفعل الإنسان ما يعاب به من الأعمال السيئة . وقد أثنى الرسول ﷺ في الحديث المتفق عليه على الحياء بالإضافة إلى كونه من

الإيمان فقال " الحياء لا يأتي إلا بخير" . كما بين أن غياب الحياء طريق إلى الوقوع في الشر وعدم التورع عن ارتكاب المعاصي . ولذا قال ﷺ : " إذا لم تستح فاصنع ما شئت ." وهذه الحقيقة يؤكدها العرف الذي يصف الإنسان الذي يجتري على فعل المنكرات واقتراف المحرمات بأنه " لا يستحي ".

لا شك أن الإيمان نعمة كبيرة وهو يأتي في الدرجة العالية بعد الإسلام ولا يتجاوزه في المرتبة إلا الإحسان الذي يعتبر قمة ما يمكن أن يصل إليه المسلم . وحقيقة الأمر أن الإيمان يجمع عقائد الإسلام وأعماله التي تصل بالمسلم ، عندما يقوم بها على الوجه الأكمل ، إلى درجة الإحسان .

خامساً : الأحكام :

أفاد هذا الحديث جملة من الأحكام أهمها :

١) أن الإيمان يتكون من شعب كثيرة ذكر الحديث أنها بضع وسبعون . وقد لا يفيد هذا العدد التحديد بقدر ما يفيد الكثرة .
٢) أن أفضل الأعمال قول " لا إله إلا الله " ، كلمة التوحيد .
٣) أن الأعمال التي يقوم بها الإنسان ابتغاء مرضاة الله وخدمة المسلمين هي من شعب الإيمان مثل إزالة الأذى عن الطَريق .
٤) عظم شأن الحياء حيث أفرده الرسول ﷺ بالثناء والذكر وبين أنه من الإيمان .
٥) أن الإيمان قول واعتقاد وعمل وأن الأعمال الصالحة من صميم الإيمان .

الحديث الثامن والعشرون

سنن الفطرة

أولاً : النص :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " عَشرٌ[1] من الفِطْرة[2] : قصٌّ[3] الشاربِ[4] ، وإعفاءُ[5] اللحيةِ[6] ، والسواكُ[7] ، واستنشاقُ[8] الماءِ، وقصٌّ[9] الأظفار ، وغسلُ البراجم[10]، ونتفُ الإبطِ[11]، وحلْقُ العانةِ[12]، وانتقاصُ[13] الماءِ . قال الراوي : ونسيتُ العاشرةَ إلا أن تكون المضمضة[14] ." رواه مسلم .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم برقم ٦٠٤ في كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة ، ورواه أبو داود برقم ٥٣ في كتاب الطهارة أيضاً ، باب السواك من الفطرة ، والنسائي برقم ٥٠٤٣ في

---

(١) أي عشر خصال .
(٢) الأمور الحسنة التي جبل عليها الإنسان .
(٣) حلق أو تقصير .
(٤) الشعر النابت على الشفة العليا .
(٥) توفيرها وإطلاق شعرها .
(٦) الشعر النابت على الذقن والصدغين .
(٧) أي استعمال عود الأراك أو غيره لتنظيف الأسنان .
(٨) إيصاله إلى أعلى الأنف ثم نثره.
(٩) تقليم الأظافر واستئصال ما زاد عن اللحم .
(١٠) عقد الأصابع واحدتها برجمة .
(١١) إزالة الشعر الذي تحت مفصل الكتف .
(١٢) الشعر النابت حول العضو التناسلي .
(١٣) الاستنجاء أي غسل الدبر والقبل بالماء .
(١٤) تحريك الماء في الفم ثم إخراجه .

كتاب الزينة ، باب من سنن الفطرة ، والترمذي برقم ٢٧٥٧ في كتاب الأدب ، باب ما جاء في تقليم الأظفار . وقد خرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٤٠٠٩ .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما . تزوجها الرسول ﷺ في مكة وعمرها ست سنوات ، ودخل بها في المدينة في السنة الثانية من الهجرة وهي ابنة تسع سنوات وتوفي عنها الرسول ﷺ وعمرها ثماني عشرة سنة . والسيدة عائشة من أعلم النساء وأفقههن ليس بالشريعة فحسب بل بالشعر والطب واللغة وأنساب العرب وأيامهم . وكان كثير من الصحابة يرجع إليها لمعرفة سنة النبي الكريم ﷺ في بعض الأمور ، وقد ألف الزركشي كتاباً سماه **الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة** ذكر فيه بعض استنباطاتها واجتهاداتها الفقهية . وهي من المكثرات رواية عن الرسول ﷺ ، حيث روت لها كتب الحديث ٢٢١٠ أحاديث. وقد عاشت أربعين سنة بعد وفاة الرسول ﷺ وتوفيت عام ٥٧هـ . وقد ورد حديث مكذوب نسب إلى الرسول ﷺ : " خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء ." وافترى عليها ابن أبي سلُول رأس المنافقين حادثة الإفك فبرأها الله بقرآن يتلى عبر العصور . وفيها يقول حسان رحمه الله بعد أن خاض مع الخائضين في قصة الإفك :

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنٌ بريبةٍ   وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحومِ الغَوافِلِ

رابعاً : الشرح :

الإسلام دين شامل لكل أمور الدنيا والآخرة . وقد اهتم بالجانب الصحي كما اهتم بأمور العقائد والاجتماع والاقتصاد وكل ما فيه صلاح البلاد والعباد . ومن هنا يخبر الرسول الكريم ﷺ بأن هناك عشر خصال تعتبر من أمور الفطر السليمة ، والأخلاق القويمة التي ينبغي أن يحافظ عليها الإنسان لأن فيها الخير له ولمجتمعه ، ولأن

ممارستها دلالة على ارتقاء الإنسان في سلم الإنسانية ، وارتفاع مستواه الحضاري وتأكيد لتمدنه ، واستفادته من التوجيهات الربانية .

وهذه الأمور العشرة التي تعد من سمات الفطرة السليمة هي قص شعر الشارب أو تقصيره بحيث لا يقع في طعام الإنسان وشرابه ، ولا يعترض مدخل فمه ، ويكون مأوى لبقايا الطعام والشراب . وقد ورد الحث على ذلك في أكثر من حديث من أحاديث المصطفى الكريم إما بلفظ القص أو الحف وهو تقصير دون القص أو الحلق . وكره بعض العلماء حلق الشارب تماماً وسماه مُثلة. وبقدر الحث على حلق الشارب ورد الأمر بإعفاء اللحية وتوفيرها وعدم التعرض لها بحلق أو تقصير . وقد أوجب أكثر العلماء إعفاء اللحية واعتبر حلقها حراماً ومن الأمور المخلة بالعدالة .

وأما الأمر الثالث من أمور الفطرة فهو السواك . وقد حث الرسول ﷺ على استعمال السواك في الحديث الصحيح الذي رواه النسائي وغيره فقال : " السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب ، " كما قال في حديث آخر متفق على صحته : " لولا أن أشق على أمتي – أو على الناس - لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة ، " وذلك لما في السواك من تنظيف للفم وحفاظ على الأسنان . والسواك دعا إليه الإسلام منذ القدم قبل أن يعرف العالم فرشة الأسنان أو يخترع المعاجين المختلفة . ويندب استعمال السواك عند الوضوء والصلاة وقراءة القرآن . وقد أثبتت الدراسات الطبية المعاصرة أن عود الأراك المستعمل في السواك فيه فوائد طبية لا تكاد تتوفر في غيره . وسعياً لنظافة الفم وما حوله من الأنف والخياشيم دعا الإسلام إلى الاستنشاق والمبالغة فيه في الوضوء لغير الصائم وذلك لأن الأنف مكان لتجمع القاذورات الداخلية والخارجية ، فلابد من تعاهده بالتنظيف وإدخال الماء إلى داخله ونثره أكثر من مرة حتى تتم نظافته.

الأمر الخامس من خصال الفطرة قص الأظافر بحيث تبقى في مستوى لحم الأصابع ولا تزيد . وقد ورد االحث على تقليم الأظافر في الشرع الحنيف لأنها منطقة يمكن أن تستكن تحتها الجراثيم والقاذورات ، بل قد تتكون من ذلك طبقة تمنع وصول الماء إلى ما تحتها وهذا لا شك يخل بتمام الوضوء . ولذا فقص الأظافر وتنظيف ما تحتها مظهر من مظاهر النظافة والتحضر السليم خاصة وأن الإنسان يستعمل يديه في الأكل فلابد من المحافظة على أظافره مقصوصة ونظيفة خصوصاً بعد أن يستعمل يديه في الاستنجاء وحك جلده وفي نثر أنفه وغير ذلك من الاستعمالات التي تستدعي غسل اليدين وتقصير الأظفار وتعاهدها بالنظافة . ومن منطلق نظافة اليدين ورد الأمر في هذا الحديث بغسل مفاصل الأصابع وعقدها التي غالباً ما تحمل بين طياتها بعض الوسخ بحيث تبدو أكثر خشونه من غيرها . والأمر السادس من أمور الفطرة نتف شعر الإبط، وهو الشعر الذي يوجد تحت مفصل الكتف . وهو شعر ناعم يمكن نتفه دون الحاجة إلى استعمال مقص أو موسى . والمهم إزالته بأي وسيلة يراها المرء مناسبة له بحيث لا يترك في الإبط شعرا لأن تركه يجعله منطقة للأوساخ والعرق وبالتالي قد ينتج عن ذلك بعض الروائح الكريهة . وحتى تكتمل إجراءات النظافة الجسدية حث الإسلام على حلق العانة وهي الشعر الذي ينبت حول العضو التناسلي أو على القبل والدبر . وهذا الشعر قد يصبح خشناً يحتاج إلى الحلق بأداة حادة أو الإزالة بمزيل قوي . ومن أجل هذا عبر الرسول الكريم ﷺ عن ذلك بالحلق وفي حديث آخر بالاستحداد أي استعمال حديدة حادة في إزالته كالمقص والشفرة وغيرهما . وفي إطار الحرص على تنظيف المناطق الخفية في جسم الإنسان التي غالباً ما تكون مناطق تجمع الأوساخ ومصدر للروائح الكريهة ، أمر الإسلام بالاستنجاء وهو ما عبر عنه الحديث بانتقاص الماء . ويتأكد الاستنجاء بعد استعمال الخلاء وخروج براز أو بول . وقد بالغ الإسلام في نظافة المخارج الطبيعية في الإنسان بحيث رغب في الاستجمار وهو التنظيف بطاهر ناشف واتباع ذلك بالاستنجاء وهو الغسل بالماء لإزالة أي متخلفات قذرة في تلك

المناطق. ويدرك الإنسان أهمية حرص الإسلام على نظافة المناطق التي ذكرها الحديث والحكمة وراء الحرص على ذلك عندما يلاحظ أن الذين لا يفعلون ذلك من غير المسلمين تظهر عليهم ملامح مخالفة الفطرة السليمة من عدم قص الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة فتنتشر روائحهم رغم مبالغتهم في الاستحمام واستعمال مزيلات الروائح ، ومع ذلك لا يكاد يتحمل الإنسان الجلوس قريباً من أحدهم نتيجة مخالفته لتلك الأمور الفطرية الصحية التي تحافظ على صحة الجسم وتظهره بالمظهر الذي يسر النظر والأنف . أما الخصلة العاشرة من خصال الفطرة فقد شك راوي الحديث في تحديدها ويظن أنها قد تكون المضمضة وهو تحريك الماء في الفم لتنظيفه ثم إخراجه . ولا شك أن المضمضة أحد الأمور التي حث عليها الإسلام أثناء الوضوء وغيره وخاصة بعد الطعام . وقد أمر الرسول ﷺ بالمبالغة بها وبالاستنشاق سعياً وراء تنظيف منطقة الفم . وتتأكد المضمضة عند الوضوء وبعد الطعام لتنظيف الفم من بقاياه ومع السواك وعند تغير رائحة الفم .

وقد تكون الخصلة العاشرة التي شك فيها الراوي هي الختان حيث ورد ذلك في حديث آخر ذكر الرسول ﷺ فيه خمساً من الفطرة: الختان وأربع مما ورد في هذا الحديث . والختان هو قطع الجلدة الرقيقة المحيطة برأس الذكر بحيث يبرز رأس الذكر بعد قطعها . ورغم أن بعض العلماء يرى الختان واجباً فإنه لا يعدو أن يكون أحد سنن الفطرة . وقد أثبتت الدراسات الطبية والتجارب العملية أن الختان حماية للذكر من الأمراض التي قد تنتج عن الأوساخ ويمكن أن تتجمع في الغلفة إذا لم تقطع . وقد ورد الحض عليه في الأديان السماوية التي سبقت الإسلام وثبت أن أنبياء الله اختتنوا.

وهكذا يظهر من هذا الحديث حرص الإسلام على النظافة الجسمية ودعوته أتباعه إلى كل ما فيه الحفاظ على صحتهم وأن يكون المسلم نظيفاً سليماً في عقيدته وسلوكه وجسمه .

خامساً : الأحكام :

اشتمل هذا الحديث على عدد من الخصال المتعلقة بالنظافة وحسن المظهروعلى عدد من الأحكام منها :

١) ضرورة حف الشارب وتقصيره .
٢) وجوب إعفاء اللحية وإكرامها .
٣) استحباب استعمال السواك وتنظيف الفم .
٤) الحرص على المضمضة والاستنشاق والمبالغة فيهما لغير الصائم .
٥) الحرص على غسل عقد الأصابع وما يلحق بها من معاطف البدن التي تتجمع فيها الأوساخ مثل داخل الأذنين وخلفهما وغير ذلك .
٦) ضرورة الاستنجاء والاستجمار ويتأكد ذلك بعد البول والبراز عند الوضوء .
٧) وجوب الختان وهو سنة قديمة حيث ورد أن إبراهيم عليه السلام اختتن وعمره فوق ثمانين سنة .
٨) وجوب إزالة شعر العانة والإبط ويكره تأخير ذلك عن أربعين يوماً.
٩) وجوب تقليم الأظافر بحيث لا تزيد عن اللحم .
١٠) أن الإسلام دين الفطرة الذي تتقبله النفوس السليمة ويدعو إلى كل خير فيه صلاح الأفراد والمجتمعات.

الحديث التاسع والعشرون

أركان الإسلام والإيمان وعلامات الساعة

أولاً : النص :

عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذاتَ يوم ، إذ طلع[١] علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثيابِ ، شديدُ سوادِ الشَّعَرِ لا يُرى عليه أثرُ السفرِ ، ولا يعرفه منا أحدٌ حتى جلس إلى النبيِّ ﷺ فأسند[٢] ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فَخِذَيه[٣] ، وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام[٤] . فقال رسول الله ﷺ : " الإسلامُ أن تشهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ ، وأن محمداً رسولُ اللهِ ﷺ ، وتقيمَ الصلاةَ ، وتؤتيَ الزكاةَ ، وتصومَ رمضانَ ، وتحجَّ البيتَ إن استطعت إليه سبيلاً ." فقال : صدقتَ . قال فعجبنا[٥] له يسأله ويصدِّقه . قال : فأخبرني عن الإيمانِ [٦] . قال "أن تؤمنَ باللهِ وملائكته وكتبه ورسله واليومِ الآخرِ، وتؤمنَ بالقدرِ خيره وشره ." قال: صدقتَ. قال : فأخبرني عن الإحسان[٧]. قال : " أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه فإن لم تكنْ تراه، فإنه يراك."قال : فأخبرني عن الساعةِ [٨]. قال "ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل. " قال: فأخبرني عن أماراتها[٩]. قال: " أن تلدَ الأمَةُ ربَّتَها[١٠]، وأن

---

(١) خرج علينا فجأة .
(٢) وضع .
(٣) أي فخذي نفسه كهيئة المتعلم أو فخذي الرسول ﷺ .
(٤) الاستسلام لله .
(٥) أي استغربنا يسأل سؤال العارف المحقق المصدق .
(٦) التصديق .
(٧) الإتقان .
(٨) يوم القيامة .
(٩) علاماتها .
(١٠) أن تلد المملوكة لسيدها ومالكها ولداً أو بنتاً فيصبح المولود سيدها أو سيدتها .

تـرى الحُفَـاة العُـرَاة ، العَالـة [1] ، رعَـاءَ الشـاءِ [2] ، يـتطاولون فـي البُنيان [3] ." قال ثم انطلق. فلبثت ملياً [4] . ثم قال لي : " يا عمر أتـدري مَـنِ السـائلُ ؟ " قـلت : اللهُ ورسـولُه أعـلمُ ، قـال : "فإنـه جبريلُ أتاكم يعلّمكم دينكم ." رواه مسلم واللفظ له .

ثانياً : التخريج :

أخـرج هـذا الحديـث أصـحاب الـكـتب السـتة مـا عـدا الإمـام البـخاري . فقـد أخـرجه مسـلم بـرقم ٩٣ في كـتاب الإيمـان، بـاب بيـان الإيمـان والإسـلام ... ، وأبـو داود بـرقم ٤٦٩٥ في كـتاب السنة ، باب في القـدر ، والترمـذي بـرقم ٢٦١٠ في كـتاب الإيمـان ، بـاب مـا جاء في وصـف جـبريل للـنبي ﷺ الإيمـان والإسـلام ، والنسـائي بـرقم ٤٩٩٣ في كـتاب الإيمـان وشـرائعه ، بـاب نعـت الإسـلام ، وابـن ماجة برقم ٦٣ في المقدمـة ، بـاب في الإيمـان . وغيرهـم كـابن خزيمة وابن حبان وأحمد في مسـنده . وقـد ضـمنه الـنووي في الأربعـين الـنووية وابـن رجـب الحنبلي في جامع العلوم والحكم .

ثالثاً : الراوي :

راوي هـذا الحديـث هـو عمـر بـن الخطـاب رضـي الله تعالى عنه وقد تقدمت ترجمته في الحديث الأول.

رابعاً : الشرح :

قـال ابـن دقيق العيد في شرح الأربعين النووية هـذا حديث عظيم قـد اشتمل على جميع وظائف الأعمال الظاهـرة والباطنة وعلوم الشـريعة كـلها راجعـة إليـه ومتشـعبة منه ، لما تضمنه من علم السنة. فهو كالأم

---

[1] الفقراء .
[2] أهل البادية وأشباههم .
[3] تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون ويتنافسون في البنيان .
[4] أي وقتاً طويلاً وقيل ثلاث ليال كما في رواية أبي داود وغيره .

للسنة ، كما سميت الفاتحة " أم القرآن" لما تضمنته من جمعها معاني القرآن . وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم : هو حديث عظيم الشأن جداً ، يشتمل على شرح الدين كله ولهذا قال النبيﷺ في آخره: " هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ." ومناسبة رواية الحديث كما وردت في صحيح مسلم أن يَحيى بن يَعْمَر قال إن أول من قال في القدر بالبصرة مَعْبد الجهني فانطلقتُ أنا وحُمَيد بن عبد الرحمن الحِمْيَري حاجَّيْنِ أو معتمرَيْنِ فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفِقَ لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي ، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ ، فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قِبَلَنا ناسٌ يقرأون القرآن ويتقفرون العلم (وذكر من شأنهم) وأنهم يزعمون أن لا قَدَرَ ، وأن الأمر أُنُفٌ . قال (أي عبد الله بن عمر) : فإذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أني بريءٌ منهم ، وأنهم بُرَآءٌ مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر ! لو أن لأحدهم مثلَ أحدٍ ذهباً فأنفقه ، ما قبل الله منه حتى يؤمنَ بالقدر . ثم ذكر حديث أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً الذي هو موضوعنا .

في الحديث أن جبريل عليه السلام أتى للرسول ﷺ وأصحابه في هيئة رجل لا يعرفه أحد من صحابة رسول الله ﷺ ، ولم يكن يبدو عليه أثر السفر . وجلس أمام الرسول ﷺ جلسة المتعلم واضعاً يديه على فخذيه كما في جلسة التشهد في الصلاة أو على فخذي النبي ﷺ إظهارًا للمحبة والقرب . وبدأ بسؤال الرسول ﷺ عن الإسلام فأجابه عليه الصلاة والسلام بأن الإسلام هو أداء الأركان الخمسة التي هي: الشهادتان ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا . وفي هذا إشارة إلى أن جميع الواجبات الظاهرة داخلة في مسمي الإسلام ، وأن من أكمل الإيمان بها صار مسلماً حقاً ، كما في حديث عبد الله بن عمر في الصحيحين : " بني الإسلام على خمس : شهادةِ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ، وإقامِ الصلاة ، وإيتاءِ الزكاة ، وحجِّ البيت ، وصومِ رمضان ." وأما

مسمى الإيمان كما ورد في هذا الحديث فقد أطلق على الأعمال الباطنة التي أساسها الإيمان بالله وهو: الإقرار بربوبيته وألهيته ، والإيمان بالملائكة الذين هم خلق من نور خلقوا لعبادة الله تعالى . والإيمان بالكتب وهو التصديق بها وأن الله أنزلها على رسله لهداية البشر ، وأعظمها التوراة والإنجيل والقرآن ، وأعظم الثلاثة القرآن . والإيمان بالرسل التصديق بهم جميعاً من سمى الله منهم في القرآن الكريم ، ومن لم يسم ، من أولهم نوح عليه السلام إلى أخرهم وخاتمهم نبينا محمد ﷺ . والإيمان باليوم الآخر يعني التصديق بيوم القيامة وبكل ما يكون بعد الموت مما أخبر به الله ورسوله من عذاب القبر، ونعيمه والبعث والحشر والحساب والصراط والجنة والنار . والإيمان بالقدر هو الإيمان بأن الله قد علم كل شيء ، ما كان وما يكون ، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ .

ثم عرفَّ الرسول ﷺ الإحسان بأنه استحضار قرب الله تعالى من العبد وأنه بين يديه كأن العبد يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ، وإن شق تصور ذلك على العبد فيستعين على تحقيق ذلك بإيمانه بأن الله يراه ويطلع على سره وعلانيته .

ولما سئل الرسول ﷺ عن وقت الساعة بين أنه يجهلها وأنه ليس بأعلم بها من السائل جبريل . وفي ذلك إشارة إلى أن الله استأثر بعلمها، يقول الله تعالى :" يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ." (الأعراف ١٨٧) . ثم بين الرسول ﷺ أن من علاماتها التي تدل على اقترابها أن تلد الأمة سيدها إشارة إلى فتح البلاد وكثرة جلب الرقيق فتكون الأمة مملوكة لسيدها وأولادها منه بمنزلة السيد والسيدة لها . والعلامة الثانية أن يتفاخر ويتنافس فقراء القوم وأراذلهم ، الحفاة رعاء الشاء أهل الجهل والجفاء بطول البنيان وزخرفته، دلالة على أن أسافل الناس وفقرائهم يصيرون الرؤساء وتكثر أموالهم . وفي الحديث الصحيح : " إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ." وفي مستدرك الحاكم : " إن من أشراط الساعة أن يوضع الأخيار وترفع الأشرار ."

وقد بين الحديث ثلاث مراتب للدين هي : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان . وإذا أفرد كل من الإسلام والإيمان دخل فيه الآخر ، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر . أما إذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقي . والإسلام والإيمان يجتمعان ويفترقان ، وكلُ مؤمن مسلم وليس كلُ مسلم مؤمناً ، فالإيمان قول وعمل ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . ومقام الإحسان أعلى درجات الإيمان .

وبعد هذه الحادثة بفترة ليست بالطويلة أخبر الرسول ﷺ صحابته عن حقيقة ذلك الزائر السائل بأنه جبريل عليه السلام جاء ليعلم المسلمين أمور دينهم .

خامساً : الأحكام :

دل هذا الحديث على جملة من الأحكام منها :

١) ظهور جبريل عليه السلام للرسول ﷺ والصحابة الكرام بصورة رجل .
٢) أدب جبريل عليه السلام في كلامه مع الرسول وجلوسه بين يديه وسؤاله سؤال العارف المحقق .
٣) بيان معنى الإسلام وأنه أداء الأركان الخمسة ، ومعنى الإيمان وأنه الاعتقاد بأركانه الستة ، معنى الإحسان ، وهو تمام الإخلاص كأن العبد يرى الله فإن لم يقدر على ذلك فليذكر أن الله يشاهده في كل صغيرة وكبيرة .
٤) أن الإسلام يشمل الإيمان إذا ورد منفرداً كما يشمل الإيمان الإسلام حال انفراده أيضاً . أما إذا قرن بينهما فكل يعني أصل معناه .
٥) أن الإحسان مرتبة أعلى من الإيمان . كما أن ليس كل مسلم مؤمناً فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .
٦) استئثار الله تعالى بعلم الساعة فلا أحداً سواء أكان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو غيرهما يعلم وقتها .

٧) أن من علامات قرب الساعة كثرة التسري ، فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها أو قد يعني أن يبيع السادة أمهات أولادهم فربما اشتراها ولدها ولا يشعر بذلك ، وربما يعني أيضاً كثرة العقوق في الأولاد فيعامل الولد الأم معاملة السيد أمته .

٨) من علامات الساعة أيضاً أن يتباهى ، ويتنافس الفقراء رعاء الغنم ، بالبنيان ويتولى الأمر أراذل الناس.

٩) فضل الله بإرسال الله جبريل للناس ليعلمهم أمور دينهم .

١٠) أدب الصحابة حيث لم يسألوا عن الرجل حتى عرَّف الرسول ﷺ به ، وأدب عمر بن الخطاب رضي الله عنه خاصة في الرد على الرسول ﷺ حين سأله الرسول ﷺ إن كان قد عرف السائل فرد : الله ورسوله أعلم .

الحديث الثلاثون

من فضائل الأعمال

أولاً : النص :

عن أبي مالكٍ الأشْعَريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ :"الطَّهُورُ[1] شَطرُ [2] الإيمانِ [3] والحمدُ للهِ [4] تَملأُ [5] الميزانَ [6] وسُبحانَ اللهِ [7] والحمدُ للهِ تملآنِ (أو تملأ) ما بينَ السماواتِ والأرضِ، والصلاةُ نورٌ [8]، والصدقةُ بُرهانٌ [9]، والصَّبْرُ ضياءٌ [10]، والقرآنُ حُجَّةٌ [11] لكَ أو عليكَ . كلُّ الناسِ يغدو[12] فبايعٌ [13] نفسَه فمُعتِقُها[14] أو مُوبِقُها [15] ." رواه مسلم واللفظ له .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث رواه الإمام مسلم برقم ٥٣٤ في كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، ورواه الترمذي برقم ٣٥١٧ في كتاب الدعوات والنسائي برقم ٢٤٣٩ في كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة . وقد خرَّج هذا الحديث النسائي وابن ماجة من رواية معاوية بن سلام ، عن

---

[1] الوضوء .
[2] نصف .
[3] الصلاة .
[4] الثناء على الله وشكره على نعمه .
[5] تثقل في الميزان .
[6] ميزان الأعمال يوم القيامة .
[7] تنزيه الله وتقديسه .
[8] يستضاء بها حيث تنهى عن المعاصي أو تكون نوراً لصاحبها يوم القيامة .
[9] حجة على إيمان فاعلها .
[10] نور لصاحبه يستمر به على الصواب .
[11] مدافع عن تاليه .
[12] يسعى .
[13] مقدم نفسه لله بالطاعة .
[14] من عذاب جهنم .
[15] أي مهلكها .

أخيه زيد بن سلام ، عن جده أبي سلام عن عبد الرحمن بن غنم بن أبي مالك . فزادا في إسناده عبد الرحمن بن غنم الذي لم يذكر في تخريج مسلم والترمذي . وفي رواية النسائي وابن ماجة بعض المخالفة لألفاظ حديث مسلم والترمذي ، كما خرَّج الإمام أحمد سياق مسلم . وقد خرجه الألباني في عدد من كتبه مثل شرح العقيدة الطحاوية برقم ٥٧٢ و صحيح الترغيب والترهيب برقم ١٨٤ وبتفصيل أكثر في تخريج أحاديث مشكلة الفقر برقم ٥٩ .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو الحارث بن عاصم الأشعري نسبة إلى قبيلة مشهورة في اليمن . قدم مع الاشعريين على النبي ﷺ ومع ذلك يُعَدّ من الشاميين . وقد توفي في خلافة عمر بن الخطاب . روى له أهل كتب الحديث ٢٧ حديثاً عن النبي ﷺ .

رابعاً : الشرح :

يبين الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث الذي هو أصل من أصول الإسلام فضائل بعض الأقوال والأعمال . كما يبين فضل القرآن الكريم وأنه يدافع عن أهله يوم القيامة . ويبين الحديث أن الوضوء نصف الصلاة حيث إنه شرط لصحتها . فالصلاة تكفر الذنوب بشرط إسباغ الوضوء كما في صحيح مسلم عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " ما من مؤمن مسلم يتطهر فيتم الطهور الذي كتب عليه فيصلي هذه الصلوات الخمس إلا كانت كفارة لما بينهن ." ثم يذكر بعد ذلك أن الحمد لله تملأ الميزان لعظم أجرها لأن في التحميد ثناء على الله وإثبات المحامد كلها له .

وأما سبحان الله والحمد لله فتملآن ما بين السماء والأرض . وهذا يحتمل أن الذي يملأ ما بين السماء والأرض هو مجموع التسبيح والتحميد ، وقد يكون المراد أن كلاً من التسبيح والتحميد يملأ ذلك الفراغ الواسع الشاسع . وعلى كل حال فالميزان أوسع مما بين السماء

والأرض، فما يملأ الميزان أكثر مما يملأ ما بين السماء والأرض ولكن الرسول الكريم ﷺ أورد ذلك إشارة إلى عظم أجرهما . وسبب عظم فضلهما ما اشتملتا عليه من الثناء على الله والتنزيه له والافتقار إليه سبحانه وتعالى . وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير. والصلاة نور لأنها تنير القلب والبصائر . ولهذا كانت قرة عين إمام المتقين ﷺ حيث قال : " جُعِلتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة ." والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . ولذا فهي نور ونجاة لصاحبها يوم القيامة ، كما أنها نور ظاهر على وجه صاحبها في الدنيا وفي الآخرة .

وأما كون الصدقة برهانًا فلأنها حجة على صحة الإيمان وطيب النفس وعلامة على الجود والاستعداد للتضحية بالمال في سبيل الله وطلب مرضاته . والصبر نور يهتدي به الإنسان في حياته اليومية حيث يقيه من عواقب الاستعجال ويجعله يتريث في الحكم على الأمور فيصيب الحق ويكسب الثواب . كما أن الصبر يخفف من آلام المسلم فيما يصيبه أو يواجهه من احباطات في الحياة الدنيا . والصبر المحمود بأنواعه الثلاثة هو الصبر على الطاعات ، والصبر عن المعاصي ، والصبر على المكاره من المصائب وغيرها .

وأما قوله ﷺ القرآن حجة لك أو عليك فدليل على أن القرآن ينتفع به صاحبه ويدافع عنه إذا قرأه وعمل بما فيه من الأوامر والطاعات واجتناب المناهي والتحذيرات ، ويكون خصماً له إذا لم يعمل به ، كما قال الله تعالى : " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ، " (الإسراء ٨٢) .

يوضح الرسول الكريم ﷺ حقيقة السلوك الإنساني بأن كل إنسانٍ يسعى في هذهِ الدنيا جهده ، ولكن نتائج السعي تختلف صواباً وخطأً ونجاحاً وفشلاً ، فمنهم من يبيع نفسه لله سبحانه وتعالى بتنفيذ أوامر الله والقيام بالطاعات والأعمال الصالحات واجتناب المنهيات ، فهذا قد أعتق نفسه من النار. ومنهم من يبيع نفسه للشيطان والهوى

بفعل المعاصي وبذلك يهلكها. قال الله تعالى : " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، " (التوبة ١١١) .

وهكذا يوضح هذا الحديث الشريف للمسلم فضل الوضوء والصلاة والتحميد والتسبيح والصدقة الخالصة لله سبحانه وتعالى . كما يبين له أن القرآن الكريم يدافع عن أهله التالين له الملتزمين بتعاليمه ، كما أنه يكون خصماً لمن لا يلتزم ويبقى وراءه حتى يقذفه في النار ، وقد لفت الرسول الكريم ﷺ إلى حقيقة سعي الناس في هذه الحياة وبين أنه لا يخرج عن بيع النفس لله سبحانه وتعالى أو بيعها للدنيا وشهواتها واتباع منهج الشيطان المؤدي إلى النار وسوء المصير .

خامساً : الأحكام :

اشتمل هذا الحديث على عدد من الأحكام أهمها ما يلي :

١) فضل الوضوء وأنه نصف الصلاة حيث لا تصح الصلاة إلا به .
٢) أن " الحمد لله " عظيمة الأجر فهي تملأ ميزان العبد يوم القيامة .
٣) أن "سبحان الله " مع الحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض .
٤) فضل الصلاة وأنها نور لصاحبها في الدنيا والآخرة ومنجاة له من عذاب الله .
٥) أن الصدقة الخالصة لله دليل على الإيمان والكرم والرغبة فيما عند الله .
٦) عظم شأن الصبر بأنواعه الثلاثة حيث إنه للإنسان ضياء ينير حياته في الدنيا والآخرة .
٧) وجوب العمل بما في القرآن حتى يكون حجة للإنسان لا حجة عليه .
٨) أن السعي في هذه الحياة كتب على ابن آدم وهو ما يوافق طبيعته البشرية ولكن الناس قسمان منهم من يشتغل بالطاعات فيبيع نفسه لله فيعتقها من عذاب جهنم . ومنهم من يشتغل بالمعاصي فيبيع نفسه للشيطان والهوى فيهلكها .

٩) رحمة الله بالناس حيث فتح لهم طرق الأجر والثواب بأبسط الأعمال كقول سبحان الله والحمد لله .

١٠) أن الإسلام قول وعمل ولا يكمل الإيمان إلا بتحري الفضائل والواجبات كالصلاة والصدقة والصبر وقراءة القرآن والعمل بما فيه .

١١) تخويف الله عباده من أن يهلكوا أنفسهم بالمعاصي وترغيبهم في جناته بفعل الطاعات .

الحديث الحادي والثلاثون

المسلم الفاعل

أولاً : النص :

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال : " علىٰ كلِّ مسلمٍ [1] صدقةٌ [2] ، قيل : أرأيتَ إن لم يَجِدْ ؟ قال : "يعملُ بيديه [3] ، فينفعُ نفسَهُ ويتصدَّقُ ، " قال : أرأيتَ إن لم يستطعْ ؟ قال : " يُعِينُ ذا الحاجةِ الملهوفَ [4] ." قال : قيلَ له : أرأيتَ إن لم يستطعْ ؟ قال: " يأمرُ [5] بالمعروفِ [6] ، أو الخير [7] ، " قال : أرأيتَ إن لم يفعلُ ؟ قال : " يُمسكُ [8] عن الشر [9] ، فإنها صدقة [10] ." أخرجه البخاري ومسلم .

ثانياً : التخريج :

أخرج هذا الحديث الإمام البخاري برقم ١٤٤٥ في كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة ، وفي كتاب الأدب برقم ٦٠٢٢، باب كل معروف صدقة ، وأخرجه الإمام مسلم برقم ٢٣٣٣ في كتاب الزكاة أيضاً ، باب أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف . وقد خرج هذا الحديث ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٥٧٣ .

---

[1] واجب على كل مسلم أن يؤدي الزكاة أو الصدقة المستحبة .
[2] يمكن أن تكون الزكاة أو مجرد الصدقة المشروعة المستحبة .
[3] أي يشتغل بعمل يدوي أو وظيفة .
[4] المتحسر والمضطر أو المظلوم .
[5] يقوم بواجب الدعوة إلى الخير .
[6] ما تعارف الناس على حسنه ؟
[7] كل فعل صالح فيه مصلحة مباحة .
[8] يمتنع .
[9] كل عمل فيه إضرار بالناس أو مخالفة شرعية .
[10] عمل صالح يعود عليه بالأجر والثواب .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري وقد سبقت ترجمته في الحديث الثالث.

رابعاً : الشرح :

المسلم شخص إيجابي يسعى لنفع نفسه ومجتمعه بكل الوسائل المستطاعة ، سواء أكان ذلك بالمال أم المعونة الجسمية أم بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ومن هذا المنطلق يؤكد الرسول الكريم ﷺ أن على كل مسلم صدقة ، وذلك يشمل الزكاة المفروضة كما يشمل مجرد الصدقة التي رغّب فيها الإسلام من خلال قول الرسول ﷺ الذي رواه الترمذي " إن في المال حقاً سوى الزكاة ." وحتى عندما لا يكون لدي المسلم ما يزكيه أو يتصدق به فإنه مطالب أن يعمل ويبحث عن وظيفة تدر عليه دخلاً يعيش منه ويتصدق بما يزيد عن حاجته .

وقد ورد الحث على العمل والأكل من كسب اليد في أكثر من حديث من أحاديث الرسول ﷺ . وإذا لم يستطع العمل أو لم يجده فيجب عليه أن يبحث عما يعوض عن الصدقة وهو إعانة المحتاج ونصرة المظلوم وتخفيف آلام المتحسر والمضطر .

وإذا لم يستطع هذا فعليه أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر ، ويسعى لإشاعة الخير بين أفراد المجتمع بحيث يكون عنصر إصلاح وأداة لتحسين المجتمع . وإذا وصل الأمر بالمسلم إلى أنه حتى هذا لا يستطيع أن يقوم به لسبب أو لآخر فلا أقل من أن يكف عن اقتراف الأعمال الشريرة التي يمكن أن تنشر الفساد بين العباد وتفسد المجتمعات المسلمة . وإذا امتنع المسلم عن الشر كان قد تصدق على نفسه وعلى المجتمع الذي ينتمي إليه بتقليل الفساد والحد من الشر .

وهكذا يظهر من هذا الحديث أن المسلم الحقيقي لن يعدم وسيلة للصدقة إما بالمال أو بالجسد أو بالجاه أو بالدعوة إلى الخير أو بأن يكف شره عن الناس وبذلك يكون قد تصدق على نفسه وحافظ على سلامة المجتمع مما يمكن أن يصدر عنه من شرور .

خامساً : الأحكام :

أفاد هذا الحديث بعض الأحكام منها ما يلي :

١) ضرورة أن يتصدق كل مسلم حسب ما يستطيع .
٢) الحث على العمل للكسب الحلال والعيش الكريم والتصدق .
٣) الحث على إعانة المحتاج ونصرة المظلوم .
٤) الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير .
٥) وجوب الإمساك عن المنكر حماية للمجتمع وتصدقاً على نفسه بالبعد عن الشرور .
٦) ضرورة أن يكون المسلم شخصاً إيجابياً ويداً عليا منفقة لما فيه مصلحة البلاد والعباد .
٧) يسر الإسلام واتصافه بما يصلح لكل فئات الناس .

الحديث الثاني والثلاثون

أمراض اجتماعية ضد الأخوة الإسلامية

أولاً : النص :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "إياكم[١] والظنَّ [٢] فإن الظنَّ أكذبُ الحديثِ ، ولا تَحسَّسوا[٣] ، ولا تَجسَّسوا[٤] ، ولا تَنافسوا[٥] ، ولا تَحاسَدوا [٦] ، ولا تَباغَضوا[٧] ، ولا تَدابَروا[٨] ، وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً كما أمركم[٩] . المسلمُ أخو المسلمِ ، لا يَظْلِمه ، ولا يَخْذُلَهُ [١٠] ، ولا يَحْقِرَه[١١] ، التقوى هاهنا " ويشير إلى صدره ، " بحسبِ [١٢] امرئٍ من الشرَّ أن يحقرَ أخاه المسلمَ . كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ : دَمُه، وعِرْضُه [١٣] ، ومَالُه. إن اللهَ لا ينظرُ إلى أجسادِكم ولا إلى صُوركم وأعمالِكم ولكن يَنظرُ إلى قلوبكم ." وفي رواية : " لا تَحاسَدوا ولا تَباغَضوا ، ولا تَجسَّسوا ، ولا تَحَسَّسوا، ولا تَنَاجَشُوا[١٤] ، وكونوا عبادَ اللهِ إخوانا. " وفي رواية : " لا تَقاطعوا[١٥] ، ولا تَدابَروا ، ولا تَباغَضوا ، ولا

---

(١) اجتنبوا واحذروا .
(٢) الشك وسوء الفهم .
(٣) طلب الخبر لنفسك .
(٤) طلب الخبر لغيرك وتتبع عورات الناس .
(٥) المغالبة والتسابق في أمور الدنيا .
(٦) تمنوا زوال النعمة عن غيركم .
(٧) يكره بعضاً بعضاً .
(٨) تقاطعوا أو يهجر بعضكم بعضاً .
(٩) وجهكم ربكم .
(١٠) يتخلى عن نصرته .
(١١) يزدريه ولا يحترمه .
(١٢) يكفي .
(١٣) ما يمدح أو يذم من الإنسان .
(١٤) لا تزيدوا في السلعة إذا لم تريدوا شراءها .
(١٥) تدابروا أي يعرض بعضكم عن بعض .

تَحاسَدوا، وكونوا عبادَ الله إخوانا." وفي رواية:" ولا تَهاجَروا[1]، ولا يَبعْ بعضُكم على بيع بعضٍ [2] ." رواه مسلم بكل هذه الروايات، وروى البخاري أكثرها.

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث رواه الإمام مسلم برقم ٦٥٣٦ في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله ، وروى البخاري أكثره في أبواب متفرقة كالنكاح برقم ٥١٤٣ والأدب برقم ٦٠٦٦ والفرائض برقم ٦٧٢٤ وغيرها . ورواه الإمام مالك في الموطأ في كتاب حسن الخلق ، باب ما جاء في المهاجرة ، وأبو داود برقم ٤٨٨٢ في كتاب الأدب ، باب الغيبة وباب الظن برقم ٤٩١٧ ، والترمذي برقم ١٩٢٧ في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه وقد سبقت ترجمته في الحديث الثامن .

رابعاً : الشرح :

وضع الإسلام أسس الأخوة الإسلامية ودعا إلى كل ما يقويها ويحافظ عليها من العوادي . وقد بين الرسول الكريم ﷺ في أكثر من حديث حقوق المسلم على أخيه المسلم ، ودعا إلى ما يجلب المحبة والوئام بين أفراد المجتمع ، كما حذر من كل ما من شأنه أن يشيع التنافر والبغضاء بين أفراده ، أو يزعزع عوامل المحبة والأخوة في المجتمعات المسلمة .

---

[1] لا يزر بعضكم بعضاً .

[2] لا يزد أحدكم في بضاعة سامها أخوه المسلم .

ومن هذا المنطلق يحذر الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث من سوء الظن بالمسلمين وبناء التعامل بين أفراد المجتمع المسلم على أساس الشك وسوء الظن لأنه أكذب أنواع الحديث . ودعا القرآن أيضاً إلى اجتناب الظن وبين أن جزءاً من الظن يقود إلى الإثم ، قال الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ، " (الحجرات ١١) . وقد نهى الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث بالاضافة إلى الظن عن التحسس وهو تتبع الأخبار والتقاط ما يقال عن الشخص نفسه لأغراض انتقامية ، كما نهى عن التجسس وهو تتبع أخبار الآخرين لأغراض تجسسية أو انتقامية سواء لمصلحة الإنسان نفسه أو لجهة أخرى . وقد اشتمل النهي النبوي على تجنب التنافس في الأمور الدنيوية الذي يمكن أن يؤدي إلى تنافس غير شريف مما يوجد الشحناء والخلاف بين المسلمين .

وشدد الرسول ﷺ في النهي عن التحاسد المتمثل في تمني زوال النعمة عن المحسود كرها وتمنياً أنانياً للخير لنفسه مع حرمان الآخرين . ولا يدخل في هذا معنى الحسد الذي يفيد الغبطة وهي تمني مثل ما عند الآخرين والتساوي معهم دون الرغبة في حرمان المحسود . وقد أردف الرسول الكريم ﷺ النهي عن الحسد بالنهي عن التباغض الذي غالباً ما يكون نتيجة للحسد والتنافس غير الشريف مما يؤدي إلى الكره الذي يؤدي بدوره إلى التقاطع ، والعزلة بين المسلمين عندما ينصرف كل مسلم مدبراً عن أخيه غير مقبل .

ولتلخيص ما يدعو إليه الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث أمر المسلمين أن يكونوا عباد الله أخواناً متحابين ومتعاونين ، كما أمرهم الله سبحانه وتعالى انطلاقاً من حقيقة أن المسلم أخو المسلم لا يسيء إليه لا في ماله ولا نفسه ولا بأي نوع من أنواع الظلم . كما أن المسلم مطالب بنصرة أخيه وعدم التخلي عنه عند حاجته للنصرة . وحرم الإسلام مجرد النظرة الدونية من المسلم تجاه أخيه المسلم ، ومن باب أولى فهو لا يحقره . ويربط النبي الكريم ﷺ احترام الأخ المسلم ومراعاة حقوقه وعدم التعرض له بأي أذى بالتقوى حيث يشير بعد

ذكر كل تلك الأمور بأن التقوى مقرها القلب ، فلا يمكن الحكم الأكيد على شخص من مجرد النظرإلى ظاهره . كما أن أي تصرفٍ سيىءٍ ضد الأخ المسلم يتنافى مع التقوى . وبين أن المسلم يقترف إثماً كبيراً إذا احتقر أخاه بأي طريقة كانت ، وذلك لأن كل أمور المسلم لها قدسية ومحفوظة من التعرض للأذى بتحريم الله لذلك .

وهكذا يؤكد الرسول ﷺ أن دم المسلم وكل ما يمكن أن يناله المدح والذم من أحواله أو عرضه وكذلك ماله بأنواعه المختلفة كل ذلك يحرم التعرض له بسوء . وبين الرسول الكريم أن الله سبحانه عند تقييمه للإنسان لا ينظر إلى جسمه ومدى قوته ولا إلى صورته وقدر جماله ولا إلى ظاهر عمله وإنما ينظر إلى قلبه موقع الإيمان والإخلاص والتقوى وإلى أعماله التي هي ترجمة لما في قلبه بحيث تكون موافقة لما جاء عن الله سبحانه وتعالى وخالصة لوجهه الكريم.

وأضافت الرواية الأخرى النهي عن التناجش وهو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها وإنما يحاول زيادة سعرها على مشترٍ آخر . ولما في ذلك من الإضرار بالآخرين وما قد يقود إلى التنافس غير الشريف والتباغض والمقاطعة التي وردت في رواية اخرى من الحديثٍ فقد حرم الإسلام كل ذلك ودعا إلى أن يكون المسلمون إخواناً متحابين متعاونين على البر والتقوى يؤثر بعضهم بعضاً . ونهى الرسول ﷺ كذلك عن التهاجر وهو أن يقاطع المسلم أخاه المسلم لأي سبب دنيوي . ونهىٍ كذلك عن أن يسوم الشخص سلعة علم أن أخاه يريدها أو يعطي ثمناً أعلى للحصول عليها ، وذلك لما يؤدي إليه هذا العمل من تباغض وتقاطع وتدابرٍ ، ولذا يكرر النبي الكريم ﷺ دعوته إلى أن يكون المؤمنون إخواناً متحابين حتى يظهر جمال الأخوة في الإسلام وتعيش المجتمعات المسلمة في محبة ووئام وتعاون وانسجام .

وقد اشتمل هذا الحديث على بعض المعاني التي وردت في سورة الحجرات التي وضعت معالم الحياة الإسلامية الكريمة في المجتمع

المسلم الخالي من سوء الظن بالمسلمين والتجسس والتحسس والغيبة والنميمة وغيرها من الأمراض الاجتماعية الخطيرة .

خامساً : الأحكام :

أفاد هذا الحديث كثيراً من الأحكام المهمة منها :

١) النهي عن سوء الظن والشك بالمسلمين لأنه مبني على التخرص والكذب .
٢) الأمر بصون عرض المسلم وعدم التعرض له بالأذى أوتتبع عوراته .
٣) الحفاظ على الأخوة الإسلامية ومراعاة حقوقها من عدم الظلم والخذلان والاحتقار وغير ذلك .
٤) حرمة دم المسلم وعرضه وماله .
٥) تحريم الزيادة في السلعة بقصد الإضرار بالمشتري .
٦) تحريم البيع على البيع لما يؤدي إليه من تنافر وتباغض .
٧) العبرة بحقيقة الإيمان والعمل الصالح وليس بالأشكال والمظاهر.
٨) الحض على الأخوة الإسلامية واجتناب ما يسيء إليها من سلوكيات .
٩) تحديد مسؤولية المسلم تجاه إخوانه المسلمين .
١٠) بيان الطريق القويم والمنهج السليم لإيجاد المجتمع المسلم الخالي من أمراض الحسد والتباغض والتنافر والتقاطع .

الحديث الثالث والثلاثون

ثلاث وثلاث : محرمات أو مكروهات

أولاً : النص :

عن أبي عيسى المُغيرةِ بن شُعبة رضي اللهُ عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : " إن اللهَ تعالى حَرَّمَ عليكم عقوقَ [١] الأمهاتِ ، ومنعاً [٢] وهاتِ [٣]، ووأدَ [٤] البناتِ، وكَرِهَ لكم قِيل وقالَ [٥]، وكثرةَ السؤالِ [٦]، وإضاعة [٧] المالِ ." متفق عليه .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله برقم ١٤٧٧ في كتاب الزكاة ، باب لا يسألون الناس إلحافا ، وكتاب الاستقراض برقم ٢٤٠٨ ، باب النهي عن إضاعة الماء وكذلك في كتاب الأدب برقم ٥٩٧٥ ، باب عقوق الوالدين من الكبائر . ورواه الإمام مسلم برقم ٤٤٨٦ في كتاب الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة . وقد ذكر ابن الأثير في جامع الأصول أن أبا داود روى نحوه ولكن المحقق عبد القادر الأرناؤوط لم يجده في المطبوع من سنن أبي داود والأمر كما قال . وقد خرج الألباني هذا الحديث في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام برقم ٦٩ وفي مشكاة المصابيح برقم ٤٩١٥ .

---

(١) الإساءة إلى الأمهات وعدم القيام بحقوقهن .
(٢) منع ما وجب عليه .
(٣) طلب ما ليس له .
(٤) دفنهن أحياء .
(٥) الحديث بكل ما يسمعه مما لا يعلم صحته .
(٦) الإلحاح في طلب ما يحتاج إليه .
(٧) تبذيره وصرفه في الوجوه غير المشروعة .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو أبو عيسى وقيل أبو محمد المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي ، شهد الحديبية وأسلم زمن الخندق ، وشهد اليمامة واليرموك والقادسية ، وكان أديباً فطناً عاقلاً لبيباً داهية ، توفي عام ٥٠ هـ . روى له أصحاب كتب الحديث ١٣٦ حديثاً .

رابعاً : الشرح :

الإسلام منهج حياة متكامل ، لم يترك خيراً إلا دل المسلم عليه ، وحضه على الأخذ به ، ولم يترك شراً إلا حذره منه ، وأمره بالابتعاد عنه . وقد بين الرسول الكريم ﷺ أن الله حرم أموراً منها : عقوق **الأمهات** ، وهو الإساءة إليهن ، وعدم القيام بحقوقهن أو إظهار الرأفة والرحمة بهن . وقد وردت نصوص الشريعة المطهرة في الكتاب والسنة بالحض على البر بالوالدين ، والتحذير من عقوقهما . وميز الإسلام الأم بمزيد من العناية والبر لما تكبدته من مصاعب وآلام في إنجاب الأبناء وتربيتهم . وبالتالي فحقوق الوالدين وخاصة الأم تأتي مباشرة بعد حقوق الله سبحانه وتعالى ، حيث قال جل شأنه : " واشكر لي ولوالديك إليَّ المصير ، " لقمان ، ١٤) . والأمر الآخر الذي حرمه الإسلام في هذا الحديث هو منعاً وهات ، أي منع ما وجب على الإنسان أداؤه من الحقوق . وهذا يشمل كافة الحقوق من عبادات بدنية أو مالية أو غير ذلك من الحقوق سواء أكانت لله أم للمخلوقين . وفي المقابل حرم الله المطالبة بما ليس للإنسان فيه حق، وذلك أن بعض الناس يلحون في الطلب ويسألون مالا يستحقون . وهذا غالباً يقود إلى أكل أموال الآخرين بالباطل . أما الأمر الثالث الذي حرمه الإسلام فهو وأد البنات ، وهو دفن البنات أحياء ، كما كان يفعل بعض أهل الجاهلية حيث كانوا يدفنون بناتهم أحياء إما خوفاً من العار، أو خوفاً من الفقر . وقد ورد الوعيد الشديد على فعل ذلك، ووعد الله سبحانه أنه سوف يقتص للموؤدة ممن وأدها يوم القيامة حيث قال الله تعالى : " وإذا الموؤدة سئلت ، بأي ذنب قتلت ، " التكوير ٨) .

بعد ذلك ينتقل الرسول الكريم ﷺ إلى تبيان أمور أخرى نهى عنها الإسلام وإن كانت غير محرمة مثل الأمور الثلاثة السابقة ، ولذا فقد غبر الرسول ﷺ بكلمة " كره " . وهذه الأمور هي : قيل وقال ، وهو أن يحدث الإنسان بكل ما يسمع دون أن يتحقق من صدقه أو على الأقل يغلب على ظنه أنه صحيح . وقد ورد في الحديث الصحيح : " كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع ." والحديث بكل ما يسمع طريق إلى أن يشارك الإنسان في نشر الكذب دون أن يشعر . ولذا وجب عليه اجتناب القيل والقال . الأمر الآخر الذي كره الله لعباده المؤمنين هو كثرة السؤال . وكثرة السؤال المنهي عنه هو الإلحاح في الأسئلة التي لا حاجة إليها ولا يترتب عليها أي أمر عملي . كما يدخل ضمن ذلك الأسئلة التعجيزية أو التي يقصد منها التهرب من تنفيذ أوامر الله كما وقع من بني إسرائيل عندما أمروا بذبح بقرة فأخذوا يشددون في الأسئلة فشدد الله عليهم .

والأمر الثالث الذي كره الله لعباده المسلمين هو إضاعة المال . وإضاعة المال المنهي عنها في هذا الحديث هو تبذيره وصرفه في الوجوه غير المشروعة . وإضاعة المال إذا وصلت إلى درجة التبذير تدخل في نطاق الأمور المحرمة حيث يقول الله سبحانه وتعالى : " ولا تبذر تبذيراً ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ، " (الإسراء ٢٦-٢٧) . والمسلم يعتقد أن المال مال الله سبحانه وتعالى ولابد من صرفه في الوجوه التي حددها في كتابه وسنة رسوله ﷺ . وقد ورد في السنة ضرورة كسب المال بالحلال والوسائل المشروعة وكذلك ضرورة صرفه في المصارف المباحة كما في الحديث المشهور الذي رواه الترمذي وصححه يقول فيه الرسول الكريم ﷺ : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ... ذكر منها " وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ." ولذا فلا يصح أن يقول المسلم " مالي وأنا حر في صرفه كما أشاء ، " وذلك أن حرية المسلم في التصرف في ماله محدودة بما تسمح به الشريعة السمحة بحيث لا يُكسب من حرام كالربا وغيره ولا يُصرف في حرام مثل شرب الخمر أو غيرها من المحرمات .

وهكذا يظهر من هذا الحديث أن الإسلام حرص على توجيه أتباعه إلى كل ما فيه خيرهم وصلاحهم في أمور الدنيا والدين ليكونوا أفرادا أسوياء صالحين يعملون لما فيه خيرهم ونفع مجتمعاتهم الإسلامية التي يمكن أن تكون مثالاً يحتذى ونموذجاً تقلده المجتمعات الأخرى وتدرك من خلاله جمال الإسلام وكماله .

خامساً : الأحكام :

يستفاد من هذا الحديث الأحكام التالية :

١) تحريم عقوق الوالدين عامة والوالدات خاصة .
٢) النهي عن منع الحقوق والواجبات اللازمة وكذلك المطالبة بما لا يحق للإنسان من أموال الآخرين .
٣) تحريم وأد البنات الذي تمارسه بعض المجتمعات الجاهلية والتشنيع على فاعليه .
٤) كراهية القيل والقال والتحدث بكل ما يسمع الإنسان من أخبار وإشاعات .
٥) النهي عن كثرة الأسئلة التي لا يترتب عليها عمل ويكون الهدف من ورائها التعنت وعدم الطاعة لأوامر الدين .
٦) تحريم التبذير وضرورة اكتساب المال وصرفه حسب التعاليم الإسلامية .

الحديث الرابع والثلاثون

نجاة المؤمن وخير السور وفواضل الأعمال

أولاً : النص :

عن عُقْبةَ بنِ عامرِ الجهني رضي الله عنه قال : لقيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فابتدأته [١] فأخذتُ بيده ، فقلتُ يا رسولَ اللهِ : ما نجاةُ [٢] المؤمنِ ؟ قال يا عُقبةَ : " احْرِسْ [٣] لسانَك ولْيسعْكَ[٤] بيتُك ، وابكِ [٥] على خطيئتِكَ ." قال ثم لقيني رسول الله ﷺ فابتدأني فأخذ بيدي فقال : " يا عقبةَ بنَ عامرٍ ألا أعلِّمْك خيرَ ثلاث سورٍ أنزلتْ في التوراة[٦] والإنجيل [٧] والزبور [٨] والفرقان[٩] العظيم. " قلت بلى جعلني الله فداك [١٠] . قال فأقرأني قل هو الله أحد[١١] ، وقل أعوذ[١٢] برب الفلق[١٣]، وقل أعوذ برب الناس. ثم قال: " يا عقبة لا تنسهن ولا تبت ليلة حتى تقرأهن ." قال فما نسيتهن منذ أن قال لا تنسهن ، وما بت ليلة قط حتى أقرأهن. قال عقبة ثم لقيتُ رسولَ الله ﷺ فأبتدأته فأخذتُ بيده فقلتُ : يا رسولَ اللهِ أخبرْني

---

[١] كنت أنا السابق لأخذ يده .
[٢] ما طريق السلامة والخلاص ؟
[٣] احفظ لسانك .
[٤] الزم بيتك .
[٥] اندم على ذنبك .
[٦] ما أنزل على موسى عليه السلام .
[٧] الكتاب الذي أنزل على عيسى عليه السلام .
[٨] ما أنزل على داود .
[٩] القرآن الذي يفرق بين الحق والباطل .
[١٠] أتمنى أن أفديك بنفسي .
[١١] أي واحد لا شريك له .
[١٢] ألتجئ وأطلب الحماية .
[١٣] الصبح ، وسمي فلقاً لانشقاق الليل عنه .

بفواضلِ [1] الأعمالِ ، فقال " يا عقبة صِلْ [2] من قطعكَ [3] ، وأعْطِ من حَرمكَ [4] ، واعْرِضْ [5] عمَّنْ ظلمكَ [6] ." أخرجه الإمام أحمد .

ثانياً : التخريج :

أخرج هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عند إيراد الأحاديث التي رواها عقبة بن عامر الجهني . وروى الإمام مسلم برقم ١٨٩١ عن عقبة بن عامر الجزء الخاص بالمعوذتين حيث قال النبي ﷺ : " ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط ؟ قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ." وروى الترمذي حديثاً حسناً عن عقبة بن عامر يمثل بداية حديث الباب حيث سأل عقبة بن عامر النبي ﷺ ما النجاة ، فقال : " امسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك ."

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل عقبة بن عامر بن عبس الجُهَني القُضَاعي ، كان رديف النبي ﷺ . أمير شريف ومقرئ فرضي شاعر ، ولي غزو البحر ، وباشر فتوح الشام وكان البشير لعمر بفتح دمشق ، سكن دمشق ثم انتقل إلى مصر والياً لمعاوية بعد أن شهد معه صفين . وقد جمع له معاوية في إمرة مصر التي تولاها سنة ٤٤هـ بين الخراج والصلاة . روى عن النبي ﷺ ٥٥ حديثاً وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين منهم عبد الله بن عباس وأبو أمامة وجبير بن نفير وبعجة بن عبد الله الجهني وأبو إدريس الخولاني وخلق من أهل مصر . قال عنه أبو سعيد بن يونس : " كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه ، فصيح اللسان ، شاعراً كاتباً ، وهو أحد من

---

[1] أحسن الأعمال وأكثرها أجراً .
[2] أحسن وتقرب .
[3] هجرك ولم يحسن إليك .
[4] منعك ولم يعطك شيئاً .
[5] تجاوز واعف .
[6] تعدى عليك وآذاك .

جمع القرآن " . وقد توفي في مصر عام ٥٨هـ . وفي القاهرة مسجد باسم عقبة بن عامر بجوار قبره . وللشهاب أحمد بن أبي التلمساني المتوفى ٧٧٦هـ كتاب في مناقب عقبة بن عامر بعنوان جوار الأخيار في دار القرار مخطوط ب ١٢٠ ورقة . وعقبة بن عامر هو أحد الصحابة من قبيلة جهينة الذين تجاوز عددهم المائة والثلاثين صحابياً . فقد عددت من فهرس كتاب الإصابة في تمييز الصحابة أكثر من مائة وعشرة أصحابٍ من جهينة بالإضافة إلى ست من الصحابيات رضي الله عنهم جميعاً .

رابعاً : الشرح :

روى الصحابي الجليل عقبة بن عامر الجهني أنه التقى بالرسول الكريم ﷺ عدة مرات . وعندما سأله في المرة الأولى عن طريق النجاة التي ينبغي أن يسلكها المسلم حفاظاً على دينه وتخليصاً لرقبته من النار نصحه النبي الكريم ﷺ بثلاث نصائح ثمينة . الأولى حفظ اللسان . وقد عبر الرسول ﷺ بكلمة توحي بالاحتراس والحرص على أن لا يصدر من لسان المرء إلا الخير من قراءة قرآن وذكر ودعوة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر . وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تأمر بحفظ اللسان وتحذر من مغبة الوقوع في الإثم من خلال القول غير المنضبط . قال الله تعالى : " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ،" (ق ١٨) . وقال الرسول الكريم ﷺ في الحديث المتفق عليه : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ." وفي الحديث الآخر الذي رواه الشيخان أيضاً أجاب الرسول ﷺ عندما سئل عن أفضل المسلمين بأنه : " من سلم المسلمون من لسانه ويده ."

أما النصيحة الثانية فهي توجيه النبي ﷺ لعقبة بأن يلزم بيته ولا يكثر الخلطة بالناس ، وذلك عند فساد الزمان وقناعة المسلم أنه لن يستطيع أن يوجه أو يغير لعدم جدوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيحسن في هذه الحالة أن يعتزل الناس وينقذ نفسه بعيداً عن التأثيرات السلبية التي يمكن أن تصيب الإنسان من مخالطة

الناس . وهنا يأتي دور النصيحة الثالثة بأن يبكي المسلم على ذنبه وما اقترفه من خطيئة بكاء ندم وتوبة وعزم على عدم العودة للخطيئة . وبذلك يتحقق للمسلم المغفرة وقبول عودته إلى الله وإقالة عثرته . وباتباع النصائح الثلاث تحصل النجاة في الدنيا والآخرة .

وفي المناسبة الأخرى التي لقي فيها عقبة بن عامر الرسول الكريم ﷺ ابتدره النبي وأخذ بيده من باب ملاطفة أصحابه وتقريبهم منه وسأله إذا كان يريد أن يعلمه أفضل ثلاث سور أنزلت في الكتب السماوية حيث أجاب عقبة فرحاً بأنه راغب في ذلك ، فأقرأه الرسول الكريم سورة الإخلاص ، قل هو الله أحد ، والمعوذتين : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس . وأوصاه الرسول الكريم ﷺ أن لا ينسى تلك السور الثلاث وأن لا يدع قراءتها كل ليلة . وقد أخذ عقبة بنصيحة الرسول ﷺ وداوم على ذلك بقية عمره . وقد وردت أحاديث أخرى بفضل هذه السور الثلاث حيث ورد أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن والمعوذتين تحفظان من يقرأهما من كل مكروه .

وفي المرة الثالثة التي لقي فيها عقبة بن عامر الرسول الكريم ﷺ أخذ بيده الشريفة وسأله عن الأعمال الفاضلة التي يحصل بها الأجر وترتفع بها الدرجات فأعطاه الرسول الكريم ﷺ ثلاثة توجيهات ثمينة تتعلق بالتعامل مع الناس خاصة الأعداء أو من قصروا في حقه بأن يعاملهم بعكس معاملتهم له . وهذه التوجيهات هي : أن يبقي الصلة والعلاقة الطيبة مع من قطعه وابتعد عنه ، وأن يعطي من حرمه ولا يعامله بالمثل ، وأن يعفو عمن ظلمه وأساء إليه بالقول أو العمل أو كليهما . ولا شك أن الإنسان الذي يتبع هذه النصائح سوف يتغلب على السلوك السلبي الذي يظهره تجاهه الآخرون . وسوف يضطرون في النهاية إلى أن يتراجعوا عن تصرفاتهم السيئة لأن الإنسان مهما بلغ من اللؤم لا يمكن أن يقابل الإحسان بالإساءة في كل الأوقات . ولا شك أن من يرتفع إلى مستوى مقابلة الإساءة بالإحسان سوف يفرض احترامه ومحبته على الجميع ويكون عمله هذا من أفضل الأعمال

التي تكسب القلوب وتدعو إلى المحبة والوئام وتطهير المجتمع من مظاهر الحقد والشحناء والخلافات الفردية والأسرية .

خامساً : الأحكام :

اشتمل هذا الحديث على عدد من الأحكام أوجز أهمها فيما يلي :

١) ضرورة حفظ اللسان وتعويده على قول الخير وتجنب ما يؤاخذ الإنسان على قوله .
٢) الدعوة إلى تجنب الاختلاط بالناس إذا كثر الفساد وغلب على الظن عدم جدوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
٣) ضرورة أن يندم الإنسان على ذنوبه ويتوب عن خطاياه ويسعى إلى تكفيرها .
٤) فضل سورة الإخلاص والمعوذتين مع قصرهما .
٥) أن التجاوز عن إساءة الناس ومعاملتهم بعكس سلوكهم السيئ من أفضل الأعمال التي يثاب عليها المسلم .
٦) ملاطفة الرسول ﷺ لأصحابه ومبادرتهم بالسؤال عن أحوالهم وتعليمهم ما ينفعهم .
٧) حرص الصحابة على طلب العلم متمثلاً ذلك في مسلك عقبة رضى الله عنه مع النبي ﷺ .

الحديث الخامس والثلاثون

الطريق إلى الجنة وأبواب الخير وحفظ اللسان

أولاً : النص :

عن مُعاذِ بن جبلٍ رضى الله عنه قال : كنتُ مع النبيِّ ﷺ في سَفَرٍ فأصبحتُ يوماً قريباً منه ونحن نسيرُ فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ، أخبرني بعملٍ يُدْخِلني الجنة ، ويُباعدني من النارِ . قال : " لقد سألتني عن عظيمٍ وإنه ليَسيرٌ على من يسَّره اللهُ عليه : تَعبُدُ اللهَ ولا تشركُ به شيئاً ، وتقيمُ الصلاة ، وتُؤتي الزكاة ، وتَصومُ رمضانَ ، وتحجُّ البيتَ. " ثم قال :" ألا أدلكَ على أبوابِ [1] الخير ؟ الصومُ جُنَّةٌ [2] والصدقة تُطْفِئُ [3] الخطيئة [4] كما يُطفِئُ الماءُ النارَ، وصلاةُ الرجلِ من جوفِ [5] الليلِ شِعارُ [6] الصالحين ، ثم تلا " تتجافى [7] جنوبُهم عن المضاجع [8] " حتى بلغَ [9] " يعلمون . " ثم قال ألا أخبرُكَ برأسِ [10] الأمر، وعمودِه [11] وذروةُ [12] سنامِهِ [13] ؟ قلت : بلى يا رسولَ الله ، قال : " رأسُ الأمرِ الإسلامُ ، وعمودُهُ

---

(1) الطرق أو المداخل الموصلة إلى العمل الصالح .
(2) حماية ووقاية .
(3) تميت وتذهب .
(4) أي أثر الخطيئة وهي المعصية .
(5) منتصفه .
(6) " شعار الصالحين" أي علامة الصالحين أوردها ابن الأثير في **جامع الأصول** وليست في معظم نسخ الترمذي .
(7) تترك وترتفع .
(8) المراقد والفرش .
(9) أي وصل إلى نهاية الآيتين ١٦ و ١٧ من سورة السجدة .
(10) أهم ما فيه والأساس الذي يقوم عليه .
(11) هي بمثابة العمود الرئيس الذي ترفع عليه الخيمة وهو كناية عن أهمية الصلاة .
(12) أعلى ما في الشيء .
(13) السنام هو الجزء الأعلى البارز في ظهر البعير .

الصلاةُ ، وذُروةُ سنامِهِ الجهادُ [1] . ثم قال : ألا أخبرك بمَلاكِ [2] ذلك كلِّه ؟ ، قلت : بلى يا رسولَ الله ، فأخذ بلسانِ نفسه وقال : " كفَّ [3] عليك هذا . " قلت : يا رسولَ الله ، وإنا لمُؤاخَذون [4] بما نتكلَّمُ به ؟ قال : "ثكلتْكَ [5] أمُّك يا معاذُ ، وهل يَكُبُّ [6] الناسَ في النارِ على وجوهِهم أو على مناخِرِهم [7] إلا حَصائدُ ألسنتهم [8] . "رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث رواه الإمام محمد بن عيسى الترمذي رحمه الله (٢٠٠-٢٧٩هـ) في جامعه في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في حرمة الصلاة برقم ٢٦١٦ ، ورواه الإمام أحمد في ثلاثة مواضع من مسنده: ٢٣١/٥ من حديث أبي وائل ، ٢٣٧/٥ من رواية عروة بن نزال وميمون بن أبي شيبة كلهم عن معاذ ولكن لم يثبت لهم سماع منه ، وأخرجه مختصرا ٢٣٦/٥ من رواية شَهْر بن حَو}شَب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ أيضا . كما أخرج هذا الحديث ابن ماجه في سننه برقم ٣٩٧٣ عن أبي وائل أيضاً . وهو حديث صحيح بطرقه كما يقول عبد القادر الأرناؤوط ورفاقه في تخريج أحاديث رياض الصالحين رقم ١٥٢٠ ، وكما وصفه الترمذي حيث قال عنه حسن صحيح .

---

(١) بذل أقصى الجهد والمقصود هنا القتال في سبيل الله .
(٢) بقوام ذلك .
(٣) أمسك لسانك .
(٤) محاسبون على ما نقول . .
(٥) فقدتك وهي كلمة تقال للتأنيب أحياناً وليس مقصود بها هنا الدعاء على معاذ .
(٦) يرمى أو يسحب على وجهه .
(٧) أي على أنوفهم ، وهذا شك من الراوي .
(٨) الكلام الذي لا خير فيه .

ثالثا : الراوي :

راوي هذا الحديث هو الصحابي أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل الخزرجي الأنصاري . كان شاباً وسيماً من أفضل شباب الأنصار حياءً وسخاء وحِكمْة . أسلم وعمره ١٨ سنة . شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها . بعثه الرسول ﷺ والياً على اليمن . وعندما سأله الرسول الكريم ﷺ بماذا يحكم ؟ كانت إجابته مرضية حيث ذكر أنه سيحكم بكتاب الله ثم سنة رسول الله ، وإذا لم يجد فيهما الحكم – يجتهد رأيه . وقال عنه النبي الكريم ﷺ: " أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل . " توفي معاذ في ريعان شبابه مجاهداً سنة ١٨هـ بطاعون عمواس وعمره ٣٤ سنة . وقد روى عن رسول الله ﷺ ١٥٧ حديثاً .

رابعاً : الشرح :

يخبرنا الصحابي الجليل معاذ بن جبل أنه كان في سفر مع الرسول ﷺ بصحبة آخرين ، وقد اغتنم فرصة اقترابه من الرسول النبى ﷺ في صباح أحد الأيام فسأله عن عمل يدخله الجنة ويبعده عن النار ، فبين له الرسول ﷺ بأنه وُفق للسؤال عن أمر بالغ الأهمية ، ولكنه سهل ميسر على من وفقه الله للخير وبسر له سبله . ثم بين الرسول الكريم ﷺ بأن دخول الجنة والبعد عن النار يتحقق بأداء أركان الإسلام المتمثلة في عباده الله وحده ، والبعد عن الشرك صغيره وكبيره ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وبعد ذلك أراد النبي ﷺ أن يرتفع معاذ في مراقي العمل الصالح فسأله مرغّباً : ألا أدلك على الطرق والأبواب المؤدية إلى الخير ؟ ولأن الرسول ﷺ كان يعرف أن معاذاً يرغب في ذلك فلم ينتظر جوابه بل قال له بأن الصوم حماية وحفظ ووقاية للمسلم من الوقوع

في المعاصي ، وسد لمنافذ الشيطان والصدقة الخالصة لوجه الله تطفئ أثر المعصية كما يطفئ الماء النار المشتعلة ، كما أن قيام الليل علامة مهمة من علامات الصالحين حيث مدح الله سبحانه وتعالى الذين يصلون في الليل ويتركون فرشهم المريحة للقيام لربهم يدعونه ويتضرعون إليه خوفاً من عقابه ورغبة في ثوابه . وقد بشرهم الله بأن أجرهم عظيم حيث أعد الله لهم مالا عين رأت ، ولا أذنٍ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر من النعيم المقيم جزاء وفاقاً لما كانوا يعملون . وذلك معنى الآيتين ١٦و ١٧من سورة السجدة ، قال تعالى : " تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ."

وبعد ذلك تقدم الرسول الكريم ﷺ خطوة ثالثة في تعليم معاذ رضي الله عنه وتوجيهه ومعه الأمة كلها مستعملاً أسلوب الاستفهام ليستثير اهتمامه وليكون أكثر شوقاً وقبولاً لسماع الجواب . فما كان من معاذ إلا أن أجاب بتلهف بلى يا رسول الله عندما سأله أتحب أن تعرف الأمر المهم الذي ينبنى عليه غيره والقائم الذي يحمل بناء الدين ويتعرف على قمته وأعلاه ؟ وقد أخبره الرسول الكريم ﷺ أن رأس الأمر هو دين الإسلام الذي يعني الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة ، وأن الصلاة هي عماد الدين ، وأن الجهاد في سبيل الله يمثل عزة الإسلام ، وأعلى درجات العمل الصالح لما فيه من حماية للدين والجود بالنفس في سبيل الله . وانتقل الرسول ﷺ إلى درجة أخرى في سلم الالتزام بتعاليم الدين ، وحفظ الجوارح فسأل معاذاً إن كان يرغب في معرفة الأمر الذي يجمع له حصيلة تعاليم الدين كلها . وعندما أجاب معاذ بأنه يرغب في ذلك كثيراً أخذ الرسول الكريم ﷺ بلسانه الشريف كوسيلة إيضاح قائلا : أمسك لسانك وأحفظه بحيث لا يقول إلا صدقاً وخيرا ، ولا يؤذي أحداً بغير حق . وهنا استفسر معاذ مستغرباً : هل الإنسان يحاسب على ما يقول ؟ فرد عليه الرسول ﷺ

موضحاً ومذكراً بأن أكثر ما يرمى الناس في النار على وجوههم هو ما يصدر منهم من الكلام الذي لا خير فيه .

وهكذا تدرج الرسول الكريم ﷺ في إجابته عن سؤال معاذ بن جبل رضى الله عنه من الاكتفاء بأداء أركان الإسلام ، ثم بين له فضل بعض هذه الأركان كالصوم والصدقة وصلاة الليل التي هي شعار الصالحين . وفي المرحلة الثالثة أوضح حقيقة الدين وأهمية الصلاة والجهاد ، كما بين له أهمية حفظ اللسان وأنه أكثر ما يورد الناس موارد الهلكة في جهنم .

خامساً : الأحكام :

أفاد هذا الحديث العظيم جملة من الأحكام أوجز بعضها فيما يلي :

١) حرص الصحابة على سبل النجاة من النار والفوز بالجنة وسؤالهم عما يحقق ذلك .
٢) أهمية أركان الإسلام وأنها تعد الحد الأدنى للنجاة الحقيقية والفوز العظيم .
٣) عظم فضل الصوم والصدقة وصلاة الليل حيث أثنى الله سبحانه على الذين يقومون الليل رغبة فيما عند الله وخشية عقابه .
٤) تبيان أن الإسلام هو الأساس التي تنطلق منه بقية الأعمال وهو بمثابة الرأس للجسد بالنسبة لإيمان المسلم وأعماله ، وأن الصلاة بمثابة العمود الذي يحمل بناء الدين ، وأن الجهاد هو أعلى الأعمال الصالحة بعد الشهادتين والصلاة وبه تحمى حوزة الدين وتظهر عزة المسلمين .
٥) إظهار خطر اللسان على الإنسان وأنه قد يورده المهالك ويوقعه في النار حيث إن معظم من يلقى في جهنم هم ضحايا الكلام الذي لا خير فيه وغير المنضبط بميزان الشرع .
٦) أن الاستقامة على أمر الله وأداء العبادات هبة من الله يمنحها لمن سعي لها مخلصا .
٧) حرصه ﷺ على تعليم أصحابه أفضل الأعمال واستخدامه أسلوب التدرج في تعليمه إياهم تحفيزا لهم وتشويقا .

الحديث السادس والثلاثون

أسئلة العمر الأربعة

أولاً : النص :

عن أبـي بَرْزَةَ الأسْلَمي قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ : لا تَزولُ [1] قدَما عبدٍ (يومَ القيامة) [2] حتى يُسألَ عن عُمرِه [3] فيما أفناه [4]، وعن عِلْمِه فيما فَعَل فيه ، [5] وعن مالِه من أينَ اكتسبه [6] وفيمَ أنفقه، [7] وعن جِسْمِه فيما أبلاه [8] . " رواه الترمذي وقال حديث صحيح .

ثانياً : التخريج :

أخرج هذا الحديث الإمام الترمذي في الجامع الصحيح برقم ٢٤١٧ في أبواب صفة القيامة ، باب في القيامة . وقد روى الترمذي حديثاً بهذا المعنى برقم ٢٤١٦عن عبد الله بن مسعود إلا أن في سنده حسين بن قيس وهو ضعيف عنده . وأخرج حديث أبي برزة أيضاً الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل رقم ١ وسنده صحيح ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٥/٣٥٧ وقال رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح . وقد أورده الإمام النووي في رياض الصالحين برقم ٤٠٥ . وخرج هذا الحديث ناصر الدين الألباني في سلسة الأحاديث الصحيحة برقم ٩٤٦ .

---

(١) لا تتحرك من موقفه للحساب إلى جنة أو نار .
(٢) زيادة في بعض النسخ .
(٣) حياته وفترة بقائه في الدنيا .
(٤) قضاه في طاعة أو معصية .
(٥) في روايه بدون " فيه " .
(٦) حصل عليه .
(٧) صرفه .
(٨) أتعبه وأنهكه .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو أبو برزة نضلة بن عبيد الأسلمي . وقد انفرد نضلة بكنية أبي برزة فلم يشركه فيها أحد من الصحابة . أسلم قديما وشهد مع الرسول ﷺ فتح مكة. كان ولده بالبصرة فنزل بها ثم غزا خراسان في خلافة معاوية وتوفي هناك على قول . وأما القول الآخر فقد رده إلى البصرة حيث توفي حوالي عام ستين . وقد روى عن الرسول ﷺ ستة وأربعين حديثا .

رابعاً : الشرح :

يخبر الرسول ﷺ في هذا الحديث أن الإنسان سيقف يوم القيامة أمام ربه موقف الحساب . وقبل أن يؤمر به إلى جنة أو نار لابد أن يسأل عن الأمور الأربعة الواردة في هذا الحديث . ولا شك أن النجاة ستكون لمن أعد جوابا مرضيا وحاسب نفسه في الدنيا قبل موقف الحساب هذا. والأسئلة التي سوف يسأل عنها الإنسان يوم القيامة هي أسئلة مهمة جداً لأنها تشمل حياة الإنسان كلها من المهد إلى اللحد وإن كان التكليف الذي يحاسب بعده الإنسان يبدأ من سن الرشد .

وهذه الحياة التي قد تطول وقد تقصر لابد أن يستعملها الإنسان في طاعة الله من أداء العبادات واجتناب المنهيات . هذا بالإضافة إلى السعي لخدمة نفسه ومن يعولهم ومساعدة المحتاج والسعي في مناكب الأرض ، والمشاركة في الجهاد والدفاع عن ديار المسلمين ، وغير ذلك من مناشط الإنسان التي تشمل مناحي الحياة كافة وتدخل ، عندما تؤدي حسب منهج الله ، ضمن شعب الإيمان . ومن مناشط حياة الإنسان المسلم الجاد طلب العلم الشرعي والسعي لتحصيل المعرفة النافعة بأنواعها المتعددة . وحيث إن الإسلام يعتبر العمل ثمرة العلم النافع فلا بد من أن يسأل الإنسان عما تعلمه من العلوم . هل تعلمها لوجه الله بعيداً عن الرياء والسمعة ؟ وهل كانت علوماً نافعة له ولغيره

من الناس ؟ وهل أدى حق الله فيها من حيث تعليم الآخرين ودعوتهم إلى الخير مبتغياً وجه الله وساعياً لنشر العلم النافع ؟ هل أمر بالمعروف ونهى عن المنكر حسب ما يملي عليه علمه أم أنه لم يستفد من العلم ولم يرفع بذلك رأساً وكان مثله كمثل اليهود الذين شبههم الله بالحمار يحمل أسفاراً ؟

كما تشتمل الأسئلة على تقديم تقرير عن نشاط الإنسان الاقتصادي : من أين جمع المال ؟ هل من الحلال المباح أم من مصادر أخرى مكروهة ؟ أو محرمة ؟ وبعد أن حصَّل المال هل أنفقه حسب توجيهات الشرع أم بذَّره وصرفه في المحرمات ؟ وهذا السؤال مهم لأن منهج الإسلام يحتم أن يكسب المال من الحلال وينفق في الحلال . ولا يمكن أن تقبل مقولة " هذا مالي وأنا حر فيه " على إطلاقها من وجهة النظر الإسلامية ، وذلك أن المال مال الله وهو وديعة لدى الإنسان ، ولابد أن يتصرف فيه ضمن الحدود التي وضعها الله سبحانه وتعالى إطاراً لسلوك المسلم الملتزم بتعاليم الإسلام .

والسؤال الأخير الذي لابد أن يعد له المسلم إجابة شافية هو : ماذا فعل بجسمه الذي أنعم الله عليه به حيث خلقه في أحسن تقويم ومتعه بالصحة والعافية وركب فيه السمع والبصر ، وأعطاه من القوى الداخلية والخارجية ما يجعله قادراً على القيام بكثير من المناشط وممارسة كثير من السلوكيات ؟ فهل كانت كلها حسب المنهج الرباني الذي وضعه من خلق الإنسان وبين له طريق الخير والشر ووعده الجنة في نهاية سبيل الخير كما حذره من النار في آخر طريق الشر ؟

ومن الواضح أن هذه الأسئلة التي اشتمل عليها هذا الحديث أسئلة مصيرية وإعداد الجواب المناسب لها يعني الفوز بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . أما الفشل في إعداد إجابة مقبولة لهذه الأسئلة فيعني الخسران الأبدي في نار وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين والعاصين إلا أن يتغمد الله برحمته بعض المقصرين من أهل التوحيد ممن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً . وبهذا يكونون قد

أعدوا إجابة ناقصة لا تبلغ المستوى المرغوب . ولذا فتعبير الرسول الكريم ﷺ بكلمة " تزول" تشير من طرف لطيف إلى المصير في موقف الحساب بحيث يكون زوال القدمين إما إلى الجنة وأما إلى النار .

والمتأمل في هذا الحديث يدرك أن الأسئلة المذكورة شاملة مناحي النشاط الإنساني في جوانبه المادية والاقتصادية والعلمية والجسمية . ولو تصور الإنسان بوضوح الحساب والمساءلة في ذلك الموقف العصيب وتيقن ما يترتب على النجاح أو الفشل في إجابة تلك الأسئلة المصيرية لأعد للأمر عدته وحاسب نفسه قبل يوم الحساب .

وقد روى هذا الحديث الإمام الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه بصورة أشمل وأوضح ، حددت الأسئلة بخمسة أوردها فيما يلي : " لا تزول قدما ابن أدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وماذا عمل فيما علم . " ولكنه أعل هذه الراوية بضعف حسين بن قيس كما ذكرت في التخريج.

خامسا : الأحكام:

أفاد الحديث جملة من الأحكام فيما يلي أهمها :

١) الحث على اغتنام الحياة الدنيا فيما يرضي الله من الإخلاص والعمل الصالح ويعود على الإنسان بالخير.
٢) الحث على تعلم العلم النافع والعمل بمقتضى هذا العلم حتى لا يكون حجة على صاحبه .
٣) الحث على اكتساب المال من المصادر المشروعة وإنفاقه في الأوجه المباحة .
٤) ضرورة أن يحافظ المسلم على جسمه وعدم إنهاكه بما حرم الله، واستعمال قوته في طاعة الله وخدمة نفسه وإخوانه المسلمين.

٥) يدل هذا الحديث على أن الإنسان المسلم مسؤول عن كل صغيرة وكبيرة من تصرفاته من سن الرشد إلى الوفاة . لذا عليه أن يرتفع إلى مستوى هذه المسؤولية ليفوز بالجنة وينجو من النار .

٦) في الحديث إشارة إلى شدة الموقف يوم القيامة وأن الفوز الحقيقي هو النجاة في ذلك اليوم .

الحديث السابع والثلاثون

سبع وسبع بين الأمر والنهي

أولاً : النص :

عن أبي عمارة البراءِ بن عازبٍ رضى اللهُ عنهما قال : أمرنا رسولُ اللهِ ﷺ بسبعٍ ونهانا عن سبع:أمرنا بعيادة [١] المريضِ، واتباع [٢] الجِنَازةِ [٣]، وتشميتِ [٤] العاطسِ ، وإبرار[٥] القَسَمِ أو المُقْسِمِ ، ونُصْرةِ [٦] المظلومِ ، وإجابةِ [٧] الداعي ، وإفشاءِ [٨] السلامِ . ونهانا عن خواتيم أو تختمٍ بالذهبِ [٩] ، وعن شربٍ بالفضة[١٠] ، وعن المياثر[١١] ، وعن القِسِيِّ [١٢] وعن لُبْسِ الحرير والإستبرق [١٣] ، والدِّيباج [١٤]. متفق عليه وهذا نص مسلم. وفي رواية [١٥] (وإنشادِ [١٦] الضالةِ) في السبع الأوَل [١٧] .

---

(١) زيارة المريض للسؤال عن صحته والدعاء له .

(٢) تشييعها والمكث معها إلى الفراغ من الدفن .

(٣) بفتح الجيم وكسرها تعني النعش والميت اِو الإثنين معاً .

(٤) الدعاء له إذا حمد الله بـ " يرحمك الله "

(٥) تنفيذ ما أقسم عليه .

(٦) منع الظلم عنه .

(٧) قبول الدعوة إلى وليمة أو طعام وحضورها .

(٨) إشاعته ونشره .

(٩) شك من الراوي بين خواتيم أو تختم بالذهب أي لبس خواتم الذهب.

(١٠) أي في آنية الفضة ومثلها آنية الذهب .

(١١) مخدات أو وسائد من الحرير أو وطاء من حرير على السرج .

(١٢) ثياب من كتان وحرير .

(١٣) الحرير الغليظ والسندس الحرير الرقيق .

(١٤) الحرير العادي .

(١٥) وردت في صحيح مسلم .

(١٦) تعريفها .

(١٧) بدلاً من إبرار القسم .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث رواه الإمام البخاري رحمه الله في عدد من كتب صحيحه : الجنائز برقم ١٢٣٩ ، والأشربة برقم ٥٦٣٥، والمرضى برقم ٥٦٥٠ واللباس برقم ٥٨٦٣ وغيرها ، ورواه مسلم برقم ٥٣٨٨ في اللباس، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء. رواه أيضاً الترمذي برقم ٢٨١٠ في الأدب ، باب ما جاء في كراهية لبس المعصفر للرجال ، والنسائى برقم ٥٣١١ في الجنائز وفي الإيمان، باب إبرار القسم .

ثالثا : الراوي :

راوي الحديث هو الصحابي أبو عمارة البراء بن عازبٍ بن الحارث الخرزجي ، قائد من قواد الفتوح . ومع أنه أسلم صغيراً فقد غزا مع الرسول الكريم ﷺ خمس عشرة غزوة أولها الفتح . ولاه عثمان بن عفان أمارة الري بفارس . غزا قزوين وملكها وغزا بهر وفتحها ثم انتقل إلى زنجمان ففتحها عنوة . توفى البراء رحمه الله سنة ٧١هـ في زمن مصعب بن الزبير . وقد روى أصحاب كتب الحديث عن البراء ٣٠٥ أحاديث .

رابعاً : الشرح :

يروي لنا الصحابي الجليل البراء بن عازب أن الرسول الكريم ﷺ أمرهم بأن يفعلوا سبعة أمور وأن يجتنبوا سبعة أخرى . وهذه الأوامر بعضها للوجوب وبعضها الآخر للندب أو الاستحباب . أما المناهي فقد كان بعضها للتحريم وبعضها الآخر للكراهية . ويغلب على هذه الأوامر كونها تتعلق بالجانب الاجتماعي في الإسلام وتؤسس حسن العلاقة والمحبة بين المسلمين من خلال سلوكيات تقع بين أفراد المجتمع المسلم . أما المناهي وإن كانت تتعلق بالجانب الاجتماعي إلا أنها تتصل باللباس واستعمال الآنية .

الأمر الأول الذي أمر به الرسول ﷺ أصحابه هو عيادة المريض . وزيارة المريض من حقوق المسلم على أخيه المسلم ، وحض الرسول ﷺ على ذلك لما في الزيارة من دعم نفسي للمريض وإظهار للاهتمام بشئونه من قبل إخوانه والدعاء له . كما أن زيارة المريض فيها فرصة لتذكر نعم الله على الزائر الذي يتمتع بالصحة والعافية . ويأتي أمر الرسول ﷺ بتشييع الجنازة والحث على ذلك استمراراً لرعاية الإسلام لشؤون الأخوة الإسلامية حتى بعد الموت . ولا شك أن في اتباع الجنازة دعماً لذوي الميت في مصابهم ومعونة لهم على تجهيز الميت إلى مثواه الأخير . واتباع الجنازة له تأثير إيجابي على من يقوم بذلك ففيه أجر عظيم ، كما أخبر الرسول ﷺ أن من تبع الجنازة فله قيراط ومن بقى معها حتى تدفن فله قيراطان . والقيراط مثل جبل أحد من الأجر . كما أن تشييع الجنازة فيه تذكر للموت وتحريك للاستعداد له ، وفي ذلك تنفيذ لتوجيه الرسول ﷺ الذي رواه الترمذي وحسنه : " أكثروا من ذكر هاذم اللذات . "

ويأتي تشميت العاطس ليمثل الأمر الثالث الذي وجه الرسول ﷺ أصحابه إليه . والعطاس هو استجابة بيولوجية لبعض المؤثرات الخارجية أو الداخلية ينتج عنها ظاهرة العطاس التي عندما تتم يكون لها أثر محمود على الجسم . وهذا يستدعي من العاطس أن يحمد الله لأن العطاس لو لم يتم فقد يكون لذلك آثار صحية سيئة . فإذا حمد العاطس الله فمن حقه على من يسمعه أن يشمته أي يدعو له " يرحمك الله". فيرد هو " يهديكم الله ويصلح بالكم . " .

أما إبرار المُقْسِم فهو مظهر آخر من مظاهر الأخوة الإسلامية بين أفراد المجتمع المسلم . فإذا حلف شخص على أمر ما فمن البر أن يُمضي أخوه المسلم يمينه إذا كانت على مباح وذلك حتى يحرره من الإثم ولا يضطره إلى صيام كفارة اليمين . على أن المسلم مطالب أن لا يقسم إلا في الحالات الضرورية ، وذلك تنفيذاً للتوجيه الرباني : " ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ، " البقرة ٢٢٤) . وقد ورد في رواية مسلم " إنشاد الضالة " بدلا من " إبرار القسم . " وإنشاد الضالة يحقق

التعريف بالضالة من الماشية (ومنها اللقطة بصفة عامة) في أماكن اجتماع الناس لمدة سنة قبل أن يحق لمن وجدها استعمالها أو تملكها . وحتى بعد مرور السنة إذا جاء من يطالب بها وأثبت أنه صاحبها فيلزم تسلميها له . وذلك لما روى البخاري وغيره عن زيد بن خالد الجهني قال سئل رسول الله ﷺ عن لقطة الذهب والورق فقال : " أعرفْ عِفَاصَها ، ووِكاءَها ثم عَرِّفها سنة ، فإن جاء صاحبها ، وإلا شأنك بها. قال فَضالةُ : الغنمُ ؟ قال : هي لك أو لأخيك أو للذئب . قال فضالة : الإبلُ ؟ قال : مالك ولها ؟ معها سقاؤها وحذاؤها وترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربُّها ." وقد جاء في الرواية المتفق عليها : " فإن لم تعرف فاستبقها ولتكن وديعة عندك فإن جاء طالبها يوماً من الدهر فادفعها إليه . "

الأمر الخامس من أوامر الرسول ﷺ لأصحابه كما رواها البراء هو نصرة المظلوم . ونصرة المظلوم وأخذ حقه ممن ظلمه واجب على من يستطيع سواء كان هذا المظلوم مسلماً أم غير مسلم وذلك انطلاقاً من أن الله هو مصدر العدل وأنه أخذ على نفسه نصرة المظلوم وإجابة دعوته ولو بعد حين . ولا شك أن المجتمع المسلم مجتمع متكافل ومتعاون على البر والتقوى ونصرة المظلوم من أهم مظاهر التكافل والتعاون الذي يحقق العدل وإعطاء كل ذي حق حقه .

وأما إجابة الداعي فهي فرصة المسلم بأن يشارك أخاه المسلم أفراحه ومناسباته السعيدة لتقديم التهنئة وللتعبير عن سروره بما أنعم الله على أخيه خاصة في مناسبات الزواج . وقد ورد عدد من أحاديث الرسول الكريم ﷺ تحث على إجابة الدعوة وترغب فيها . وتتراوح إجابة الدعوة بين الندب والوجوب . ويمثل إفشاء السلام وإشاعته بين المسلمين الأمر السابع في هذا الحديث . وإفشاء السلام سنة مؤكدة حض عليها الرسول ﷺ وأخبر أنه سبيل المحبة بين المسلمين كما أمر بإلقاء السلام على من يعرف المسلم ومن لا يعرف . فقد ورد في الحديث المتفق عليه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : " أي الإسلام خير ؟ " فقال : " تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف . "

وأكمل صيغ السلام هي : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وللسلام محاسن وآداب ليس هذا مكان تفصيلها .

ومن الجدير بالذكر أن معظم الأمور التي ذكر البراء بن عازب أن الرسول ﷺ أمرهم بها هي من حق المسلم على أخيه المسلم كما ورد ذلك في الحديث المتفق عليه من رواية أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس . "

الجزء الثاني من هذا الحديث يتعلق بالأمور التي نهى عنها الرسول الكريم ﷺ . وهذه يمكن اختصارها في أمور ثلاثة : التختم بالذهب والشرب بآنية الفضة ولبس الحرير . فالتختم بالذهب بالنسبة للرجال حرام وقد ورد الوعيد الشديد على من يفعله . ويصدق ذلك على استعمال آنية الذهب والفضة للأكل والشرب كما يصدق على لبس الحرير للرجال بأنواعه المتعددة التي وردت في الحديث أو الأنواع التي جدت في هذا الزمن أو يمكن أن توجد في المستقبل . وذلك أن أساس التحريم للحرير بغض النظر عن أنواعه وأسمائه . وقد ورد في ذلك كله أحاديث صحيحة منها ما رواه أبو داود عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه ، وذهباً فجعله في شماله ، ثم قال : " إن هذين حرام على ذكور أمتي . " وروى عمر بن الخطاب رضى الله عنه حديثاً متفقاً عليه أن الرسول ﷺ قال : " إنما يلبس الحرير من لا خَلاقَ له. " وزادت رواية البخاري " من لا خَلاقَ له في الآخرة ." وفي التختم بالذهب روى الإمام مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه ، وقال : " يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده ." فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك انتفع به . قال : لا والله ، لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ . وأما استعمال آنية الفضة والذهب فقد روى البخاري عن حذيفة رضي الله عنه

قال: نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه ."

ولو تلمسنا الحكمة وراء تحريم التختم بالذهب واستعمال آنيته وآنية الفضة ولبس الحرير لأدركنا أن مرد ذلك إلى أمور منها : أن استعمال الحرير في اللباس والذهب والفضة في الآنية بذخ وإسراف وخلود إلى الترف ونعومة يأباها الإسلام الذي يربي الناس على الاعتدال والإحسان إلى الفقراء وتعويد الرجال على الخشونة وعدم الميوعة . هذا بالإضافة إلى أن استعمال الذهب والفضة في الآنية فيه كسر لقلوب الفقراء وإظهار للبذخ وسوء استعمال المال . على أنه ينبغي القناعة أن المسلم مطالب بأن ينفذ أوامر الله ويجتنب نواهيه سواء أدرك الحكمة من ذلك أم لم يدركها ، وذلك انطلاقاً من خضوعه لمنهج الله ويقينه أن كل ما أمر الله به أو نهى عنه هو لمصلحته في المحصلة النهائية .

خامساً : الأحكام :

يدل هذا الحديث على جملة من الأحكام أهمها ما يلي :

١) حرص الرسول الكريم ﷺ على توجيه أصحابه خاصة والأمة عامة إلى ما فيه خيرهم وخير المجتمع المسلم في الدنيا والآخرة .
٢) استحباب زيارة المريض والحض عليها وكذلك اتباع الجنازة وتشميت العاطس وإفشاء السلام .
٣) استحباب إبرار المقسم إذا كان القسم على مباح أو فيه دعوة إلى مكارم الأخلاق ، ولا يُبَرّ قسم على حرام أو مكروه .
٤) وجوب نصرة المظلوم على من يستطيع أكان مسلماً أم غير مسلم ، وذلك بأخذ حقه ممن ظلمه .
٥) وجوب إجابة دعوة الداعي إذا لم يكن في المناسبة أي مخالفات شرعية . أما عند وجود المخالفات الشرعية فلا تجوز الإجابة إلا مع الإنكار والنصيحة .

٦) تحـريم التختم بالذهب للرجال واستعمال آنية الفضة - والذهب من باب أولى - للأكل والشرب .

٧) تحـريم لبس الحرير والجلوس عليه بكل أنواعه القديمة والحديثة على الذكور من المسلمين .

٨) وجـوب الـتعريف بالضـالة مـن الماشـية والـلقطة لمـدة سـنة قـبل تملكها ، كما هو مقرر في مظانه في كتب الفقه .

الحديث الثامن والثلاثون

أهل الدنيا وثلاث أقسم عليهن الرسول ﷺ

أولاً : النص :

عن أبي كَبشة الأنماريِّ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : "ثلاثٌ أقسِمُ [(١)] عليهن وأحدِّثكم حديثاً فاحفظوه : ما نقصَ مالُ عبدٍ من صدقةٍ ، ولا ظَلِمَ عَبدٌ مَظْلَمةً [(٢)] صَبَرَ عليها إلا زاده اللهُ عزاً ، ولا فتح [(٣)] عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فتح اللهُ عليه بابَ فقرٍ- أو كلمة نحوها [(٤)]- وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، قال: إنما الدنيا لأربعةِ نفرٍ : [(٥)] عبدٌ رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي ربَّه فيه [(٦)] ويَصلُ رَحِمَه ويَعْلَم للهِ فيه حقاً [(٧)] ، فهذا بأفضلِ المنازلِ [(٨)] . وعبدٌ رزقه اللهُ علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادقُ النية يقولُ : لو أن لي مالاً لعَمِلْتُ فيه بعملِ فلانٍ فهو بنيته ، [(٩)] فأجرُهما سَواءٌ [(١٠)] . وعبدٌ رزقه اللهُ مالاً ولم يرزقه عِلْماً فهو يَخْبِط [(١١)] في مالِه بغيرِ علمٍ ، لا يتقي فيه ربَّه ولا يَصلُ فيه رَحِمَه ، ولا يَعْلَمُ للهِ فيه حقاً ، فهذا بأخبثِ [(١٢)] المنازلِ . وعبدٌ لم يرزقه اللهُ مالاً ولا عِلْماً فهو يقول : لو أن لي مالاً لعَمِلتُ

---

(١) أحلف على صدقها .
(٢) تعدي على نفس أو حق أو عرض .
(٣) بدأ .
(٤) هذا شك من الراوي.
(٥) أي أشخاص ، من ٣-١٠ غالباً، وهنا حددوا بأربعة .
(٦) يرقب الله فيما يفعل .
(٧) يؤدي الواجبات الشرعية من زكاة وصدقة .
(٨) الدرجات من الجنة .
(٩) أي يعامله الله حسب قصده .
(١٠) ثوابهما واحد وأجرهما متماثلان .
(١١) يتصرف بغباء وعدم حكمة .
(١٢) أسوأها .

فيه بعمل فلان، فهو بنيته فوزْرُهما [1] سواءٌ . " رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث رواه الإمام الترمذي برقمٍ ٢٣٢٥ في الزهد ، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر ، ورواه أيضاً الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٢٣١ ، ٢٣١ ، وابن ماجه برقم ٤٢٢٨ في الزهد ، باب النية . وقد ورد شاهد للجزء الأول من الحديث في صحيح الإمام مسلم برقم ٢٥٨٨ في البر والصلة والأدب عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ " ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد عبد بعفوه إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله . " وقد وافق عبد القادر الأرناؤوط في تخريجه لأحاديث جامع الأصول الإمام الترمذي في أن هذا الحديث حسن صحيح . وقد صحح الألباني هذا الحديث في صحيح الترغيب والترهيب برقم ١٤ وفي مشكاة المصابيح برقم ٥٢٨٧ .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو أبو كبشةَ الذي اختلف في اسمه كثيراً ، فهو عمر وقيل عمرو أو عامر أو عُمير بن سعد أو سعيد الأَنماري المَذْحِجِيٍّ أحد الشاميين . وقد روى له أصحاب كتب الحديث أربعين حديثاً ليس شيء منها في الصحيحين . وقد شاركه في لقب أبي كبشة عدد من الأفراد بعضهم ليس له صحبه كأبي كبشة البلوي . وقد روي أبو كبشة عن أبي بكر الصديق وروى عنه ولداه عبد الله ومحمد ونفر من التابعين .

رابعاً : الشرح :

يخبرنا أبو كبشة الأَنماري رضى الله عنه أنه سمع الرسول الكريم ﷺ يؤكد خصال ثلاثة حتى لكأنه يحلف بالله على أنها

---

[1] اثمهما .

حقيقة لا شك فيها . ومع هذا ا لتأكيد يوجه الرسول ﷺ أصحابه إلى أن يحفظوا عنه ما يقوله في هذا الصدد . وأول هذه الأمور التي يقسم عليها الرسول ﷺ هو أن الصدقة لا تنقص المال بل يضع الله فيه بركة تفوق ما أنفق منه بحيث يزيد عما كان عليه في البركة ، كما ورد في الرواية الأخرى من الحديث : " بل تزيده ، بل تزيده . " ولا شك أن في هذا التأكيد النبوي تشجيع لأهل الأموال على الصدقة .

الأمر الآخر الذي يقسم عليه الرسول ﷺ هو أن الإنسان إذا ما ظلم وتجاوز عمن ظلمه وصبر احتساباً للأجر وهو قادر على أن ينتصف لنفسه فإن الله يزيده بعفوه وصبره عزاً وكرامة ، وذلك انطلاقاً من قوله تعالى : " فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، "(الشورى ٤٠.) . وجزء من هذا الأجر أن يزيده الله عزاً ورفعة . والأمر الثالث الذي يقسم عليه الرسول ﷺ لتأكيد وقوعه هو : أن من بدأ المسألة فلن يستغنى منها بل سوف تقوده إلى مزيد من الفقر لأن طالب المسألة مثل من يشرب من ماء البحر بقدر ما يشرب يزداد عطشاً . هذا بالإضافة إلى ما في المسألة من إراقة لماء الوجه وأخذ مال الناس بغير حق إذا كان الإنسان غير محتاج . ولذا ورد عن الرسول الكريم ﷺ التحذير من المسألة بقوله الذي رواه الإمام مسلم : " من سأل الناس تكثراً فإنما يسال جمراً ، فليستقلّ أو ليستكثرْ . " كما ورد في الحديث المتفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما : " لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مُزْعةُ لحم . "

وبعد ذلك أعاد الرسول ﷺ لفت نظر أصحابه الذين كانوا يسمعونه إلى أهمية ما يقول وضرورة أن يحفظوا عنه أن الناس في هذه الدنيا أصناف أربعة : إنسان آتاه الله المال والعلم فهو ينفق ماله حسب منهج الله الذي أملاه عليه علمه بحيث لا يصرف المال إلا في الوجوه المشروعة المباحة مثل صلة الرحم والتصدق على الفقراء وإعطاء كل ذي حق حقه في زكاة أو إكرام ضيف أو صدقة عامة على المساكين أو غير ذلك من اوجه الإنفاق التي حض عليها الدين . هذا الشخص

يؤكد الرسول الكريم ﷺ أنه في أعلى الدرجات في الجنة جزاء ما قدم من ماله على علم وبصيرة .

أما الشخص الثاني فقد أعطاه الله علماً غير أنه فقير لا يملك ما يتصدق به، ولكنه صادق النية ويتمنى لو كان له مال فيفعل مثلما فعل الشخص الأول . ولصدقه وحسن نيته فقد أبلغه الله درجة الشخص الأول وإن لم يقدم ما قدم ، بل أدرك درجته بحسن نيته ورغبته الأكيدة في فعل الخيرات . هذه الرغبة المنطلقة من علمه بفضل الصدقة وضرورة أن يتصرف الإنسان بماله حسب منهج الله الذي أعطى المال . وهذا الشخصان يمثلان الجانب الخيّر من أهل الدنيا . وأما الجانب السيئ فيمثله الشخص الثالث الذي أوتى مالاً ولم يؤت علماً ، ولذا فهو يبعثر ماله ويصرفه في غير المصارف الشرعية دون أن يتبع أي منهج منير ولا رأي بصير ، فهو لا يتردد في إنفاقه في الحرام ولا يتصدق على ذوي أرحامه ، ولا يؤدي زكاته وما فيه من حقوق . وهو غير مدرك أن المال مال الله ولابد من اكتسابه من الحلال وإنفاقه في الأوجه المشروعة . فهذا الشخص بأسوأ المنازل والأحوال التي قد تصل به إلى النار وسوء المصير .

ورغم سوء سلوك هذا الشخص وتخبطه في صرف ماله فلم يعدم من يعجب بسلوكه من الجهلة الفقراء الذين لم يؤتوا مالاً ولا علماً ولكنهم أوتوا نفوساً منحرفة وميولاً سيئة دفعتهم إلى أن يتمنوا المال ليفعلوا به ما فعل الشخص الثالث . وهذا النوع من الناس يمثل الصنف الرابع من أهل الدنيا ويكمل النصف الفاسد من أهلها . وقد نال هذا الصنف أخبث المنازل وأسوأ المواقع بنيته الفاسدة وميله إلى الشر والانحراف ، فأصبح ذنبه وذنب الشخص الثالث سواء حيث لحقه في السوء من خلال نيته المنحرفة . ومن خلال هذين : أنموذج فاعل الخير على بصيرة ومقلده ، وأنموذج فاعل الشر على عمى والمعجب به يظهر تأثير الأسوة الحسنة والقدوة السيئة على بعض أفراد المجتمع .

خامساً : الأحكام :

أفاد هذا الحديث عدداً من الأحكام المهمة أوجزها فيما يلي :

١) جواز القسم على الأمور الصحيحة للتأكيد .
٢) أن الصدقة الخالصة لوجه الله لا تنقص المال بل تزيد بركته وفعاليته .
٣) أن العفو من القادر يزيده عزاً ورفعة عند الله وعند عقلاء الناس .
٤) أن المسألة تقود إلى الفقر خاصة لمن فعلها متكثراً .
٥) فضل العلم والإخلاص وأنهما السبيل الى التصرف السليم في المال وغيره .
٦) خطر الجهل وأنه هو الطريق إلى السلوك المنحرف وعدم معرفة سبيل النجاة ، وقد يقود إلى تقليد من لا خلاق لهم والإعجاب بمن لا يستحقون الإعجاب .
٧) أهمية النية وأنها عندما تتحول إلى عزم قد توصل الإنسان إلى أعلى الدرجات في الجنة أو اسفل الدركات في النار .

الحديث التاسع والثلاثون

أحب الناس والأعمال إلى الله

أولاً : النص :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسولَ الله أيُّ الناسِ [١] أحبُّ إلى اللهِ ، وأيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى اللهِ ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : " أحبُّ الناس إلى الله أنفعُهم [٢] للناسِ ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عز وجل سُرورٌ تُدْخِلُه على مسلمٍ، أو تَكشفُ عنه كُرْبةً[٣] أو تَقضي[٤] عنه دَيْناً أو تَطْردُ [٥] عنه جُوعاً. ولأنْ أمشيَ مع أخٍ في حاجةٍ أحبُّ إليَّ مِنْ أن أعتكفَ[٦] في هذا المسجد [٧] شَهْراً . ومن كفَّ [٨] غَضبَه سترَ اللهُ عورتَه [٩] . ومن كَظَمَ[١٠] غيظَه، ولو شاء أن يُمضِيه[١١] أمضاه، ملأ اللهُ قلبَه[١٢] رجاءَ يوم القيامةِ . ومن مشىَ مع أخيه في حاجةٍ حتى تتهيأ [١٣] له أثبت اللهُ قدمَه[١٤] يومَ تزولُ الأقدامُ، (وإن سوءَ الخلق يُفسدِ العَمَلَ كما يُفسدُ الخَلُّ العسلَ)[١٥]. رواه الطبراني في المعجم الكبير.

---

(١) من المؤمنين .
(٢) الذي يستفيد منه الناس .
(٣) حزن أو غم أو ضائقة .
(٤) تتحمل أو تدفع .
(٥) تبعد وتنقذ .
(٦) أمكث في المسجد للعبادة .
(٧) مسجد الرسول في ا لمدينة المنورة .
(٨) أوقف آثار غضبه.
(٩) عيوبه .
(١٠) كتم أو تحكم في غضبه .
(١١) ينفذه .
(١٢) بالأمل والرجاء بعفو الله .
(١٣) تنجز وتتم .
(١٤) على الصراط
(١٥) ما بين القوسين زيادة عند ابن عساكر

ثانياً : التخريج :

هذا الحديث خرجه محدث العصر الشيخ ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٩٠٦ وقد ذكر في تخريجه ما ملخصه الآتي :

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢/٢٠٩/٣ وابن عساكر في التاريخ ١٨/١/٢ عن سكين بن أبي سراج عن عمرو بن دينار عن ابن عمر . وقد ذكر الألباني أن سكينًا هذا اتهمه ابن حبان برواية الموضوعات وقال عنه البخاري : " منكر الحديث ." ومثل سكينٍ عبد الرحمن بن قيس الضبي حيث اعتبره الحافظ في التقريب متروكا .

ويقول الألباني بأن هذا الحديث قد روى بإسناد حسن من طرق أخرى ، حيث رواه ابن أبي الدنيا وأبو إسحاق وابن عساكر عن طريق بكر بن خنيس عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر . وبذلك يثبت هذا الحديث ويكون إسناده حسناً .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما . وقد سبقت ترجمته في الحديث الرابع عشر .

رابعاً : الشرح :

ينقل الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن شخصاً أتى النبي الكريم ﷺ مستفسراً عن أحب الناس وأحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى . والمقصود بأحب الناس هو الشخص الذي يحبه الله ويفضله على غيره لما يتمتع به من إيمان وأخلاق وأعمال يرتفع بذلك كله إلى أن يستحق أن يكون أحب الناس إلى الله سبحانه وتعالى . وهو شرف عظيم لا يناله إلا ذو الحظ العظيم . أما أحب الأعمال إلى الله فيعني أفضلها من حيث الأجر إذا ما قورنت

بغيرها من الأعمال الصالحة . وقد أجاب الرسول الكريم ﷺ على تساؤل الرجل إجابة شافية مبيناً فيها أن أحب الناس إلى الله هم الذين يمتد نفعهم وخيرهم إلى أكبر عدد ممكن من الناس ، كل الناس . وهذا يعني أن أحب الناس إلى الله هم أفراد يهتمون بالمجتمع ويتلمسون حاجات أفراده المتعددة فيساعدون المحتاج ، وينصرون المظلوم ، ويسعون في إيصال حوائج الناس إلى من يستجيب لها ويعرضون مشاكلهم على من يملك القدرة على حلها . وهم في كل ذلك لا يقتصرون على جانب دون آخر وإنما يسعون دوما إلى نفع الناس بأي وسيلة وفي أي وقت . ولا شك أن من كان هذا ديدنه يستحق حب الله وتفضيله له على غيره . وقد أورد مؤلف مشكاة المصابيح عن الرسول ﷺ حديثاً آخر يؤيد هذا المعنى : " الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله " .

أما أحب الأعمال إلى الله فهو مرتبط بنفع الناس أيضاً . فقد ذكر النبي الكريم ﷺ عدداً من أعمال البر التي يصل خيرها إلى أفراد المجتمع . هذا بالإضافة إلى بعض التصرفات الفردية المتعلقة بعواطف الفرد الشخصية ولكن أثرها يتعدى إلى الآخرين . لقد أخبر الرسول الكريم ﷺ أن أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المسلم . ولا شك أن طرق إدخال الفرحة والمسرة على المسلم لا تكاد تحصى فهي تشمل كل عمل أو قول أو إشارة يمكن أن تفرح المسلم ويدخل ضمن ذلك التهنئة والثناء بالحق وتقديم الهدايا والمساعدات ونقل الأخبار السارة والدفاع عن المسلم وحقوقه وغير ذلك . وبعد هذا التعميم ذكر الرسول ﷺ بعض الأمثلة التي يمكن أن يخدم المسلم فيها أخاه المسلم ويدخل على قلبه الفرحة والسرور . من هذه الأعمال إزالة الهم والغم والضوائق المالية التي يمكن أن يقع فيها المسلم . ومنها أيضاً دفع الديون التي يتحملها المسلم لأسباب مباحة . وسداد الدين خدمة كبيرة للمسلم وذلك أن الدين يثقل كاهل الإنسان ويدخل عليه الهم والحزن . ومن الأعمال المحبوبة إلى الله سبحانه وتعالى تقديم الغذاء الذي ينقذ المسلم من براثن الجوع ويطرد عنه المسبغة ، فإن الجوع يضعف القوى ويذل النفس . وليؤكد الرسول الكريم ﷺ على

أهمية خدمة الناس وأنها الطريق إلى محبة الله ضرب مثلاً بنفسه فقال أنه يفضل أنٍ يسعى في حاجةٍ مسلم على أن يمكث في مسجده في المدينة شهراً كاملاً منقطعاً للعبادة . وهذا يظهر فضل السعي في قضاء حوائج الناس على الانقطاع للعبادة في أفضل الأماكن حيث تضاعف أجور الصلوات .

ثم انتقل الرسول الكريم ﷺ إلى تبيان فضل التحكم في بعض العواطف التي قد يتجاوز أثرها إلى الآخرين ، فذكر أن من كف آثار غضبه عن الناس بحيث لا يؤذيهم فإن الله سوف يجزيه على أن يخفي عيوبه عن الناس في الدنيا والآخرة ، كما أن من كظم غضبه وتحمله داخليا وهو يستطيع أن ينفذه ويؤذي من استثاره فجزاؤه عند الله أن يثبت إيمانه ويملأ قلبه أملاً ورجاء بالفوز يوم القيامة ، بمعنى أن يكون آمناً وقت الخوف .

وتأكيداً للمفهوم الذي عبر عنه الرسول ﷺ بقوله إن قضاء حاجة الأخ المسلم أحب إليه من الانقطاع للعبادة في المسجد النبوي يقرر النبي الكريم ﷺ أن من سعى في حاجة أخيه حتى تتجز فإن الله سوف يثبت قدميه على الصراط المستقيم . والصراط ، الذي هو أحد من السيف وأدق من الشعرة ، منصوب على متن جهنم تزل أقدام السائرين عليه فيقعون في جهنم إلا من شاء الله . ومن الناجين الجائزين على الصراط من أنجز لأخيه حاجة فيها له مصلحة في الدنيا أوالآخرة .

وحيث إن الأمور التي ذكرت في هذا الحديث مظاهر من حسن الخلق والسعي لمنفعة الناس فإن ما يضادها هو سوء الخلق والأنانية وعدم الاهتمام بشئون المسلمين . ولذا حذر الرسول الكريم ﷺ من سوء الخلق وبين أنه يفسد الأعمال الصالحة ويذهب بأجرها كما يفسد الخل العسل ويذهب بلذة طعمه وجزء كبير من منافعه الغذائية والعلاجية . ولا شك أن في هذا المثل الواضح المنتزع من بيئة المخاطبين تبياناً وتقبيحاً لسوء الخلق وآثاره على الفرد والمجتمع ، ودعوة لمكارم

الأخلاق والسعي لنفع الناس بالسبل المشروعة المتعددة . هذا بالإضافة إلى الحض على أن يكف الإنسان أذاه عن المسلمين .

خامساً : الأحكام :

أفاد هذا الحديث جملة من الأحكام المتعلقة بالسلوك الإنساني ، من أهمها ما يلي :

١) حرص الصحابة على ما ينفعهم والاستفسار عن السبل الموصلة لذلك من النبي الكريم ﷺ .
٢) أن أحب الناس إلى الله وأفضلهم من يخدم الناس وينفعهم بشتى الطرق المشروعة .
٣) أن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المسلم وإزالة همه وحزنه وقضاء دينه وإشباع جوعته .
٤) أن السعي في خدمة الناس وقضاء حوائجهم أفضل من الانقطاع إلى العبادة في المسجد حتى ولو كان مسجد الرسول الكريم ﷺ .
٥) الحض على عدم الغضب وكظم الغيظ ، وأن أجر ذلك الستر في الدنيا والآخرة والأمن من خوف يوم القيامة .
٦) أن السعي في قضاء حوائج المسلمين وإنجازها لهم وسيلة لاجتياز الصراط وأهواله يوم القيامة .
٧) أن سوء الخلق محبط لثواب الأعمال الصالحة .

الحديث الأربعون

من استعاذات النبي ﷺ

أولاً : النص :

عن زيدِ بنِ أرقمَ قال : كان رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ : " اللهم أني أعوذُ [١] بك من العَجْزِ [٢] ، والكَسَلِ [٣]، والبُخْلِ [٤] ، والهَرَمِ [٥] ، وعذابِ القبرِ [٦] . اللهم آتِ [٧] نفسي تقواها [٨] وزكِّها [٩] أنت خيرُ من زكَّاها ، أنت وليُّها [١٠] ومولاها[١١]. اللهم إني أعوذُ بك من عِلْمٍ لا يَنْفَعُ [١٢] ومن قلبٍ لا يَخْشَعُ [١٣] ، ومن نفسٍ لا تَشْبَعُ [١٤]، ومن دعوةٍ لا يُستجابُ [١٥] لها ". رواه مسلم .

ثانياً : التخريج :

روى هذا الحديث الإمام مسلم برقم ٢٧٢٢ في الذكر ، باب التعوذ من شر ما عمل ، وأخرجه الترمذي برقم ٣٥٦٧ في الدعوات ، باب انتظار الفرج ، وأخرجه النسائي برقم ٥٤٦٠ في الاستعاذة ، باب

---

(١) أحتمي بك وألتجئ إليك .
(٢) عدم القدرة .
(٣) عدم الرغبة في العمل .
(٤) الشح وعدم الإنفاق .
(٥) كبر السن .
(٦) فتنة القبر من السؤال والعذاب الذي وردت السنة بأمثلة منه .
(٧) أعط أو هب لنفسي .
(٨) التقوى هي الخوف من الله واستشعار مراقبته.
(٩) طهرها ونقها .
(١٠) المتصرف بها والحافظ لها .
(١١) مالكها وسيدها .
(١٢) لا يفيد في أمور الدنيا والدين .
(١٣) يخبت ويخاف من الله .
(١٤) لا تقنع ولا تكتفي بما أعطيت .
(١٥) لا يتحقق مطلوبها والهدف من ورائها .

الاستعاذة من العجز . كما أخرج البخاري برقم ٢٨٢٣ عن أنس بن مالك الجزء الأول منه في كتاب الجهاد ، باب ما يتعوذ من الجبن . وروى أبو داود الجزء الأول من الحديث برقم ١٥٤٠ ، ١٥٤١ في الصلاة ، باب الاستعاذة بزيادة " وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ." كما صححه الشيخ ناصر الدين الألباني في تخريج أحاديث مشكاة المصابيح برقم ٢٤٧٠ .

ثالثاً : الراوي :

راوي هذا الحديث هو زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري ، صحابي جليل شهد مع رسول الله ﷺ معظم الغزوات : سبع عشرة غزوة تحديداً . كما شهد صفين مع الإمام علي رضي الله عنه . ومات بالكوفة سنة ٦٨هـ . روى له أصحاب كتب الحديث ٧٠ حديثاً .

رابعاً : الشرح :

يحتل الذكر مكاناً بارزاً بين الأعمال الصالحة التي يحرص المسلم على القيام بها وذلك من خلال التوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالتمجيد والتقديس وطلب الحاجات ، وتوقي السيئات ، وسؤال التوجيه الرباني، وطلب الحماية من كل الشرور التي يعرفها المسلم والتي لا يعرفها . ولم يكتف الرسول الكريم ﷺ بذكر أهمية الدعاء بمثل قوله ﷺ : " الدعاء مخ العبادة ، " بل أكد ذلك بكثرة لجوئه إلى الله في كافة المناسبات بالدعاء سراً وعلانية مما يشكل جزءاً مهماً من جملة أحاديثه القولية التي تزخر بها كتب الحديث المعروفة .

وقد روى الصحابي الجليل زيد بن أرقم حديثاً مهماً يشتمل على عدد من الأمور التي كان يدعو بها الرسول الكريم ﷺ أو كان يتعوذ منها بلغت حوالي عشر أحوال ، يضاف إليها مثلها من باب أن التعوذ من أمر من الأمور يعني غالباً طلب ضده والحث عليه . وفيما يلي استعراض موجز للأمور التي تعوذ منها الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث وطلب من الله الحماية منها :

١. العجز : هو عدم القدرة على الإنجاز سواء أكان ذلك العجز جسمانياً أم فكرياً أم نفسياً . ولا شك أن وقوع الإنسان تحت طائلة العجز تجعله يعيش حياة يائسة مليئة بالإحباط والفشل قد تقود إلى حالات نفسية لها آثارها المدمرةعلى جميع جوانب حياة الفرد والمجتمع .

٢. الكسل : يختلف الكسل عن العجز بأن الكسول لديه القوة والإمكانات المطلوبة للقيام بالعمل ولكن غلبه عجز إرادي يتمثل في الخلود إلى الراحة ، واختيار عدم العمل وقلة الإنجاز على اتخاذ الموقف الإيجابي ، والمشاركة في نفع نفسه ، وتقديم المساعدة اللازمة لمجتمعه الذي حرمه من مشاركته الإيجابية التي هي دين في عنقه لم يسدده لنفسه ولا لمن حوله .

٣. البخل : هو الضن بالمال والمساعدة على من يحتاجهما من أفراد المجتمع . والبخيل شخص يحول حبه للمال دون الإحسان إلى نفسه وإلى الآخرين ، بل قد يصل الأمر به إلى عدم القيام بالواجبات والوقوع في المحرمات مثل منع الزكاة وعدم إكرام الضيف وغير ذلك . وتعوذ النبي الكريم ﷺ من البخل لمخالفته للفطر الخيرة السليمة التي جبلت على الكرم وحب الخير للآخرين . وقد وردت نصوص الكتاب الكريم التي تحذر من البخل مثل قوله تعالى :" ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، "(الحشر ٩) . وقوله " ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه ، "(محمد ٣٨) . وانسجاماً مع التوجيه الرباني والفطر السليمة ومقت العرب للبخل فلم يتعوذ الرسول الكريم من البخل فحسب بل حث على الكرم وحذر من البخل في كثير من أفعاله وأقواله . من ذلك قوله ﷺ فيما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : " ... واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ."

٤. الهرم : هو تقدم السن الذي ينتج عنه العجز الكلي تقريباً في الطاقة الجسمية والقوى الفكرية بحيث لا يستطيع الإنسان أن

يؤدي مهامه بشكل مناسب . وقد سمى الله الهرم أرذل العمر ، وبين أنه فترة فقدان المعرفة والقوة بقوله تعالى : " ... ومنهم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا ." (النحل٧٠) . وقد تعوذ الرسول ﷺ في حديث آخر من " أن يرد إلى أرذل العمر ." وسبب تعوذ الرسول من الهرم يعود إلى أن الهرم يعيد الإنسان إلى أضعف أحواله الجسدية والعقلية ويجعله عبئاً على الآخرين ، وقد يتمنون موته والخلاص من أعباء العناية به .

٥. عذاب القبر : القبر مرحلة برزخية بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة. وهي مرحلة لا نعلم عنها شيئاً إلا ما ورد في الوحيين : الكتاب والسنة . وقد وردت أحاديث كثيرة تثبت عذاب القبر وأن القبر يمكن أن يكون روضة من الجنان أو حفرة من النيران ، وأنه أول مراحل الآخرة وأن له ما بعده . وقد بلغ من أهمية الاستعداد لعذاب القبر والخوف منه أن أمرنا الرسول ﷺ أن نتعوذ من عذاب القبر في نهاية كل صلاة من جملة أربعة أمور وجه النبي الكريم ﷺ المسلم للتعوذ منها . فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع ، يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال . "

بعد أن تعوذ الرسول الكريم من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر توجه إلى الله سبحانه وتعالى بأن يهب نفسه الكريمة التقوى ، والخوف من الله سبحانه وتعالى ، وأن تكون خشية الله ومحبته مستقرة في ذاته الشريفة وأن يطهر نفسه ويزكيها من كل ما يتنافى مع الصفاء والطهر والسمو الروحي والإيماني، وأن يحقق له ذلك لأنه الوحيد القادر عليه، وهو الذي يتولى المؤمنين والمالك لحياتهم ومماتهم . والرسول الكريم ﷺ هو قمة هرم المجتمع الإسلامي وأعلى مثال يحتذى في كل شيء . فإذا كان الرسول الكريم ﷺ الذي زكت نفسه وتسامت أخلاقه وأصبح القدوة الحسنة لأمته يطلب كل

ذلك من الله سبحانه وتعالى فمن باب أولى أن يحرص أتباعه من المسلمين على أن يتوجهوا إلى الله في طلب التقوى وسؤال التزكية من الخالق الباري المتصرف بالإنسان في حياته ومماته .

بعد أن تضرع الرسول الكريم ﷺ إلى الله أن يزكي نفسه الطاهرة بالتقوى لجأ إلى الله سبحانه وتعالى طالباً حمايته من حالات أربع كثيراً ما توجد بين أفراد المجتمع الإنساني ، وتفشو في نماذج من السلوك البشري . وهذه الحالات قد يكون ظاهر بعضها من الأمور الإيجابية التي يحرص عليها الناس ، وتبدو في ظاهرها سمة من سمات الجدية والصلاح ، ولكنها في حقيقة الأمر مظهر من مظاهر السلوك البشري الذي لا فائدة فيه . بل قد تكون حالات سلوكية مرضية تحتاج إلى علاج وتوجه إلى الله للحماية منها والشفاء من بلوائها إذا وقعت .

أول الأمور التي تعوذ منها الرسول الكريم ﷺ في هذا الجزء من الحديث هو العلم الذي لا نفع فيه . ومع أن العلم بصفة عامة أمر مرغوب ويسعى الناس إلى تحصيله إلا أن مجرد العلم دون فائدة عملية تعود على الإنسان نفسه أو على المجتمع بالنفع والفائدة يصبح أمراً سلبياً قد يعود على صاحبه بالوبال والخسران. والعلم لاشك حلية جميلة ، وطلبه منقبة عظيمة ، ولكن لا تظهر قيمته الحقيقية إلا بالعمل بمقتضاه ، والاستفادة من محتواه بتهذيب النفس ، وإصلاح المجتمع ، والسعي لتطبيقه في المجالات التي يظهر فيها نفعه وفائدته .
ولهذا حرص الإسلام على أن يتعلم العلم الشرعي خاصة لوجه الله ، وابتغاء الدار الآخرة وحذر من تعلم العلم لأهداف دنيوية . روى أبو هريرة في الحديث الصحيح الذي أخرجه أبو داود وغيره أن الرسول الكريم ﷺ قال : " من تعلم علماً مما يبتغى به وجهه عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة . " واشتراط كون العلم نافعاً يدخل فيه العلم الشرعي والعلم الدنيوي. ومع أن العلم الشرعي كله مفيد ونافع فقد يحوله الإنسان بسلوكه إلى علم غير نافع بالنسبة له إذا لم يعمل بهذا العلم . لهذا كله استعاذ

الرسول الكريم ﷺ من العلم الذي لا ينفع لينبه أمته إلى هذا الأمر المهم من ضرورة اقتران طلب العلم بالإخلاص وتحصيله بالعمل بمقتضاه .

الأمر الثاني الذي استعاذ منه النبي الكريم هو القلب الذي لا يخشع ، وهو القلب القاسي الذي لا يكاد يتأثر بموعظة أو تذكرة . ولا شك أن القلب هو المدخل إلى التأثير على سلوك الإنسان . فإذا كان هذا المدخل مغلقاً عن الخير فلن يحصل التأثير على السلوك الإنساني بالتوجيه والتحسين والارتقاء إلى المستوى الإيماني المرغوب . وقد ذكر الرسول ﷺ أن أبعد الناس عن الله القلب القاسي . كما ذكر أن هذا القلب القاسي هو أسوأ أنواع القلوب التي لا تقبل معروفاً ولا تنكر منكراً .

الحالة الثالثة التي تعوذ منها الرسول الكريم ﷺ النفس الطماعة التي لا تشبع ،وهمها الوحيد هو جمع متاع الدنيا ، والسعي وراء المكاسب المادية ، ولا تكاد تقنع بما تحصل عليه . وقد أشار الرسول ﷺ إلى أن الإنسان يميل إلى الطمع ، والرغبة في المزيد ، ولا يخفف من ذلك إلا القناعة الناتجة عن الإيمان ، والاعتقاد أن هذه الحياة ممر وليست مقر، وأن المسلم ينبغي أن يكتفي فيها بما يعينه على الطاعة دون أن يشغله عن الآخرة .

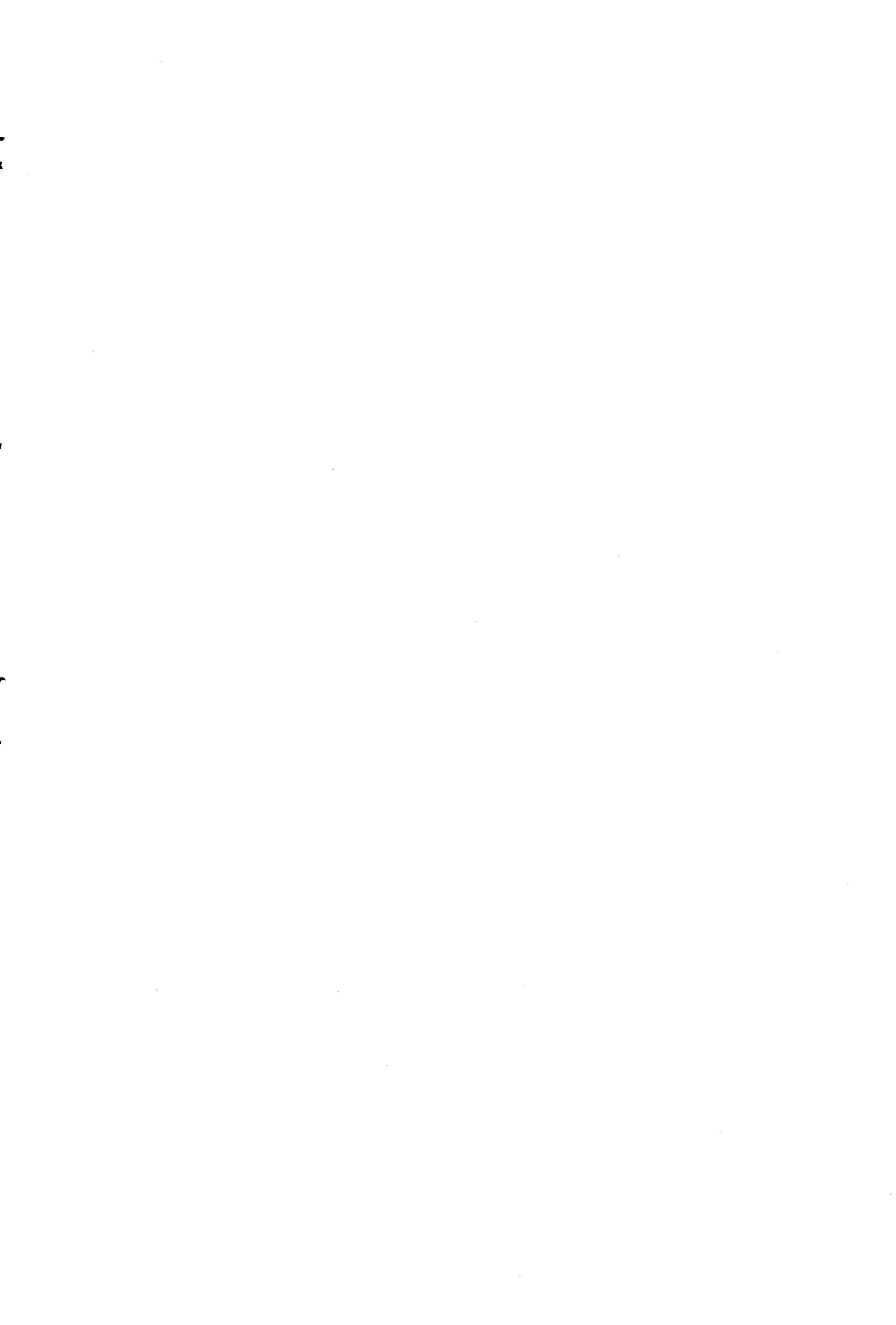
والأمر الرابع الذي تعوذ منه الرسول ﷺ هو عدم إجابة الدعاء . وهذا الحال ينتج في الغالب عن بعض الموانع السلوكية التي يقترفها الإنسان فتمنع قبول دعائه مثل أكل الحرام ، وعدم حضور القلب ، والاستعجال وغير ذلك . كما أن عدم استجابة الله لدعوة الداعي حرمان كبير قد يدل على هوان الداعي على الله ، وعدم ارتقائه إلى المستوى الذي يؤهله للاستجابة . كما أن عدم استجابة الدعاء قد يقود إلى القنوط وسوء الظن بالله ، وهذا من الذنوب العظيمة التي تحبط العمل .

وهكذا يظهر من هذا الحديث أن الرسول الكريم ﷺ كان حريصاً على أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى في طلب الحماية من كثير من الأحوال والسلوكيات التي تقلل من فاعلية المسلم أو تقف في وجه ارتقائه الإيماني . والرسول معافى من كل ذلك ولكنه يضع أسس المنهج الذي ينبغي أن يسلكه المؤمن لتحقيق هدف وجوده في هذه الحياة التي يجب أن يحسن استغلالها مزرعة للآخرة وجسراً إلى السعادة الأبدية في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

خامساً : الأحكام :

أفاد هذا الحديث جملة من الأحكام أذكر أهمها فيما يلي :

١) أهمية التوجه إلى الله بالدعاء وطلب الحماية من كل ما يخافه الإنسان من الأهوال والأحوال والسلوكيات.
٢) التحذير من العجز والكسل والبخل والسعي لتجنب هذه الأحوال والأخلاق السيئة .
٣) الاستعاذة من الهرم لما يترتب عليه من عجز وتعطل كثير من مناشط الإنسان والإيجابية .
٤) إثبات عذاب القبر وأنه مما ينبغي أن يخافه الإنسان ويتجنب ما يقود إليه .
٥) ضرورة التوجه إلى الله في طلب التقوى والتزكية لأنه سبحانه هو القادر على ذلك والمتصرف في حياة الإنسان .
٦) التحذير من العلم الذي لا نفع فيه والحرص على أن يعمل الإنسان بما علم .
٧) التحذير من الطمع وقسوة القلب والأمور التي تمنع اجابة الدعاء .



المراجع

رجعت إلى كثير من المراجع أثناء اختيار هذه الأحاديث وعند شرحها . ومن الصعوبة استعياب كل الكتب التي استفدت منها . ولكني سوف أذكر فيما يلي الكتب التي رجعت إليها أكثر من مرة واستفدت منها شيئاً من المعلومات التي احتوتها الأربعون الشاملة وشروحها . وقد استبعدت معظم الكتب التي جرت الإشارة إليها في المقدمة أو في تخريج الأحاديث .

١- القرآن الكريم والمعجم المفهرس .

٢- الكتب الستة : البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داوود وابن ماجه ، خاصة الطبعة التي بإشراف ومراجعة معالي فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، وهي طبعة دار السلام ونشر جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني ضمن سلسلة الكتب العلمية التي تطبع على نفقة سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز جزاه الله خيراً ، الطبعة الثانية ، محرم ١٤٢١هـ .

٣- رياض الصالحين وشروحه المتعددة خاصة :

أ) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين لمصطفى الخن ورفاقه ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الخامسة عشر ١٤٠٨هـ .

ب) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد بن علان المكي .

ج) رياض الصالحين للنووي تحقيق ومراجعة شعيب الأرناؤوط ورفاقه ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ .

٤- جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجوزي تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ

٥- الجامع المفهرس لأطراف الأحاديث النبوية والآثار السلفية التي خرجها محدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في

كتبه المطبوعة من إعداد سليم عيد الهلالي ، دار ابن الجوزي ١٤٠٩هـ .

٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل مطبوع ضمن موسوعة السنة : الكتب الستة وشروحها بإشراف شعبان فورت ، دار سحنون باسطنبول ١٤١٣هـ .

٧- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان، بدون تأريخ طباعة .

٨- الأدب النبوي لمحمد بن عبد العزيز الخولي ، دار المعرفة ، بيروت ١٤١٨هـ .

٩- إصلاح المجتمع شرح مائة حديث مختارة مما اتفق عليه البخاري ومسلم ، لمحمد بن سلام البيحاني ، الطبعة الثالثة ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، ١٤١٢هـ .

١٠- الوافي في شرح الأربعين النووية لمصطفى البغا ومحيي الدين مستو ، الطبعة الثالثة، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤١٤هـ .

١١- الإلمام بدراسة الأحاديث التي عليها مدار الإسلام لمصعب بن عطا الله الحايك ، دار المعراج الدولية ، ١٤١٧هـ .

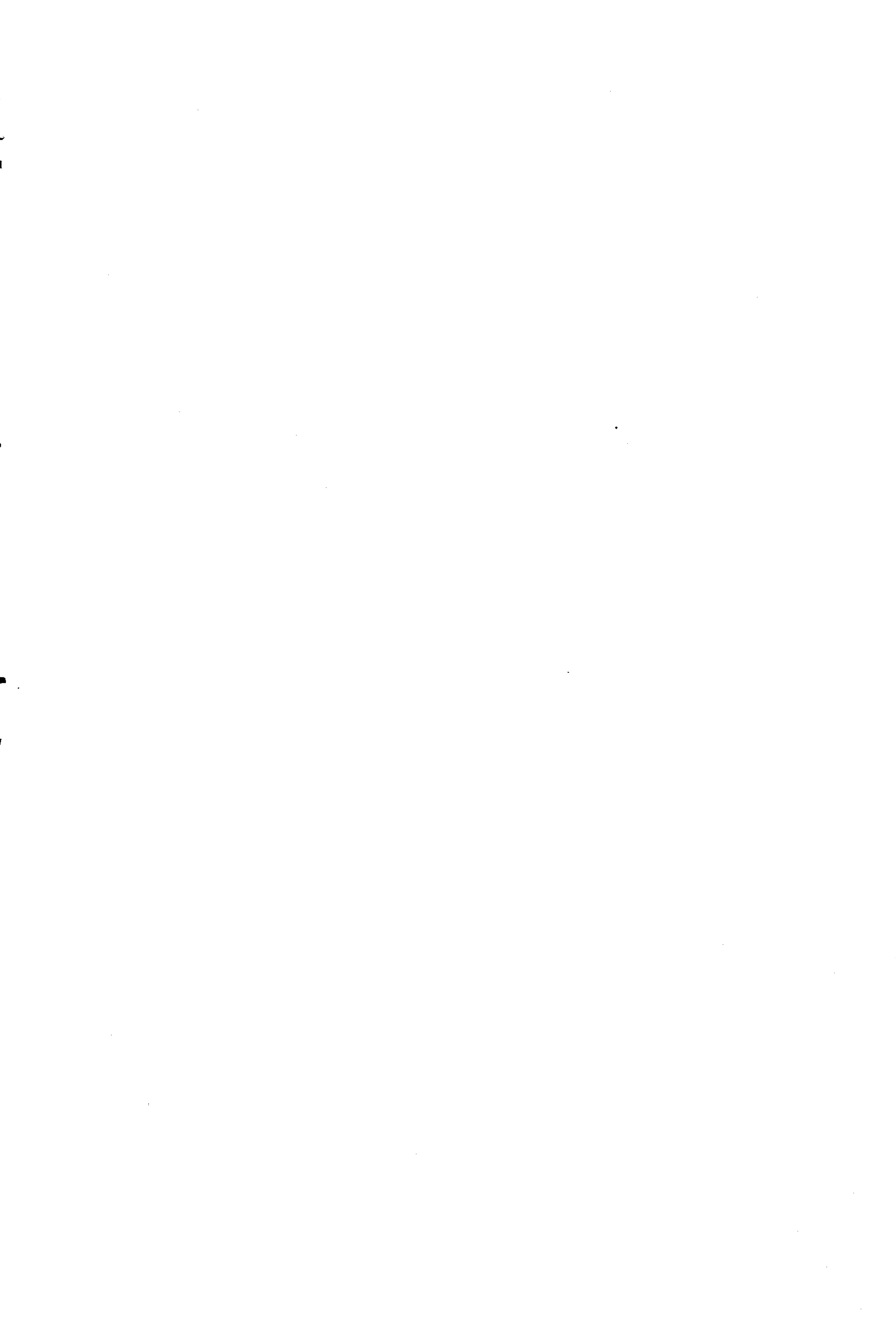
١٢- من كنوز السنة : دراسات أدبية ولغوية من الحديث الشريف لمحمد علي الصابوني .

١٣- روائع من أقوال الرسول ﷺ لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

١٤- الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق عادل عبد الموجود وعلى محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ .

١٥- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٩م .

١٦- تم الإطلاع على مجموعة من كتب الأربعين حول موضوعات متعددة كان أهمها الذي أفدت من دراسة محققه : **الأربعون الصغرى المخرجة في أحوال عباد الله تعالى وأخلاقهم** ، تحقيق محمد نور بن محمد أمين المراغي ، إحياء التراث الإسلامي ، قطر .



المحتويات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
	تقديم.	٥
	المقدمة.	٧
١	الحديث الأول : العمل بالنية	١٥
	ترجمة عمر بن الخطاب	١٦
٢	الحديث الثاني : تحريم الظلم وسعة فضل الله وعظمته .	٢٢
	ترجمة أبي ذر الغفاري	٢٣
٣	الحديث الثالث : الناس والعلم	٢٨
	ترجمة عبد الله بن قيس الأشعري	٢٩
٤	الحديث الرابع : وصية النبي ﷺ للصبي	٣٢
	ترجمة عبد الله بن عباس	
٥	الحديث الخامس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٧
	ترجمة النعمان بن بشير	٣٨
٦	الحديث السادس : خطبة الوداع	٤١
	ترجمة جابر بن عبد الله	٤٤
٧	الحديث السابع : القرآن الكريم	٥٠
	ترجمة علي بن أبي طالب	٥٣
٨	الحديث الثامن : التسع المهلكات	٥٨
	ترجمة أبي هريرة	٥٩
٩	الحديث التاسع : السبعة الآمنون	٦٦
١٠	الحديث العاشر : الاستخارة	٧٣
١١	الحديث الحادي عشر: فضل العون والعلم والعمل	٧٧

م	الموضـــــوع	الصفحة
١٢	الحديث الثاني عشر : أهمية التبليغ والإخلاص ووحدة الأمة	٨٤
	ترجمة زيد بن ثابت	٨٥
١٣	الحديث الثالث عشر : أفضل العمل	٩١
	ترجمة عبد الله بن مسعود	٩٢
١٤	الحديث الرابع عشر : الأسباب الخمسة لهلاك الأمم	٩٨
	ترجمة عبد الله بن عمر بن الخطاب	٩٩
١٥	الحديث الخامس عشر : مصادر الثواب بعد الموت	١٠٤
١٦	الحديث السادس عشر : سباق مع السبع	١٠٩
١٧	الحديث السابع عشر : المؤمن القوي	١١٤
١٨	الحديث الثامن عشر : مقومات السعادة	١١٨
	ترجمة عبد الله بن محصن الانصاري	١١٩
١٩	الحديث التاسع عشر : سبيل النجاة	١٢٢
	ترجمة العرياض بن سارية السلمي	١٢٣
٢٠	الحديث العشرون : صلاح القلب في احتناب الشبهات	١٢٩
٢١	الحديث الحادي والعشرون : ثمرات الإيمان	١٣٤
	ترجمة ابي شريح العدوي	١٣٥
٢٢	الحديث الثاني والعشرون : لا تسأل، إفعل ، لا تفعل	١٣٩
٢٣	الحديث الثالث والعشرون : الموقف من المنكر	١٤٣
	ترجمة أبي سعيد الخدري	١٤٣
٢٤	الحديث الرابع والعشرون : منابع حلاوة الإيمان	١٤٦
	ترجمة أنس بن مالك	١٤٧
٢٥	الحديث الخامس والعشرون: علامات النفاق.	١٤٩
	ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص.	١٥٠
٢٦	الحديث السادس والعشرون : مسؤولية الفرد.	١٥٤
٢٧	الحديث السابع والعشرون: شعب الإيمان.	١٥٤
٢٨	الحديث الثامن والعشرون : سنن الفطرة	١٦١
	ترجمة السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق	١٦٢

الصفحة	الموضـــــــوع	
١٦٧	الحديث التاسع والعشرون: أركان الإسلام والإيمان وعلامات الساعة.	٢٩
١٧٣	الحديث الثلاثون : من فضائل الأعمال	٣٠
١٧٤	ترجمة الحارث بن عاصم الأشعري	
١٧٨	الحديث الحادي والثلاثون : المسلم الفاعل	٣١
١٨١	الحديث الثاني والثلاثون:أمراض اجتماعية ضد الأخوة الأسلامية	٣٢
١٨٧	الحديث الثالث والثلاثون : ثلاث وثلاث : محرمات أو مكروهات	٣٣
١٨٨	ترجمة المغيرة بن شعبة	
١٩١	الحديث الرابع والثلاثون : نجاة المؤمن وخير السور وفواضل الأعمال	٣٤
١٩٢	ترجمة عقبة بن عامر الجهني	
١٩١	الحديث الخامس والثلاثون: الطريق إلى الجنة وأبواب الخير وحفظ اللسان	٣٥
١٩٢	ترجمة معاذ بن جبل	
٢٠١	الحديث السادس والثلاثون : أسئلة العمر الأربعة	٣٦
٢٠٢	ترجمة أبي برزة الأسلمي	
٢٠٦	الحديث السابع والثلاثون : سبع وسبع بين الأمر والنهي	٣٧
٢٠٧	ترجمة البراء بن عازب	
٢١٣	الحديث الثامن والثلاثون : أهل الدنيا وثلاث أقسم عليهم الرسول ﷺ	٣٨
٢١٤	ترجمة أبي كبشة الانماري	
٢١٨	الحديث التاسع والثلاثون : أحب الناس والأعمال إلى الله	٣٩
٢٢٣	الحديث الأربعون : من استعاذات النبي ﷺ	٤٠
٢٢٤	ترجمة زيد بن أرقم الخزرجي	
٢٣١	المراجع	